.🕮

وزارة التّعليـم العالي و البحث العلمي

جامعـة الإخوة منتـوري قسـنطينـة 1

كلّية الآداب و اللّـغات

قسـم الآداب و اللّغة العربيّة

محاضرات في التّطوّر الدّلاليّ

مطبوعة بيداغوجيّة موجّهة لطلبة السّنة الأولى ماستر- نظام ل م د – تخصّص لسانيات تطبيقيّة

إعداد : الدّكتورة رفيقة بن ميسيّة

السّنة الجامعيّة : 1441 -1442هـ/ 2020 – 2021م

بسم الله الرحمن الرحيم

. 🕮

بِسْمِ اِللَّهِ اِلرَّحْمَٰنِ اِلرَّحِيمِ

﴿ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ اَلْعَلِيمُ اُلْحَكِيمُ ﴾

صدق اللّه العظيم

[البقرة : 31]

. 🕮

مختصر توصيف المقياس :

اسم المقياس	**التّطوّر الدّلاليّ**
مستوى المقياس	**السّنة الأولى ماستر**
التّخصّص	**لسانيات تطبيقيّة**
السّداسي	**الثّاني**
الرّصيد	**04**
المعامل	**02**
السّاعات المعتمدة	**ساعة ونصف في الأسبوع**
عدد المحاضرات	**ست عشرة محاضرة**

. 🕮

وصف المقياس :

يتناول مقياس التّطوّر الدّلاليّ مجموعة من القضايا اللّغويّة ، منها تحديد العلاقة بين مصطلحيّ التّغيّر اللّغويّ والتّطوّر اللّغويّ ، إذ قسّمت آراء اللّغويين و الدّارسين المحدثين في ضوء قراءتنا للموضوع إلى ثلاثة اتّجاهات ؛ اتّجاه أوّل يستعمل التّطوّر اللّغويّ بمعنى يخالف معنى التّغيّر اللّغويّ ، و اتّجاه ثان يستعمل التّطوّر اللّغويّ بمعنى التّغيّر اللّغويّ دون التّفريق بينهما ، و اتّجاه ثالث يستعمل التّطوّر اللّغويّ بمعنى الأطوار التّاريخيّة التي تمرّ بها اللّغة بغضّ النّظر عن تقييمها ، و يبحث أيضا في عوامل و أسباب التّطوّر الدّلاليّ ، و هي عوامل متداخلة فيما بينها ، لا يمكن الفصل فيما بينها ، ومع ذلك فقد تمّ تقسيمها إلى أسباب لغويّة و تاريخيّة و اجتماعيّة و نفسيّة ، و يهتمّ بدراسة التّطوّر الدّلاليّ في التّراث العربيّ و في الفكر اللّغويّ الحديث و المعاصر ، و يسلّط الضّوء على أقسام التّطوّر الدّلالي ، إذ تنقسم إلى تطوّر صوتيّ و صرفيّ و نحويّ و دلاليّ ، ثمّ يخصّص مجاله أيضا لدراسة مظاهره و أشكاله و يدرس أيضا العلاقات الدّلاليّة و ما ينتج عنها من ترادف و مشترك لفظيّ و تضادّ ، و توضيح علاقة هذه العلاقات بالتّطوّر الدّلاليّ .

. 🕮

أهداف المقياس :

1	التّأكيد على أنّ تطوُّر اللّغة بوجه عام شبيهٌ بتطوُّر المجتمعات البشريَّة ، فكما تتطوّر هذه المجتمعات في حضارتها و ثقافتها و فكرها ، تتطوّر اللّغة أيضا .
2	التّأكيد على أنّ تطوّر اللّغة ما هو إلاّ انعكاس لتطوّر المجتمع ، فالمجتمع في تطوّر مستمرّ و يعقب هذا التّطوّر تغيّر في أنظمتها ، فتغيّر اللّغة نتيجة حتميّة لتغيّر المجتمع و العكس .
3	يمكن البرهنة على تطوّر اللّغة من ناحيتين ، أولاهما النّاحية اللّغويّة ، و ثانيتهما النّاحية المنطقيّة .
4	اللّغة يتنازعها في التّطوّر عاملان ، عامل المحافظة و عامل التّطوّر ، بيد أنّ الحالة السّليمة للّغة هي تحقيق التّوازن بين العاملين أو القوّتين.
5	تحديد الفرق بين مصطلحيّ التّغيّر اللّغويّ و التّطوّر اللّغويّ.
6	معرفة خواصّ التّطوّر اللّغويّ
7	تقصّي التّطوّر اللّغويّ في التّراث العربيّ و الفكر اللّساني المعاصر
8	تحديد مفهوم التّطوّر الدّلاليّ و أنواعه
9	تحديد أقسام التّطوّر الدّلاليّ
10	تقصّي التّطوّر الدّلاليّ في الفكر التّراثي العربي القديم و الدّرس اللّغويّ الحديث .

11	تحديد أسباب وعوامل التّطوّر الدّلاليّ .
12	إبراز مظاهر و أشكال التّطوّر الدّلاليّ ،مع الاستعانة بأمثلة توضيحيّة من التّراث العربيّ و الدّرس اللّغوي الحديث و المعاصر .
13	تحديد العلاقات الدّلاليّة وما ينتج عنها
14	توضيح العلاقة بين العلاقات الدّلاليّة والتّطوّر الدّلاليّ .

مخرجات التّعليم: (الفهم والمعرفة والمهارات الذّهنيّة والعمليّة)

يُفترض بالطّالب بعد دراسته لهذا المقرّر أن تتحقق له التّعلّمات و المهارات الآتية :

1	يدرك جيّدا أنّ تطوُّر اللّغة بوجه عام شبيهٌ بتطوُّر المجتمعات البشريَّة ، فكما تتطوّر هذه المجتمعات في حضارتها و ثقافتها و فكرها ، تتطوّر اللّغة أيضا .
2	يدرك جيّدا أنّ تطوّر اللّغة ما هو إلاّ انعكاس لتطوّر المجتمع ، فالمجتمع في تطوّر مستمرّ و يعقب هذا التّطوّر تغيّر في أنظمتها ، فتغيّر اللّغة نتيجة حتميّة لتغير المجتمع و العكس.
3	يبرهن على أنّ تطوّر اللّغة يشمل ناحيتين أولاهما النّاحية اللّغويّة ، و ثانيتهما النّاحية المنطقيّة من خلال أمثلة توضيحيّة .
4	يعرف أنّ اللّغة يتنازعها في التّطوّر عاملان ، عامل المحافظة و عامل التّطوّر ، و أنّ الحالة السّليمة للّغة هي تحقيق التّوازن بين العاملين أو القوّتين .

5	يدرك الفرق بين مصطلحيّ التّغيّر اللّغويّ و التّطوّر اللّغويّ و العلاقة بينهما .
6	يعرف خواصّ و سمات التّطوّر اللّغويّ.
7	يتقصّى التّطوّر اللّغويّ في التّراث العربيّ و الفكر اللّساني المعاصر
8	يدرك جيّدا مفهوم التّطوّر الدّلاليّ و أنواعه و علاقته بالتّطوّر اللّغويّ .
9	يحدّد أقسام التّطوّر الدّلاليّ ، مع التّمثيل لذلك بأمثلة توضيحيّة من كتب التّراث العربيّ أو بأمثلة من اللّغة العربيّة المعاصرة .
10	يتقصّى التّطوّر الدّلاليّ في الفكر التّراثي العربي القديم و الدّرس اللّغويّ الحديث .
11	يتعرّف على أهمّ أسباب وعوامل التّطوّر الدّلاليّ ، مع التّمثيل لذلك بأمثلة توضيحيّة .
12	يستطيع تحديد مظاهر و أشكال التّطوّر الدّلاليّ ،مع الاستعانة بأمثلة توضيحيّة من التّراث العربيّ و الدّرس اللّغوي الحديث و المعاصر .
13	يكشف و يستطيع تحديد العلاقات الدّلاليّة بين الألفاظ من خلال نصوص أو كتب تراثيّة وكتب حديثة .
14	يدرك العلاقة الموجودة بين العلاقات الدّلاليّة الممثّلة في التّرادف و الاشتراك اللّفظي و التّضاد و التّطوّر الدّلاليّ .

.🕮

محتوى المقياس:

الأسبوع	الموضوعات	ساعات التّدريس
1	التّطوّر اللّغويّ نظرة تاريخيّة	ساعة و نصف في كلّ أسبوع
2	مفهوم التّطوّر و التّغيّر في التّراث العربي	//
3	التّطوّر اللّغوي في الفكر اللّساني المعاصر	//
4	مفهوم التّطوّر اللّغوي و خواصّه	//
5	التّطوّر الدّلالي ، أسبابه و عوامله و أقسامه	//
6	عوامله (العامل الاجتماعي ، الثّقافي ، النّفسي ، اللّغوي	//
7	أقسامه (التّطوّر الصّوتي ، الصّرفي ، التّركيبي ، الدّلالي ، الأسلوبي)	//
8	مظاهر و أشكال التّطوّر الدّلاليّ	//
9	تعميم المعنى و تخصيصه	//

10	رقيّ المعنى و انحطاطه	//
11	نقل المعنى	//
12	العلاقات الدّلاليّة و التّطوّر الدّلالي	//
13	العلاقة بين الدّوال و المدلولات	//
14	علاقة المشترك اللّفظي	//
15	علاقة التّرادف	//
16	علاقة التّضادّ	//

مقدّمة

مقدّمة :

الحمد للّه ربّ العالمين ، و الصّلاة و السّلام على سيّدنا محمّد ، وعلى آله و أصحابه أجمعين ، أمّا بعد:

اللّغةُ ظاهرةٌ إنسانيّةٌ و اجتماعيّةٌ شأنُها شأنُ الكائنِ الحيّ النّامي ، تنمو بنموّه، و تتطوَّرُ بتطوُّرِهِ و مادامت كذلك فهي عرضةٌ للتّطوّرِ في مختلف عناصرها ؛ أصواتِها وقواعدِها وأبنيتِها ودلالاتِها إذا ، فتطوّر اللّغة يشمل مختلف مستوياتها ؛ الصّوتيّة و الصّرفيّة و النّحويّة و الدّلاليّة ، و إن كان الاختلاف في درجة التّطوّر واضحا ، إذ إنّ المستوى الدّلاليّ أكثر استجابة و أكثر عرضة للتّطوّر على خلاف بقيّة المستويات الأخرى ، و يرجع السّبب في ذلك إلى أنّ الأصوات و الصّيغ و التّراكيب تجنح إلى مبدأ الاستقرار و الثّبات ، و على العكس من ذلك ، فإنّ المفردات تنافي مبدأ الاستقرار و الثّبات لارتباطها بظروف الحياة المتغيّرة ، فالألفاظ تتغيّر و الدّلالات تتغيّر أيضا تبعا لتغيرّ نمط تفكير الإنسان ، إذ لا يمكن أن يبقى نمطه التّفكيريّ رهين فترة زمنيّة معيّنة ، ورهين نسق ثقافيّ أو اجتماعيّ معيّن ، بل إنّ نمطه التّفكيريّ في حركيّة دائمة ، و هذه الحركيّة أو الدّينامكيّة تستدعي ألفاظا جديدة و دلالات جديدة أيضا ، فما يطرأ على الفكِر يطرأ على اللّغة أيضا .

و بذلك ، فإنّ التّطوّر اللّغويّ يقصد به التّغيّر الذي يحصل للّغة في مختلف مستوياتها الصّوتيّة و الصّرفيّة و النّحويّة و الدّلاليّة عبر مراحلها التّاريخيّة نتيجة عوامل و أسباب متعدّدة ترتبط ارتباطا وثيقا بحياة الأمم في مختلف مجالاتها ، أي أنّ علاقة التّطوّر الدّلاليّ بالتّطوّر اللّغويّ ، هي علاقة الجزء بالكلّ ، لأنّ التّطوّر الدّلاليّ مجال من مجالات التّطوّر اللّغويّ ، إذ يقصد به في صورته العامّة التّغيّر الذي يصيب دلالات الألفاظ في لغة ما عبر عصورها المختلفة ، متى توافرت الدّواعي أو الأسباب التي تؤدِّي إلى ذلك .

و انطلاقا من هذا الطّرح ، فقد خُصّصت هذه المحاضرات الموجّهة لطلبة السّنة الأولى ماستر نظام

ل م د ، تخصّص لسانيات تطبيقيّة ، لمناقشة بعض القضايا المتعلّقة بالتّطوّر اللّغويّ بشكل عامّ و التّطوّر الدّلاليّ بشكل خاصّ ، ولعلّ بيان الغاية من إعداد هذه المحاضرات ، إضافة إلى الأهداف التي ذكرت سابقا ، هو تحقيق بعض الأهداف البيداغوجيّة و التّعليميّة ، أهمّها :

- الإجابة عن كثير من الإشكالات والأسئلة التي كثيرا ما تطرح من قبل الطّلبة للنّقاش حول هذا الموضوع، أهمّها تحديد الفروق بين مصطلحيّ التّغيّر والتّطوّر، كون هذا الموضوع مبرمجا في سنتين سابقتين، من سنوات الدّراسة، بمصطلحين؛ فهو مبرمج في السّنة الثّانية ليسانس ضمن محاور مقياس علم الدّلالة بمصطلح التّغيّر الدّلاليّ و مبرمج في السّنة الثّالثة ضمن مقياس علم الدّلالة أيضا بمصطلح التّغيّر و التّطوّر، و مبرمج في السّنة الأولى ماستر في مقياس مستقلّ بمصطلح التّطوّر الدّلاليّ، ممّا يثير تساؤلا، ما سبب تغيير المصطلح من سنة إلى سنة أخرى؟ وهل هناك دافع من وراء هذا التّغيير ؟ أم أنّ مصطلح التّغيّر مرادف لمصطلح التّطوّر و لا توجد حدود فاصلة بينهما في نظر معدّي محاور المقياس ؟

- تحديد ميادين وقضايا هذا المقياس، ومحاولة الرّبط بين محاوره .

-التّوسّع في طرح قضايا هذا المقياس، إذ ليس الهدف من طرح قضاياه تلقين المعلومات، كون الفئة المستهدفَة (الطّلبة) تمتلك زادا معرفيّا حول قضاياه ، فعظم القضايا قد تمّ طرحها في سنوات سابقة ، و إنّما الهدف الرّئيس هو تعويد هذه الفئة على قراءة النّصوص و استنطاقها ، إذ كلّ محاضرة تحتوي نصوصا مستقاة من التّراث العربيّ القديم و الدّرس اللّغويّ الحديث و المعاصر ، وهي نصوص ثرّية بأفكارها تستدعي التّمعّن و النّقاش على أفق أوسع .

- تعويد الطّلبة على الرّبط بين الجانب النّظريّ و الجانب التّطبيقيّ، إذ ليس الهدف من الممارسة التّعليميّة التّعلّميّة حشو ذهن الطّلبة بالمعلومات النّظريّة دون مقدرتهم على تجسيدها فعليّا، و قد جسّد هذا الأمر

من خلال الأمثلة التّطبيقيّة التي تتضمنّها كلّ محاضرة ، ومن خلال النّصوص التّطبيقيّة المستقاة من كتب التّراث العربيّ و كتب الدّراسات اللّغويّة الحديثة .

و لا شكّ أنّ القارئ لهذه المحاضرات سيلحظ تفاوتا في عدد صفحاتها ، و يلحظ أيضا تغييرا في ترتيب بعض محاورها ، ويلحظ أيضا إدراج بعض القضايا التي أغفلت في محاور المقياس ؛ أمّا **السّبب الأوّل** فيعود إلى القضيّة في حدّ ذاتها ، فبعض قضايا المقياس تحتاج إلى استفاضة كبيرة بغية فهمها و استيعابها بشكل أفضل ، و الوصول أيضا إلى كنهها و أغوارها ، و بعضها الآخر لا يحتاج إلى تفصيل كبير ، لأنّ معالمها واضحة ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، فإنّ محاور بعض المقياس في حدّ ذاتها تمثّل عناوين رئيسة لعناوين فرعيّة ، كان يفترض إدراجها تحت عنوان واحد فقط ، أمّا **السّبب الثّاني** فمردّه إلى مراعاة التّسلل المنطقيّ في كيفيّة طرح و معالجة القضايا ، و أمّا **السّبب الثّالث** ، فيعود إلى الحاجة الماسّة إلى طرح هذه القضايا التي أضيفت ، فهي تمثّل مفتاح القضايا الأخرى .

أمّا عن المحور الرّئيس الذي نراه محورا رئيسا في هذه المحاضرات ، و قد أغفلت برمجته ، فهو محور مجالات التّطوّر اللّغويّ ، إذ لا يعقل أن نلج مباشرة إلى دراسة التّطوّر الدّلاليّ و هو مجال من مجالات التّطوّر اللّغويّ ، قبل دراسة المجالات الأخرى ، أو المستويات الأخرى ، وهي : المجال الصّوتيّ ، و المجال الصّرفيّ و المجال النّحويّ ، و هو ما أدّى بنا إلى التّساؤل ما الدّاعي إلى برمجة محور معنون : أقسام التّطوّر الدّلاليّ ، و يشمل التّطوّر الصّوتيّ و الصّرفيّ و النّحويّ والأسلوبيّ مع تكرار مصطلح التّطوّر الدّلاليّ ضمن هذا المحور مع إغفال مجالات التّطوّر اللّغويّ ؟ إذ كان يفترض برمجة مجالات التّطوّر اللّغويّ في بداية المحاضرات، لكي تكون المحاضرات متسلسلة بشكل منطقيّ، ويكون الانتقال من الكلّ إلى الجزء.

و قَدْ تمّت الاستعانة في إعداد هذه المحاضرات بمجموعة كبيرة من المصادر و المراجع التي لها علاقة وطيدة بطبيعة المقياس ، أهمّها المعاجم اللّغويّة ، كمعجم مقاييس اللّغة **لابن فارس** ، ومعجم أساس البلاغة **للزّمخشري** ، ومعجم لسان العرب **لابن منظور** ، وكذلك بعض المعاجم المعاصرة ، مثل معجم اللّغة العربيّة المعاصرة ، ومعجم الصّواب اللّغويّ **لأحمد مختار عمر مع فريق عمله** ، و المصادر اللّغويّة التّراثيّة ، ككتاب **سيبويه** ، و الخصائص **لابن جنّي** ،و المزهر في علوم اللّغة و أنواعها **للسّيوطي** و غيرها من المصادر ، و كتب علم الدّلالة المتنوّعة ، ككتاب دلالات الألفاظ **لإبراهيم أنيس** ، و علم الدّلالة **لأحمد مختار عمر** ، و التّطوّر اللّغوي ، مظاهره و علله و قوانينه **لرمضان عبد التّوّاب**

و دور الكلمة في اللّغة ، **لستيفن أولمان** ، و غيرها من الكتب ، و قد تمّ إدراجها في قائمة المصادر و المراجع مفصّلة .

أمّا عن المنهج المتّبع في معالجة قضايا هذا المقياس، فهو المنهج الوصفيّ القائم على إجراء التّحليل، وهو منهج يتوافق وخصوصيات القضايا المطروحة، إذ تتطلّب الوصف والتّحليل في الوقت نفسه .

و تبقى هذه المطبوعة التي تحتوي محاضرات حول مجال التّطوّر اللّغويّ بصورة عامّة و التّطوّر الدّلاليّ بصورة خاصّة جهدا متواضعا قدّم بكلّ جدّية و إخلاص ، فإن و فّقنا فيها ، فما توفيقنا إلاّ من اللّه عزّ و جلّ ، و إن أخطأنا فحسبنا أنّنا اجتهدنا ، قال **المُزنيُّ إسماعيل بن يحي (ت 264هـ) ،صاحب الشّافعي** : « لو عُورِضَ كتابٌ سبعين مرّة لوجدنا فيه خطأ ، و أبى اللّهُ أن يكونَ كتابٌ صحيحٌ غيرَ كتابِه » [1]

و السّلام عليكم و رحمة اللّه تعالى و بركاته. **رفيقة بن ميسية ، يوم 14-12-2020م**

1) **ينظر: الأصمعي ، عبد الملك بن قريب (ت 217هـ) ، ما اختلفت ألفاظه و اتّفقت معانيه ، تحقيق و شرح و تعليق ماجد حسن الذّهبي ، دار الفكر للطّباعة و التّوزيع و النّشر ، دمشق ، سوريّة ، ط1 ، 1406 هـ 1986م ، ص 6 .**

المحاضرة الأولى : التّطوّر اللّغويّ نظرة تاريخيّة

المحاضرة الأولى : التّطوّر اللّغويّ نظرة تاريخيّة

أوّلا : تاريخ اللّغة أطوار تشبه أطوار خلق الإنسان

هناك شبه بين تطوّر اللّغة و تطوّر الإنسان، حتى و إن كان الشّبه مجازيّا ، فكما يمرّ خلق الإنسان بمراحل ، تمرّ اللّغة أيضا في أطوارها التّاريخيّة بمراحل ، حيث يعقب هذه المراحل أنواع شتّى من التّغيّر و التّبدّل ، فقد تكون على مستواها الصّوتي ، و قد تكون على مستواها الصّرفيّ

و قد تمسّ جانبها التّركيبي ، و قد تطرأ على مستواها الدّلاليّ ، و قد تشملها جميعا، **يقول عبد الرّحمن بودرع :** « فتاريخُ اللّغة أطوار كأطوار خَلق الإنسان وارتقائه من عُمر إلى عمر... ، ولَقَد شَهدَت اللّغاتُ وتَشهدُ مرحلةَ الطّفولة ،ثمّ الشّباب و الاكتهال والشّيخوخَة ، فتضعُف وتحلّ محلّها لغةٌ أخرى، أو هي تتحلّلُ في لغةٍ أخرى . »[1]

إنّ هذا القول يحيلنا إلى الإقرار بعدّة مسائل ، أهمّها ؛ الشّبه الموجود بين اللّغة و الإنسان ، فتاريخ اللّغة أطوار مختلفة ، تشبه أطوارها أطوار عمر الإنسان ، فأطوار عمر الإنسان هي الطّفولة و الشّباب و الكهولة و الشّيخوخة ، و كذا الأمر بالنّسبة للّغة ، فهي تتطوّر تدريجيّا ، هذا من جهة ، و من جهة أخرى ، فقد يصيبها نوع من الرّقي و التّطوّر بفعل تجَدُّدها و إضافة عناصر لغويّة إلى رصيدها الثّقافي تواكب كلّ التّطوّرات التي يشهدها المجتمع في مختلف الميادين دون المساس بإرثها الحضاري ، و قد يصيبها نوع من التّلاشي و الاضمحلال بفعل عوامل كثيرة أهمّها انصهارها في لغات أخرى تكون أكثر قوّة منها من حيث النّفوذ السّياسي و اللّغوي ، مثلما حدث مع لغتنا العربيّة التي تحلّلت في لغات المستعمر أثناء سيطرته على البلدان العربيّة ، كما تتلاشى أيضا بفعل طغيان الاستعمال العاميّ على الاستعمال الفصيح ، و هو ما

---

[1]- **عبد الرّحمن بودرع ، بين التّطوّر اللّغويّ و التّغيّر اللّغويّ و الانفتاح اللّغويّ ، مقال نشر في موقع ، مجمع اللّغة العربيّة على الشّبكة العالميّة https://www.m-a-arabia.com/site/8683.html، تاريخ الاطّلاع عليه : الأحد 28 - 06-2020 م ، في السّاعة العاشرة صباحا .**

🕮. المحاضرة الأولى : التّطوّر اللّغويّ نظرة تاريخيّة .

نشهده اليوم على لغتنا المعاصرة ، التي تكاد تعابيرها و أساليبها تقترب من العاميّة ، يقول عبد **الصّبور شاهين** : « فاللّغة العربيّة الخالدة تواجه الآن وضعا عجيبا قوميّا و حضاريّا ، أمّا قوميّا ، فهي تقف في مواجهة حشد من اللّهجات التي تنتمي إليها ، و في مواجهة جهود تحاول إقصاءها عن مجال الاستعمال انتصارا لتيّار العاميّات ، و أمّا حضاريّا ، فإنّ لغة الحضارة الحديثة و هي (الإنجليزيّة) في المقام الأوّل قد طغت على وجود العربيّة في مجال العلوم داخل الوطن العربيّ ، ثمّ إنّ طوفانا من الألفاظ الجديدة يتدفّق كلّ يوم على هذه اللّغة المعزولة ، و يراد منها أن تستوعبه . » [1]

و يؤكّد **عبد الحميد النّوري عبد الواحد** فكرة تطوّر اللّغة عبر مراحل ، مقرّا أنَّ اللُّغات الأصل لمّا تنشأ عنها فروعٌ أخرى تَضعُف وتتلاشى، وتضمحلُّ أو تموت ، و أنّ موت اللّغة مقرون بعدم الاستعمال يقول : « والدّليل على هذا التّطوُّر أنَّ اللّغة لها طور تُولَد فيه وتنشأ، وطور تزدهر فيه، وآخر تتلاشى فيه أو تضمحلُّ، والدّليل على هذا النّشوء والاضمحلال، ما نُعاينه في الكثير من اللُّغات ، أو في أغلب اللُّغات التي نشأت عن أصل ثابت، أو شبه ثابت، وانتهت إلى فرع أو فروع مختلفة، من ذلك مثلًا الفرنسيَّة والإيطاليَّة والإسبانيَّة والبرتغاليَّة التي تعود كلُّها إلى أصل لاتينيٍّ يرجع إلى القرنين الثّاني والثّالث الميلاديَّين، ومن ذلك العربيَّة أيضًا التي تعود إلى العربيَّة القديمة أو إلى اللّغة الساميَّة؛ أي: إلى القرن الرّابع قبل الميلاد و أكثر، ومن المعلوم أنَّ اللُّغات الأصل لَمَّا تنشأ عنها فروعٌ أخرى تَضعُف وتتلاشى، وتضمحلُّ أو تموت، وموت اللُّغات ممَّا تشهده أو شهِدته لغات كثيرة، والتّاريخ شاهدٌ عليها، وذلك مثل الآشوريَّة والسّوماريَّة والفرعونيَّة، والسّنسكريتيَّة

---

1)- **عبد الصّبور شاهين ، في التّطوّر اللّغويّ ، مؤسّسة الرّسالة ، ط2 ، 1405هـ -1985م ، ص 7.**

وغيرها، وموت اللّغة يكون باضمحلال المجموعة اللّسانيَّة التي تستعمل تلك اللّغة، أو بالأحرى بآخِرِ مَنْ يتكلَّم بها . » [1]

ثانيا : حتميّة التّطوّر اللّغويّ

اللّغةُ ظاهرةٌ إنسانيّةٌ و اجتماعيّةٌ شأنُها شأنُ الكائنِ الحيّ النّامي ، تنمو بنموّه، و تتطوَّرُ بتطوُّرِهِ و مادامت كذلك ، فهي عرضةٌ للتّطوّرِ في مختلف عناصرها ؛ أصواتِها وقواعدِها وأبنيتِها ودلالاتِها ، يقول **رمضان عبد التّوّاب** « اللّغةُ كائنٌ حيٌّ ؛ لأنّها تحيا على ألسنة المتكلِّمين بها ، وهم من الأحياءِ ، وهي لذلك تتطوَّرُ وتتغيَّرُ بفعلِ الزَّمن ، كما يتطوَّرُ الكائنُ الحيُّ ويتغيَّرُ، وهي تخضعُ لما يخضعُ له الكائنُ الحيُّ في نشأتِهِ ونُموّهِ وتطوُّرِه ، وهي ظاهرةٌ اجتماعيَّةٌ ، تحيا في أحضانِ المجتمعِ ، وتستمدُّ كيانَها منه ، ومن عاداتِه وتقاليدِه وسلوكِ أفرادِه ، كما أنَّها تتطوَّرُ بتطوُّرِ هذا المجتمعِ، فترقى برقيِّه، وتنحطُّ بانحطاطِهِ»[2] . و يؤكد أيضا **حسن جبل** هذه الفكرة قائلا :« الحياةُ متجدِّدةٌ دائمًا، وهذا واقعٌ أوضحُ من أن يحتاج إلى برهانٍ ، والفكرُ الذي يكيِّفُ ما يجري في الحياة ، ثمَّ يحدِّده ليكوّن معاني تصلحُ أن توضع **في قوالب** لغويَّةٍ - هو أيضاً - دائبُ السَّبحِ والتَقَلُّبِ والتَّجديدِ بما لا حدودَ له ، فمن الطَّبيعيّ أن تكون اللُّغةُ المعبِّرةُ عن الحياةِ والفكرِ متجدِّدةً بل مُتَوَثِّبَةَ التَّجدُّدِ؛ لتلاحِقَ تلك الحياةِ وذلك الفكرِ في التَّعبير عنهما .»[3]

---

1)- **عبد الحميد النّوري عبد الواحد ، تطوُّر اللّغة ، مقال نشر في شبكة الألوكة ، https://www.alukah.net/literature_language/0/129523 / ، تاريخ الاطّلاع عليه : يوم الأحد 28-6-2020 ، السّاعة الثّانية مساء .**

2)- **رمضان عبد التّوّاب ، التّطوّر اللّغوي ، مظاهره و علله و قوانينه ، النّاشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط 3 - 1417هـ ، 1997م ، ص 9 .**

3)- **محمد حسن جبل : الاستدراك على المعاجم العربيَّة في ضوء مئتين من المستدركات الجديدة على لسان العرب وتاج العروس ، دار الفكر العربي، القاهرة ، مصر ، ص35.**

ويقول ستيفن أولمان : « اللّغة ليست هامدةً أو ساكنةً بحال من الأحوالِ، على الرَّغم من أنَّ تقدُّمَها يبدو بطيئًا في بعض الأحايينِ ، فالأصواتُ والتَّراكيبُ والعناصرُ النَّحويَّةُ وصيغُ الكلماتِ ومعانيها معرَّضةٌ كلُّها للتَغيُّرِ والتَّطَوُّر ، و لكن سرعة الحركةِ و التَّغيُّر فقط هي التي تختلفُ من فترةٍ زمنيَّةٍ إلى أخرى

و من قطاعٍ إلى آخر من قطاعات اللّغةِ ، فلو قمنا بمقارنةٍ كاملةٍ بين فترتين متباعدتين ، لتكشَّف لنا الأمرُ عن اختلافات عميقةٍ كثيرةٍ من شأنها أن تعوق فهمَ المرحلةِ السَّابقة و إدراكَها إدراكا تامًّا . » [1]

إذا فتطوّر اللّغة أمر لا مناصّ منه ، و هو لا يقتصر على مستوى من مستوياتها ، بل إنّه يشمل جلّ مستوياتها ؛ الصّوتيّة و الصّرفيّة و النّحويّة و الدّلاليّة ، مع الاختلاف في درجة و طرائق ذلك التّطوّر ، كما أنه لا يقتصر على لغة دون أخرى ، بل إنّ لغات العالم كلّها معرّضة للتّبدّل و التّغيّر من حقبة زمنيّة إلى أخرى ، و من جيل لآخر.

و يمكن البرهنة على تطوّر اللّغة من ناحيتين ؛ **أولاهما** النّاحية اللّغويّة ، **و ثانيتهما** النّاحية المنطقيّة .[2]

أ) **<u>النّاحية اللّغويّة</u>** : حيث يتمّ الإقرار بأنّ هناك تطوّرا فعليّا على المستوى اللّغويّ للّغة ، فأصواتها و تراكيبها و أساليبها و صيغها و دلالاتها معرّضة كلّها للتّغيّر و التّبدّل ، و خير دليل على هذا التّغيّر ما نلاحظه على التّغيّرات التي حصلت للّغة العربيّة في مختلف مستوياتها، إذ يتجلّى التّغيّر في المستوى الصّوتيّ في مظاهر و أشكال متعدّدة ،منها : اختفاء بعض الأصوات من اللّغة العربيّة المعاصرة ؛ مثل صوت **الضّاد** القديمة ، و هي أقلّ شدّة ممّا ينطق بها في العربيّة اليوم [3] ، و تغيّر مخرج صوت ما إلى مخرج آخر ، و من أمثلة ذلك

---

1)- ستيفن أولمان : دور الكلمة في اللّغة ، ترجمه و قدّم له و علّق عليه كمال بشر ، مكتبة الشّباب ، ص 153 .

2)- ينظر : محمّد محمود أحمد محجوب ، التّطوّر في لغتنا ، حتميته وانعكاساته ، مقال ضمن ندوة بعنوان" :اللّغة العربيّة في بيئات ومجالات مختلفة " احتفالا باليوم العالمي للّغة العربية، الدّوحة 27/26 /12/ 2015م .

3)- ينظر : إبراهيم السّامرائي ، التّطوّر اللّغويّ التّاريخيّ ، دار الأندلس ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1401هـ - 1981م ، ص 35 .

تغيّر مخرج **الضّاد** ، حيث إنّ الضّاد مخرجها عند القدماء من بين أوّل حافة اللّسان و ما يليها من الأضراس [1] ، و مخرجها عند المحدثين من الأسنان و اللّثة [2] ، و مخرج **الجيم** عند القدماء من وسط اللّسان بينه و بين وسط الحنك الأعلى [3] ، و مخرجها عند المحدثين من الغار ، أي من أقصى الحنك إلى وسطه [4] ، و تغيّر صفة صوت ما إلى صفة أخرى ، و من أمثلة ذلك ، صوت **الضّاد** ، فهو رخو عند القدماء [5]، و انفجاريّ عند المحدثين [6] ، و صوتا **الطّاء و القاف** ، فهما صوتان مجهوران عند القدماء [7]، و مهموسان عند المحدثين [8] ، و تحوّل صوت إلى صوت آخر على مستوى النّطق مثلما هو ملاحظ اليوم على مستوى نطق بعض الأصوات ؛ حيث تنطق الثّاء تاء ، و الضّاد ظاء ، أو العكس ،إضافة إلى استحداث بعض

---

1)- ينظر: سيبويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت180هـ) ، الكتاب ، تحقيق و شرح عبد السّلام محمّد هارون ، النّاشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط3 ، 1408هـ - 1988م ، ج 4، ص 433 ، ابن جنّي ، سرُّ صناعة الإعرابِ ، دراسة و تحقيق حسن هنداوي ، ج 1 ، ص 47 .
2)- ينظر: رمضان عبد التّوّاب ، المدخل إلى علم اللّغة و مناهج البحث اللّغويّ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ط2 ، 1405هـ -1985م ، ص 63-64 ، تمّام حسّان ، اللّغة العربيّة معناها و مبناها ، دار الثّقافة ، الدّار البيضاء ، المغرب ، ط 1994م ، ص 79 .

3)- ينظر: سيبويه ، الكتاب ، ج 4، ص 433 ، ابن جنّي ، سرُّ صناعة الإعرابِ ، ج 1 ، ص 47 .
4)- ينظر: رمضان عبد التّوّاب ، المدخل إلى علم اللّغة ، ص 78-221 ، تمّام حسّان ، اللّغة العربيّة معناها و مبناها ، ص 79 .

5)- ينظر: سيبويه ، الكتاب ، ج 4، ص 434-435 .
6)- ينظر: رمضان عبد التّوّاب ، المدخل إلى علم اللّغة ، ص 64-65 ، تمّام حسّان ، اللّغة العربيّة معناها و مبناها ، ص 79 .

7)- ينظر: سيبويه ، الكتاب ، ج 4، ص 434 .
8)- ينظر: رمضان عبد التّوّاب ، المدخل إلى علم اللّغة ، ص 75-78 ، تمّام حسّان ، اللّغة العربيّة معناها و مبناها ، ص 79 ، عبد الصّبور شاهين ، في التّطوّر اللّغويّ ، ص 193...196 .

الأصوات في بعض اللّهجات العاميّة ؛ منها صوت القاف الذي ينطق في اللّهجات الجزائريّة بأشكال مختلفة ممثّلة في الكاف و الألف ، أمّا على المستوى الصّرفي ، و يتجلّى هو الآخر في مظاهر كثيرة ،أهمّها : طغيان أبنية صرفيّة في الاستعمال على غرار أبنية أخرى ، فشتّان بين استعمال صيغ " **فَعَّلَ** " و " **أَفْعَلَ** " و " **انْفَعَلَ** " و " **افْعَلَّ** " و استعمال صيغتي " **افْعَوْعَلَ و افْعَالَّ** [1] ، سواء على مستوى اللّغة العربيّة القديمة أو على مستوى اللّغة العربيّة المعاصرة ، و هجران أبنية أخرى من الاستعمال ، إذ لم تعد عربيّة اليوم تستعمل صيغا صرفيّة ، مثل " **افْعَنْلَلَ و افْعَنْلَى و افْعَوْعَلَ** " و **افْعَوَّلَ** " ، فبعدما كانت قليلة الاستعمال أصبحت مهجورة [2] ، إضافة إلى التّطوّر الذي يحصل على مستوى تغيّر معاني بعض الأبنية ، و من مثل ذلك نقل صيغة " **فِعَال** " من دلالتها على المبالغة إلى دلالتها على اسم الآلة [3]، أمّا على المستوى التّركيبي ، فهناك مظاهر كثيرة أيضا ، أبرزها : استحداث بعض التّراكيب اللّغويّة بفعل عامليّ التّرجمة و الاحتكاك باللّغات الأخرى [4]، و هجران بعض الاستعمالات اللّغويّة رغم قياسيتها و موافقتها للنّظام اللّغويّ الصّحيح ، كبعض ألفاظ التّوكيد المعنوي ، نحو : أبتع ، أبصع ، أكتع [5] ، و أسلوب الاستغاثة

---

1)- ينظر: حسن ظاظا : اللّسان والإنسان- مدخل إلى معرفة اللّغة ، دار القلم ، دمشق ، الدّار الشّامية، بيروت ط2 ، 1410 هـ - 1990م ، ص 114 ، بتصرّف .

2)- ينظر: إسماعيل أحمد عمايرة ، المستشرقون و المناهج اللّغويّة ، دار حنين ، عمان ، الأردن ، ط 2 ، 1992 م ، ص 35 .

3)- ينظر: خالد بن سعود بن فارس العصيمي ، القرارات النّحويّة و التّصريفيّة لمجمع اللّغة العربيّة جمعا و دراسة و تقويما إلى نهاية الدّورة الحادية و السّتّين عام 1415هـ - 1995م ، ص 432-433 .

4)- ينظر: إبراهيم السّامرائي ، التّطوّر اللّغويّ التّاريخيّ ، ص 7- 8 .

5)- ينظر: إبراهيم السّامرّائي ، النّحو العربي في مواجهة العصر ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1415هـ - 1995م ، ص 114-115 ،

و النّدبة و غيرها [1] ، أمّا على المستوى الدّلالي ، و هو الجانب الأكثر عرضة للتّطوّر ، فنلمس فيه تغيّر دلالات بعض الألفاظ ، مثلما هو ملاحظ على الألفاظ الإسلاميّة ، إذ خصّص بعضها و عمّم بعضها الآخر ، و قد استحدثت ألفاظ جديدة لم تكن معروفة من قبل ، كما استحدثت مدلولات جديدة لألفاظ قديمة توافق مستجدّات العصر ، و قد هجرت ألفاظ من الاستعمال ، و ماتت ألفاظ أخرى ، و أعيد إحياء أخرى ، كلّ هذه الدّلائل تفيد بشرعيّة و حتميّة التّطوّر اللّغويّ ، فلغة الأمس ليست هي لغة الحاضر.

ب-النّاحية المنطقيّة :

منطلق هذه النّاحية كلّ الحجج و البراهين التي تؤكّد حتمية التّطوّر اللّغويّ ، إذ لا مجال للشّكّ في أنّ تغيّر اللّغة نتيجة حتميّة لتغيّر المجتمع ، فاللّغة انعكاس مباشر لثقافة المجتمع و سلوكه و نمط تفكيره ، فما يطرأ على المجتمع من تغيّرات يصحبه أيضا تغيّر على مستوى اللّغة ، يقول **كمال بشر:** « فمن المقرّر و الثّابت أنّ اللّغة لا تبقى على حال واحدة ، بل يصيبها دائما و أبدا شيء من التّطوّر أو التّغيّر أو التّبديل في كلّ ظواهرها ؛ صوتيّة أو صرفيّة أو نحويّة أو أسلوبيّة ، ذلك أنّ الحياة نفسها متغيّرة متجدّدة ، و من ثمّ تستلزم أنماطا من الكلام جديدة تقابل حاجاتها التّعبيريّة و تفي بأغراضها و مقاصدها التي تختلف من طور إلى طور ، و من بيئة إلى أخرى ، و هكذا تخضع اللّغة لما يخضع له جميع مظاهر السّلوك الإنسانيّ ، فتتحرّك من موقعها ، فتضيف جديدا أو تنقص قديما أو تجمع بينهما ، و تختلف درجة هذا التّحرّك و عمقه باختلاف الظّروف و الملابسات التي تعيش فيها اللّغة المعيّنة ». [2]

فهذه الدّيناميكيّة غير المتوقّفة لهذا المجتمع في مختلف المجالات تستدعي أيضا ديناميكيّة غير ثابتة في اللّغة في مختلف أنظمتها ، فثمّة إذا صلة وثيقة بينهما ، فما يطرأ على المجتمع يطرأ على اللّغة أيضا.

---

1)- ينظر: إبراهيم السّامرّائي ، النّحو العربي في مواجهة العصر ، ص 113 .

[2])- كمال بشر: دراسات في علم اللّغة ، دار غريب للطّباعة و النّشر ، القاهرة ، مصر ، 1998م ، ص 254 .

ثالثا : قانون التّوازن اللّغويّ :

إنَّ التَّطوّرَ نقطةُ ارتكازٍ تقومُ عليها الدِّراسةُ في مختلفِ فروع العلمِ ، و بالنّظر إلى هذه الفكرةِ ، فإنّه يمكننا أن نفترضَ أنَّ اللُّغةَ في تطوّر مستمرّ يتنازعُها فيه عاملانِ متناقضانِ تُجاهدُ اللّغةُ في الاحتفاظ بتوازنها بينَهما [1] ، وهذان العاملان أو القوّتان ، كما يراهما اللّغوي الفرنسي أرسين **دار مستيتر A . Darmeseteter** ، هما :

أ - **عامل المحافظة :** وهي نزعةٌ طبيعيَّةٌ عند المتحدّثين باللّغة تسعى إلى الإبقاء عليها كما عرفوها في جميع أنظمتها الصَّوتيَّةِ و الصَّرفيَّةِ والنَّحويَّةِ والدَّلاليَّةِ لكي لا تتغيَّرُ ولا تختلفُ .

ب – **عامل التّغيّر أو التّطوّر :** و هو قوةٌ تعملُ على دفع اللُّغةِ نحو التَّطوُّرِ في جميع أنظمتِها . [2]

و لكلّ هذين العاملين منطلق خاصّ به ، فإذا كان عامل المحافظة ، وهو عامل كابح للتّطوّر اللّغويّ ينطلق من فكرة أنَّ اللّغة تراثٌ قوميٌّ ، و قد يكون دينيّا أيضا تقتضي الأمانةُ الحفاظَ عليه كما كان على عهد السّلف ، فإنّ عامل التّطوّر ثوريّ متمرّد على الجمود ، تقف من ورائه الحضارة قوّة دافعة . [3]

وعليه تكونُ اللُّغةُ في صراعٍ دائمٍ بينهما ، فإذا تمسَّكت بالقديم المحافظِ جُمِّدت وتخَلّفت ، وإذا ما فتَحت صدرَها للتَّطوُّر من غير حدودٍ ضاعت شخصيتُها القائمةُ على الانتظام وتعرَّضت للتَّشعُّبِ والاندثارِ [4] ،

---

1)- ينظر : أحمد محمّد قدّور: مصنّفات اللّحن و التّثقيف اللّغوي حتّى القرن العاشر الهجري ، منشورات وزارة الثّقافة ، دمشق 1996 م ، ص 29 .

2)- ينظر : حلمي خليل ، المولّد في العربيّة ، دراسة في نموّ اللّغة العربيّة و تطوّرها بعد الإسلام ، دار النّهضة العربيّة للطّباعة و النّشر ، بيروت ، لبنان ، ط 2 ، 1405 هـ – 1985 م ، ص18- 19 ، أحمد محمد قدّور : مصنّفات اللّحن و التّثقيف اللّغوي حتّى القرن العاشر الهجري ص 29، حسن ظاظا : اللّسان والإنسان- مدخل إلى معرفة اللّغة ، ص93 ...95 ، نقلا عن : Arséne darmesteter: La vie des mots,paris librairie delagrave,1950,p6...27

3)- ينظر : حسن ظاظا ، اللّسان والإنسان- مدخل إلى معرفة اللّغة ، ص 95 ، أحمّد محمّد قدّور ، مصنّفات اللّحن و التّثقيف اللّغوي، ص 29 .

4)- ينظر: حلمي خليل ، الموّلد في اللّغة العربيّة ، ص 19 ، أحمد محمّد قدّور: مصنّفات اللّحن و التّثقيف اللّغوي، ص 29 .

فالتَّغيُّرُ لم يأتِ عبثا أو حشوا أو إفسادا، وإنَّما جاء لمقابلةِ حاجاتِ النَّاس في المجتمع الذي لا يكفُّ عن التَّغيُّرِ في كلِّ مظاهر السُّلوك فيهِ . [1]

و بالنّظر إلى عامليّ المحافظة و التّطوّر الذين تنازع اللّغة بينهما ، فإنّ الحالةَ السّليمةَ للّغة لا بدّ أن تخضع للتّوازن بين هاتين القوّتين كي تصل إلى نوعٍ من التّطوّرِ الهادئ الذي يرتبط بالقديم وتراثه، ولا يرفضُ الجديدَ ومتطلّباته. [2]

و يرى **حلمي خليل** أنّ هذا النّوع من التّطوّر هو ما يطلق عليه مصطلح التّطوير ؛ لأنّ هذا التّوازن لا يحدث في الحقيقة من تلقاء نفسه ، و إنّما يحدث نتيجة لجهد إراديّ يتدخّل لحسم هذا الصّراع

و يكون ذلك عن طريق فرد أو مجموعة من الأفراد كالمجامع اللّغويّة أو الهيئات العلميّة . [3]

---

1)- ينظر: كمال بشر: دراسات في علم اللّغة ، ص 255 .

2)- ينظر: حلمي خليل ، المولّد في اللّغة العربيّة ، ص 19 ، أحمد محمّد قدّور: مصنّفات اللّحن و التّثقيف اللّغوي، ص 29 .

3)- ينظر: حلمي خليل ، المولّد في اللّغة العربيّة ، ص 19 .

📖 المحاضرة الأولى : التّطوّر اللّغويّ نظرة تاريخيّة .

المحاضرة الثّانية : التّطوّر اللّغويّ –مفهومه –مراحله - خواصّه

المحاضرة الثّانية : التّطوّر اللّغويّ –مفهومه –مراحله - خواصّه

أوّلا : قراءة في مفهوم التّطوّر اللّغويّ :

أ - لغة:

مصطلح التّطوّر رغم شيوعه في الاستعمال اللّغويّ ليس له حضور في المعاجم القديمة ، بل إنّ ما استنتج من مفاهيم لغويّة كان مردّه إلى الجذر اللّغويّ للّفظ و ما يحتويه من معان تتقاطع مع مفهومه العامّ ، فالتّطوُّرُ مصدر قياسيّ مصوغ من الفعل الثّلاثيّ المزيد بحرفين ، أي : تَطوَّرَ، و مادّته المعجميّةُ هي "طوَرَ" ، يقول **ابن منظور (ت 711ه) :** « و الطَّوْرُ هو التَّارةُ ، تقول : طَوْرا بعد طَوْرٍ؛ أي : تارةً بعد تارة ٍ، و الطَّوْرُ: الحالُ ، و جمعُه أطوارٌ ، قال الله تعالى : ﴿ **وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً** ﴾**[نوح: 14]** ؛ معناه : ضُروبًا و أحوالاً مختلِفَةً ، و قال الفرّاء : خلقكم أطوارا ، قال : نُطفةً ، ثم عَلقةً ، ثمَّ مُضغةً ، ثمَّ عظما ، و قال الأخفش : طَوْرا : عَلقَةً ، وطوْرًا مُضْغَةً .» **(1)**

أمّا في العصر الحديث فجاء في المعجم الوسيط أنّ : طَوّرَه : حوّله من طَوْرٍ إلى طَوْرٍ ، و هو مشتقّ من الطَّوْرِ، و تَطَوَّرَ بمعنى : تحوَّلَ من طَوْرٍ إلى طَوْرٍ ، و التّطوّر هو التّغيير التّدريجيّ الذي يحدث في بنية الكائنات الحيّة وسلوكها، ويطلق أيضا على التّغيّر التّدريجي الذي يحدث في تركيب المجتمع أو العلاقات أو القيم السّائدة . »[2]

أمّا معجم **اللّغة العربيّة المعاصرة** ، فيجمل كلّ المفاهيم التي دار حولها مصطلح التّطوّر في مفهومه الاصطلاحيّ ، حيث ورد الفعل تطوّر و هو مطاوع طوّر بمعنى : تعدَّل ، تحوَّل تدريجيّا من حال إلى حال ،

---

1)- ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدّين بن مكرم (ت 711ه) ، لسان العرب ، دار المعارف ، م 4/ ج 30، ص 2718- 2719 ، مادّة (طور) .

2)- ينظر: مجمع اللّغة العربيّة ، المعجم الوسيط، النّاشر، مكتبة الشّروق الدّوليّة ، ط 4 ، 1429ه-2008م ، ص 569- 570 ، و ينظر أيضا : مجمع اللّغة العربيّة ، المعجم الوجيز، 1989م ، ص 396 .

🕮. المحاضرة الأولى : التّطوّر اللّغويّ نظرة تاريخيّة .

تطوّر المجتمع في العصر الحديث ، تطوّرت الأسلحة الفتّاكة **تطوّرا مخيفا** ، **تطوّر الطّب العلاجيّ** ....طوَّر المصنعَ : عدَّله **و حسَّنه** ، و نقله من حالٍ إلى حالٍ أفضلَ ، **و تطوُّر** مفرد جمعه تطوّرات لغير المصدر ، و هو يحمل المعاني الآتية :

1-مصدر تَطَوَّرَ ، التّطوّر الاجتماعيّ : التقدّم .

2-انتقال من حال إلى حال ، تغيير واضح .

3-نموّ تدريجيّ في بنية الكائنات الحيّة و سلوكها خلال العصور التّاريخيّة

4-تغيّر تدريجيّ يحدث في تركيب المجتمع أو العلاقات أو القيم أو النّظم أو القيم السّائدة فيه [1] .

و يبدو من خلال التّعاريف اللّغويّة للتّطوّر أنّه يشمل المفاهيم الآتيّة :

- انتقالٌ و تحوّلٌ من حالٍ إلى حالٍ آخرَ .
- تحوّل و تعديل وانتقالُ من حالٍ إلى حالٍ أفضلَ .
- نموّ تدريجيّ خلال العصور التّاريخيّة .
- التّغيّر التّدريجيّ بصورة عامّة بغضّ النّظر عن نوعيته .
- التّحوّل من حال إلى حال لا يكون دفعةً واحدةً ، و إنّما يحدثُ تدريجيًّا .

ب - اصطلاحا :

لم تكن آراء اللّغويين و الباحثين المحدثين واضحة و دقيقة حول تحديد مفهوم التّطوّر اللّغويّ رغم كثرة بحوثهم في هذا المجال ، و رغم محاولتهم التّفريق بين مفهومه و مفهوم آخر يتقاطع معه ألا و هو مفهوم التّغيّر اللّغويّ ، إذ بقي هذا التّفريق مجرّد كلام نظريّ لا أكثر ، و هذا ما نجده واضحا في متن

---

1)- ينظر: أحمد مختار عمر بمساعدة فريق عمل : معجم اللّغة العربيّة المعاصرة ، عالم الكتب ، القاهرة ، مصر ، ط 1 / 1429 هـ- 2008 م ، م 1/ ص 1420 ، مادّة (طور) .

مؤلّفاتهم ، إذ نجدهم يزاوجون بين المصطلحين في الوقت نفسه على الرّغم من اختيارهم لمصطلح واحد في بداية الأمر كما يبدو من خلال عناوين مؤلّفاتهم أو بحوثهم ، و على هذا الأساس يمكننا قراءة هذا الموضوع على أساس تقسيم آرائهم إلى ثلاثة اتّجاهات رئيسة ، هي :

أ-الاتّجاه الأوّل : استعمال التّطوّر اللّغويّ بمعنى يخالف معنى التّغيّر اللّغويّ على أساس أنّ التّطوّر هو الارتقاء و الانتقال من حال إلى حال أفضل ، فاللّغة تنتقل من طور إلى طور و من مرحلة إلى أخرى ، و كلّ مرحلة تكون أفضل و أحسن من الأخرى ، كما أنّ تاريخها أطوار تشبه أطوار عمر الإنسان و ارتقاءه من عمر إلى آخر ، فمن نطفة إلى علقة إلى مضغة إلى عظم .....و هكذا مع بقيّة الأطوار الأخرى ، و هكذا الأمر بالنّسبة للّغة .

فهذه الأطوار تشبه أطوار اللّغة ، و إن كان الشّبه مجازيّا ، أمّا التّغيّر اللّغويّ فهو الانتقال من حالة إلى أخرى بغضّ النّظر عن نوعيّة الانتقال سواء أكان إيجابا أم سلبا ، قوّة أم ضعفا على أساس أنّ اللّغة تتغيّر في أشكال و مظاهر مختلفة ، فأحيانا تسمو و ترقى و أحيانا تضعف و تنحطّ تبعا لعوامل و أسباب متعدّدة ترتبط ارتباطا وثيقا بحياة الأمم في مختلف مجالاتها ، و بهذا التّفريق يكون التّغيّر أشمل من التّطوّر لارتباط التّغيّر بكلّ تغيّر إيجابيّ أو سلبيّ يحصل للّغة في مختلف مستوياتها أو أنظمتها ، و ارتباط التّطوّر بكلّ ما هو إيجابيّ يحصل للّغة أيضا في مختلف مستوياتها ، أي أنّ التّغيّر لا يقترن بنوع معيّن من الانتقال ، بل يشملهما معا ، في حين يقترن التّطوّر بمراحل الانتقال التّصاعديّ و التّدرّج إلى مراتب السّموّ و الكمال و النّمو ، و لعلّ هذا الأمر ما أدّى ببعض اللّغويين و الباحثين إلى اختيار مصطلح التّغيّر بدلا من التّطوّر عنوانا لمؤلّفاتهم أو بحوثهم [1] ، يقول **عبد الرّحمن بودرع** مفرّقا بين المفهومين : « الذي أفهمُه من

---

[1]- **من أمثلة هذه العناوين ، تغيّر المعنى ضمن كتاب علم الدّلالة لأحمد مختار عمر ، تغيّر المعنى ضمن كتاب علم اللّغة مقدّمة للقارئ العربي لمحمود السّعران ، التّغيّر الدّلاليّ ضمن كتاب العربيّة و علم اللّغة الحديث لمحمّد محمّد**

🕮. المحاضرة الأولى : التّطوّر اللّغويّ نظرة تاريخيّة .

التّطوُّر اللّغويّ انتقال اللّغة من طَوْرٍ إلى طَوْرٍ ، فتاريخُ اللّغة أطوار كأطوار خَلق الإنسان وارتقائه من عُمر إلى عمر..... ولَقَد شَهدَت اللّغاتُ وتَشهدُ مرحلةَ الطّفولة ثم الشّباب والاكتهال والشّيخوخَة فتضعُف وتحلّ محلّها لغةٌ أخرى، أو هي تتحلّلُ في لغةٍ أخرى أمّا التّغيّر اللّغويّ فليسَ هو التّطوّر : التّغيّر هو الانتقال من حالة إلى أخرى وهو أعمّ من التّطوّر ؛ لأنّ التّطوّر الارتقاءُ من طورٍ إلى آخَر كتطوّر دلالات الألفاظ ، أمّا التّغيّر اللّغويّ ، فقَد يكون من حالة قوّة إلى حالة ضعف أو العَكس.... . » [1]

إنّ هذا القول يحيلنا إلى الإقرار بعدّة مسائل ، أهمّها :

- تمرّ اللّغة في تطوّرها بمراحل مختلفة ، فتطوّرها لا يكون دفعة واحدة ، و إنّما يكون تدريجيّا ، و هو أمر متّفق عليه و مسلّم به .

- الشّبه الموجود بين اللّغة و الإنسان ، فتاريخ اللّغة أطوار مختلفة ، تشبه أطوارها أطوار عمر الإنسان فأطوار عمر الإنسان هي الطّفولة و الشّباب و الكهولة و الشّيخوخة ، و كذا الأمر بالنّسبة للّغة ، فمسارها يشبه مسار الإنسان، و هو ما يحيلنا إلى القول بأنّ هذا التّشبيه فيه اعتراف ضمنيّ بأنّ اللّغة تأخذ مسارين مختلفين في تطوّرها ، و هما مرحلة الرّقيّ و السّموّ (الطّفولة ، الشّباب ، الكهولة) و مرحلة الاضمحلال و التّلاشي (الشّيخوخة) ، و هو ما يتطابق مع مفهوم التّغيّر لا التّطوّر ، فقد يصيبها نوع من

داود ، أسباب تغيّر المعنى ضمن كتاب دور الكلمة في اللّغة لستيفن أولمان ، تغيّر المعنى ، أنواع التّغيّر ضمن كتاب علم الدّلالة إطار جديد لبالمر ، كيف تُغيّر الكلمات معانيها ضمن كتاب اللّغة لفندريس ، التّغيّر الدّلاليّ و مظاهره ، و هو عنوان لإحدى المحاضرات في مقياس علم الدّلالة للسّنة الثّانية ليسانس تخصّص دراسات لغويّة ، بقسم الآداب و اللّغة العربيّة بجامعة الإخوة منتوري قسنطينة 1 ،

[1]- عبد الرّحمن بودرع ، بين التّطوّر اللّغويّ و التّغيّر اللّغويّ و الانفتاح اللّغويّ ، مقال نشر في موقع ، مجمع اللّغة العربيّة على الشّبكة العالميّة https://www.m-a-arabia.com/site/8683.html، تاريخ الاطّلاع عليه : الأحد 28 - 06-2020 م ، في السّاعة العاشرة صباحا .

الرّقي و التّطوّر بفعل تجدّدها و إضافة عناصر لغويّة إلى رصيدها الثّقافيّ تواكب كلّ التّطوّرات التي يشهدها المجتمع في مختلف الميادين دون المساس بإرثها الحضاري ، و قد يصيبها نوع من التّلاشي و الاضمحلال بفعل عوامل كثيرة أهمّها انصهارها في لغات أخرى تكون أكثر قوّة منها من حيث النّفوذ السّياسيّ و اللّغويّ ، مثلما حدث مع لغتنا العربيّة التي تحلّلت في لغات المستعمر أثناء سيطرته على البلدان العربيّة ، كما تتلاشى أيضا بفعل طغيان الاستعمال العاميّ على الاستعمال الفصيح ، و هو ما نشهده اليوم على لغتنا المعاصرة ، التي تكاد تعابيرها و أساليبها تقترب من العاميّة .

و بذلك فإنّ هذا القول و رغم محاولته التّفريق بين المفهومين إلاّ أنّ حدودهما بقيت غامضة نوعا ما إذ ليس دائما يكون تطوّر اللّغة مقترنا بالأفضل و الأحسن ، بل قد ينحو نحوا عكسيّا ، يقول **إبراهيم السّامرّائي** : « و هكذا يكون سير التّطوّر سلبيّا كما يكون إيجابيّا ، فربّما لا تتطوّر اللّغة نحو مستوى متقدّم رفيع ، بل تنزل إلى درك من التّغيّر و التّبدّل تبعا للمستوى الحضاريّ و الثّقافيّ الذي عليه الأمّة . » [1] ، و يقول **عبد الحميد النّوري عبد الواحد** في مقال له عنونه بـ **" تطوّر اللّغة "** : « والدّليل على هذا التّطوُّر أنَّ اللّغة لها طور تُولَد فيه وتنشأ، وطور تزدهر فيه، وآخر تتلاشى فيه أو تضمحلُّ، والدّليل على هذا النّشوء والاضمحلال، ما نُعاينه في الكثير من اللُّغات أو في أغلب اللُّغات التي نشأت عن أصل ثابت، أو شبه ثابت، وانتهت إلى فرع أو فروع مختلفة، من ذلك مثلًا الفرنسيَّة والإيطاليَّة والإسبانيَّة والبرتغاليَّة التي تعود كلُّها إلى أصل لاتينيٍّ يرجع إلى القرنين الثّاني والثّالث الميلاديَّين، ومن ذلك العربيَّة أيضًا التي تعود إلى العربيَّة القديمة أو إلى اللّغة الساميَّة؛ أي: إلى القرن الرّابع قبل الميلاد و أكثر، ومن المعلوم أنَّ اللُّغات الأصل لَمَّا تنشأ عنها فروعٌ أخرى تَضعُف وتتلاشى، وتضمحلُّ أو تموت، وموت اللُّغات ممَّا تشهده أو شهِدته لغات كثيرة، والتّاريخ شاهدٌ عليها، وذلك مثل الآشوريَّة والسّومريَّة والفرعونيَّة، والسنسكريتيَّة وغيرها،

---

[1]- **إبراهيم السّامرائي ، التّطوّر اللّغويّ التّاريخيّ ، ص 29 .**

وموت اللّغة يكون باضمحلال المجموعة اللّسانيَّة التي تستعمل تلك اللّغة، أو بالأحرى بآخِر مَنْ يتكلَّم بها .

» [1]

و بذلك ، فإنّ مفهوم التّطوّر لا يقتصر فقط على ارتقاء اللّغة و ازدهارها من طور إلى طور ، و إنّما يشمل اضمحلالها و تلاشيها أيضا .

و خلاصة القول في هذا الاتّجاه إنّ مصطلح التّطوّر عند بعض اللّغويين المحدثين يستخدم بمعنى ارتقاء اللّغة و ازدهارها من طور إلى طور ، أي انتقالها في شكلها الإيجابيّ ، في حين يرتبط التّغيّر بكلّ ما يحصل للّغة من قوّة أو ضعف .

و للإشارة فإنّ **حلمي خليل** قد قابل هذا الوجه من التّطوّر و هو انتقال اللّغة من طور إلى طور أحسن و أفضل بمصطلح آخر و هو النّموّ [2] بدلا من التّطوّر على أساس أنّ اللّغة بهذا الانتقال قد أدّت وظيفتها

---

1)- **عبد الحميد النّوري عبد الواحد ، تطوُّر اللّغة ، مقال نشر في شبكة الألوكة ، https://www.alukah.net/literature_language/0/129523 / ، تاريخ الاطّلاع عليه : يوم الأحد 28-6-2020 ، السّاعة الثّانية مساء .**

2)- **ترجم مصطلح النّموّ بـ Evolution أو Development ، ينظر : حلمي خليل ، المولّد في العربيّة دراسة في نموّ اللّغة العربيّة و تطوّرها ، ص 16 ، في حين ترجم مصطلح التّطوّر بـ Evolution ، و ترجم مصطلح النّموّ بـ : Development ينظر عبد القادر الفاسي الفهري ، معجم المصطلحات اللّسانيّة ، إنجليزي ، فرنسي ، عربي ، بمشاركة نادية العمري ، دار الكتاب الجديدة المتّحدة ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 2009م ، ص 97 ، 77 ، و ترجم أيضا مصطلح التّطوّر بـ : Evolution و Development ، ينظر : أحمد محمّد قدّور : مصنّفات اللّحن**

و التّثقيف اللغوي حتى القرن العاشر الهجري ص 30 ، نقلا عن ميتشيل دينكن ، معجم علم الاجتماع ، ترجمة إحسان محمّد الحسن ، 1440هـ - 1980م ، ص 190، 197، 199 .

كما ترجم التّغيّر بـ Change : على أساس تفسير التّطوّر بالتّغيّر ، ينظر حلمي خليل ، المولّد في العربيّة دراسة في نموّ اللّغة العربيّة و تطوّرها ص 17 ، أحمد محمّد قدّور ، مصنّفات اللّحن و التّثقيف اللّغويّ حتى القرن العاشر الهجري ، ص 30 ، و ترجم التّطوّر اللّغوي بـ Linguistic Change ، ينظر : كمال بشر ، دراسات في علم اللّغة ، ص 129 . كما ترجمت اللّسانيات التّطوّريّة بـ : evolutionary Linguistics ، و نموّ اللّغة بـ : Development of Langage ، ينظر : عبد القادر الفاسي الفهري ، معجم المصطلحات اللّسانيّة ، ص 97 . 77 .

على خير وجه ، فقابلت حاجات الإنسان المتجدّدة في حياته الفكريّة و المادّيّة ، و لم تقف عاجزة أو جامدة عن مواكبة الحركة الدّائبة في المجتمع الذي يحتضنها و هذا النّوع من النّموّ اللّغويّ مرغوب فيه لأنّه يثري اللّغة بعكس النّموّ المرضيّ للّغة الذي يؤدّي إلى التّضخّم المعيق لحركة اللّغة نحو الثّراء الحقيقيّ الذي تظلّ به فنّيّة تلبّي حاجات المجتمع و متّصلة اتّصالا وثيقا برقيّ الفكر [1]

و يقابل **عبد الرّحمن بودرع** مفهوم النّمو بهذا الشّكل بالانفتاح ، إذ و خلال و قفته مع ثلاثة مصطلحات تتقاطع فيما بينها و هي التّغيّر اللّغويّ و التّطوّر اللّغويّ و الانفتاح اللّغويّ ، يرى أنّ التّطوّر هو الارتقاءُ من طورٍ إلى آخَر كتطوّر دلالات الألفاظ ، و هو انتقال اللّغة من طور إلى طور ، في حين يعدّ الانفتاح مظهرا من مظاهر التّطوّر اللّغويّ و اللّغة المتطوّرة في نظره هي اللّغةُ ذاتُ القُدرة الذّاتيّة على توليد الدّلالات الجديدَة والمُفرَدات الجديدة، وذاتُ القُدرة على التّطوّر والبَقاء وذاتُ مرونَة تساعدها على الطّواعيّة وعدم الانكسار والانقراض [2] . و بذلك فإنّ مواكبة اللّغة لكلّ مستجدّات العصر و قابليتها لإضافة ألفاظ جديدة و معان جديدة أيضا توافق حياة الإنسان المستجدّة يعدّ نموّا عند **حلمي خليل** و انفتاحا عند عبد **الرّحمن بودرع**

<u>الاتّجاه الثّاني</u>: استعمال التّطوّر اللّغويّ بمعنى التّغيّر اللّغويّ دون التّفريق بينهما :

يستعمل هذا الاتّجاه التّطوّر اللّغويّ بمعنى التّغيّر اللّغويّ دون التّفريق بينهما و هو الاتّجاه الأكثر ورودا ، و ذلك من منطلقين رئيسين ؛ **أوّلهما** أنّ التّطوّر هو التّغيّر الذي يحصل للّغة في مختلف مستوياتها في فترة زمنيّة معيّنة نتيجة عوامل و أسباب متعدّدة ترتبط ارتباطا وثيقا بحياة الأمم في مختلف مجالاتها ، و **ثانيهما**

---

1)- **ينظر: حلمي خليل ، المولّد في العربيّة دراسة في نموّ اللّغة العربيّة و تطوّرها ، ص 16-17 ، نقلا عن حسن ظاظا ، كلام العرب ، ص 100 .**

2)- **عبد الرّحمن بودرع ، بين التّطوّر اللّغويّ و التّغيّر اللّغويّ و الانفتاح اللّغويّ ، مقال نشر في موقع ، مجمع اللّغة العربيّة على الشّبكة العالميّة https://www.m-a-arabia.com/site/8683.html، تاريخ الاطّلاع عليه : الأحد 28 - 06-2020 م ، في السّاعة العاشرة صباحا .**

أنّ التّطّور الحاصل للّغة لا يقصد به تقييمه و الحكم عليه بالقبح أو الحسن ، و إنّما هو مجرّد تتبّع للتّغيّر الذي يحصل للّغة ، و لعلّ هذا الأمر ما جعل كثيرا من اللّغويين و الباحثين يزاوجون في متن مؤلّفاتهم و بحوثهم بين المصطلحين رغم اختيارهم في بداية الأمر لمصطلح واحد [1] ، يقول **رمضان عبد التّوّاب** : « كما أنّ استخدامَ اللّغويين المحدثين لكلمة التّطوّر لا يعني تقييم هذا التّطوّرَ ، و الحكمَ عليه بالحُسن أو القُبح ، فإنّه لا يعني عندهم أكثر من مرادفٍ لكلمة التَّغيّرِ. » [2] ، و يؤكّد **عبد السّلام المسّدّي** الفكرة نفسها في قوله : « إنّ الحقيقة العلميّة التي لا مراء فيها اليوم هي أنّ كل الألسنة البشريّة ما دامت متداولة ، فإنّها تتطوّر، ومفهوم التّطوّر هنا لا يحمل شحنة معياريّة لا إيجابًا ولا سلبًا ، وإنّما هو مأخوذ في معنى أنّها تتغيّر ، إذ يطرأ على بعض أجزائها تبدّل نسبيّ في الأصوات والتّراكيب من جهة ، ثمّ في الدّلالة على وجه الخصوص. » [3]، و يقول **أحمد محمّد قدّور** أيضا : « فالتّطوّر الدّلاليّ يماثل في نظرنا مصطلح تغيّر المعنى

---

1)- **من أمثلة هذه العناوين ، التّطوّر اللّغويّ ، مظاهره و علله ، لحن العامّة و التّطوّر اللّغوي لرمضان عبد التّوّاب ، التّطوّر اللّغويّ التّاريخي لإبراهيم السّامرّائي ، اللّغة و التّطوّر لعبد الرّحمن أيّوب ، في التّطوّر اللّغويّ لعبد الصّبور شاهين ، تطوّر دلالة الألفاظ ضمن كتاب دلالة الألفاظ ، لإبراهيم أنيس ، التّطوّر اللّغوي العام ، الدّلالة و تطوّرها ، ضمن كتاب علم اللّغة ، لعلي عبد الواحد وافي ، اعتبار التّطوّر في اللّغة ، أسباب تطوّر معاني الألفاظ ضمن كتاب فقه اللّغة و خصائص العربيّة لمحمّد المبارك ، التّطوّر الدّلاليّ ضمن كتاب علم اللّغة بين القديم و الحديث لعبد الغفّار حامد هلال ، التّطوّر اللّغويّ ، التّطوّر الدّلاليّ ضمن كتاب العربيّة و علم اللّغة الحديث لمحمّد محمّد داود ، التّطوّر اللّغوي ، التّطوّر الدّلاليّ ، ضمن كتاب مصنّفات اللّحن و التّثقيف اللّغوي حتّى القرن العاشر الهجري لأحمد محمّد قدّور .... ، مسمّى مقياس التّطوّر الدّلاليّ للسّنة الأولى ماستر تخصّص لسانيات تطبيقيّة ، بقسم الآداب و اللّغة العربيّة بجامعة الإخوة منتوري قسنطينة 1، وغيرها من العناوين .**

2)- **رمضان عبد التّوّاب ، التّطوّر اللّغويّ ، مظاهره و علله و قوانينه ، النّاشر مكتبة الخانجي للطّباعة و النّشر ، القاهرة ، ط 2 ، 1410هـ - 1990م ، ص 14 .**

3)- **عبد السّلام المسدّي ، اللّسانيات و أسسها المعرفيّة ، الدّار التّونيسيّة للنّشر ، تونس ، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب ، الجزائر ، 1986 م ، ص 38 .**

من غير أن يحمل صفة تقويميّة تشير إلى الحكم على التّطوّر بالخطأ أو الصّواب و إلى هذا ذهبنا في الفصل الأوّل حين اعتمدنا مصطلح **Change** الذي يدلّ على التّغيّر أيّا كان نوعه و مداه . »[1] ، و يرى **محمود فهمي حجازي** أنّ هناك كثيرا من الباحثين يرفضون كلمة التّطوّر باعتبارها تحمل دلالة الارتقاء ، أي التّغيّر إلى الأفضل ، و هو حكم تقويميّ ، و هو غير ممكن في مجال التّغيّر اللّغويّ ، فليست هناك صيغة أفضل من صيغة ، و ليس هناك صوت أفضل من صوت ، و لذا يفضّل أكثر الباحثين المعاصرين وصف ما يحدث بأنّه تغيّر .[2] ، و بالنّظر إلى آراء هذا الاتّجاه فإنّ **حلمي خليل** يرى أنّه اتّجاه حاول تفسير التّطوّر تفسيرا موضوعيّا على أساس من الواقع ، إذ فسّره بالتّغيّر ، و كلّ ما يعنيه أصحاب هذا الاتّجاه هو أنّ هناك شيئا ما حدث للّغة ، أو أنّ هناك تغيّرات أو ظواهر جديدة لحقت بها في فترة زمنيّة و على هذا المستوى أو ذاك من مستويات البحث اللّغويّ.[3]

و خلاصة القول في هذا الاتّجاه إنّ مصطلح التّطوّر اللّغويّ عند غالبيّة اللّغويين المحدثين و المعاصرين يستخدم بمعنى مطلق التّغيّر بغضّ النّظر عن قيمته سواء أكان إيجابيّا أم سلبيّا ، فليس الهدف هو الحكم على هذا التّطوّر و تقييمه ، و إنّما تتبّع هذا التّطوّر و رصد كلّ التّحوّلات و التّغيّرات التي تحصل للّغة في مختلف مستوياتها .

<u>الاتّجاه الثّالث</u> : استعمال التّطوّر اللّغويّ بمعنى الأطوار التّاريخيّة التي تمرّ بها اللّغة بغضّ النّظر عن تقييمها :

التّطوّر في هذا الاتّجاه يقصد به الأطوار التّاريخيّة التي تمرّ بها اللّغة بغضّ النّظر عن تقييمها ، يقول **محمّد المبارك** : « فكلمة التّطوّر اشتقّت في هذا العصر من كلمة طور على وزن صحيح معروف هو التّفعّل كما

---

[1])- أحمد محمّد قدّور ، مصنّفات اللّحن و التّثقيف اللّغويّ حتّى القرن العاشر الهجري ، ص 296 ، و ينظر أيضا الفكرة نفسها في الفصل الأوّل ، ص 30 .

[2])- ينظر: محمود فهمي حجازي ، مدخل إلى علم اللّغة ، دار قباء للطّباعة و النّشر و التّوزيع ، القاهرة ، ص 23 .

[3])- ينظر: حلمي خليل ، المولّد في العربيّة دراسة في نموّ اللّغة العربيّة و تطوّرها ، ص 17-18 .

اشتّقّوا من الحجر التّحجّر و من النّمر التّنمّر ، و هي كلمة احتيج إليها للتّعبير عن معنى جديد غير التّبدّل و التّغيّر و هو الانتقال من طور إلى طور » [1] ، و **يقول** أيضا في نصّ آخر : « و الغالب أن يحصل هذا التّبدّل على مرّ الأيّام و تقلّبات العصور و يسمّى في هذه الحال تطوّرا ؛ لأنّه انتقال بالكلمة من طور إلى طور ، و لنضرب على ذلك بعض الأمثلة ، إنّ كلمة "طعن " كانت تستعمل في العصر الجاهلي للضّرب بالرّمح ، ثمّ استعملت بعد الإسلام في علم الحديث و الرّواية ، فيقال فلان مطعون في روايته ، ثمّ استعملت في العصر الحديث بمعنى قضائيّ خاصّ كالطّعن في الدّعاوي و الانتخابات ، و بقيت هذه المعاني كلّها ملازمة للكلمة و يعين أحدها سياق الكلام ... » [2]

فمحمّد المبارك في هذا النّصّ لا يريد تأكيد فكرة تقييم الكلمة من حيث السّموّ و الرّقيّ أو الانحطاط و الانحدار ، و إنّما يريد تأكيد فكرة تتبّع المراحل التي مرّت بها الكلمة أثناء تطوّرها ، يقول في نصّ آخر داعيا إلى العدول عن فكرة التّقييم : « و لذلك فإنّ البحث في أطوار اللّغة لا يفيد الحكم دوما بالحسن على الطّور المتأخّر في الزّمن و بالقبح على المتقدّم ، فإنّ البحث العلميّ يتجرّد عن مثل هذا الحكم ، و إنّما يدرس واقعا و يصوّر حقيقة محسوسة و يحاول تحليلها و تعليلها دون أن يحكم عليها بالصّحة و الفساد » [3]

و خلاصة القول في هذا الاتّجاه إنّ مصطلح التّطوّر اللّغوي عند بعض اللّغويين المحدثين يستخدم بمعنى المراحل التّاريخيّة التي تمرّ بها اللّغة بغضّ النّظر عن تقييمها ، إذ ليس الأساس معرفة إن كانت هذه اللّغة

---

1)- **محمّد المبارك ، فقه اللّغة و خصائص العربيّة – دراسة تحليليّة مقارنة للكلمة العربيّة و عرض لمنهج العربيّة الأصيل في التّجديد و التّوليد ، دار الفكر للطّباعة و النّشر و التّوزيع ، ص 325 .**

2)- **محمّد المبارك ، المرجع نفسه ، ص207- 208 .**

3)- **محمّد المبارك ، فقه اللّغة و خصائص العربيّة ، ص 34 .**

في مرحلة قوّة أو ضعف ، بل الأهمّ هو التّتبّع التّدريجيّ للمراحل التي مرّت بها هذه اللّغة في مختلف مستوياتها .

و للإشارة ، فإنّ الاتّجاهين الأخيرين قد يجيبان القارئ عن تساؤل ظلّ عالقا بذهنه لفترة طويلة ، لماذا يستعمل بعض اللّغويين و الباحثين في مؤلّفاتهم و بحوثهم عنوان التّطوّر الدّلاليّ و يدرجون ضمنها كلّ المظاهر و الأشكال وهي التّعميم و التّخصيص و الانتقال و الرّقيّ و الانحطاط ، و هي مظاهر تحمل في ثناياها انتقال دلالة الألفاظ من حال إلى حال و من حال أفضل إلى حال أسوأ ، و من حال أسوأ إلى حال أحسن و أفضل ، و هي مفاهيم ترتبط في الأصل بالتّغيّر و ليس بالتّطوّر حسب مفهوم الاتّجاه الأوّل ، هذا من جهة ، و من جهة أخرى ، فإنّهم يمزجون في هذه المؤلّفات و البحوث بين المصطلحين معا رغم اختيارهم لمصطلح واحد في بداية الأمر ، كما تمّت الإشارة إلى ذلك سابقا .

فالإجابة عن هذا السّؤال في نظرنا مردّها إلى أنّ التّطوّر في نظر هؤلاء اللّغويين المحدثين حسب قراءتنا للموضوع هو مجرّد تتبّع للأطوار التّاريخيّة التي تمرّ بها اللّغة بغضّ النّظر عن تقييمها ، هذا من ناحية و من ناحية أخرى فهو مجرّد تتبّع للتّغيّر الذي يحصل للّغة في مختلف مستوياتها بغضّ النّظر عن الأحكام المعياريّة التي تطلق عليها ، إذ ليس المقصود هو الحكم و التّقييم ، و إنّما ملاحظة هذا التّغيّر الذي يحصل لها عبر مراحلها التّاريخيّة و في مختلف أنظمتها صوتا و صرفا و نحوا و دلالة .

و خلاصة القول في هذا المقام ، فإنّ **التّطوّر اللّغويّ** يقصد به التّغيّر الذي يحصل للّغة في مختلف مستوياتها الصّوتيّة و الصّرفيّة و النّحويّة و الدّلاليّة عبر مراحلها التّاريخيّة نتيجة عوامل و أسباب متعدّدة ترتبط ارتباطا وثيقا بحياة الأمم في مختلف مجالاتها .

ثانيا : مراحل التّطوّر اللّغويّ :

قسّم أولمان مراحل تطوّر اللّغة و تغيّرها إلى مرحلتين أساسيتين ، هما :

أ/ مرحلة الابتداع و التّجديد:

و يظهر هذا التّغيّر عند فرد واحد بعينه ، أو عند مجموعة أفراد لا حصر لهم ، يتصادف أن يتّفقوا في إبداع واحدٍ ، أي أنَّ التَّغيّر الذي يطرأ على مستوى الكلمة سواء من حيث لفظها أو تركيبها أو دلالتها ، قد يكون من ابتداع فرد بعينه ، أو مجموعة أفراد عند استعمالهم لهذا الجديد لأوّل مرّة ، و يأتي هذا الخلق عادة عن طريق الموهوبين ؛ كالشّعراء و الأدباء و بعض أفراد المجامع اللّغويّة .

ب/ مرحلة الانتشار:

و تلي المرحلة السّابقة مباشرة أثناء دخول هذا التّغيير دائرة الاستعمال العام، فإذا سُمع الشَّيء المبتدَعُ في عبارة أو عبارات علِق بالذِّهن و ترتَّبَ على ذلك استعمالُ الآخرين له و نفذ بالتّدريج إلى نظامِ اللّغةِ. (1)

و يفهم من قول أولمان أنّ اللّغة تمرّ في تطوّرها بمرحلتين رئيستين ؛ **أولاهما** ظهور التّغيرّ على مستوى أنظمتها الصّوتيّة و الصّرفيّة و النّحويّة و الدّلاليّة ، و يكون هذا الظّهور لأوّل مرّة عند فرد واحد ،أو عند مجموعة أفراد يتّفقون في قبول هذا التّغيير ، و هم الموهوبون و أصحاب المجامع اللّغويّة ، و **ثانيتهما** دخول هذا التّغيير دائرة الاستعمال ، إذ ينتقل هذا التّطوّر من حيّز الفرضيّة إلى حيّز التّداول و الاستعمال ، و من دائرة الفرد و الجماعة المحدودة إلى دائرة الجماعة الموسّعة .

و يبدو أنّ **أولمان** في هذا التّقسيم قد ركّز في هاتين المرحلتين من مراحل تطوّر اللّغة على نوع واحد فقط من التّطوّر ألا و هو التّطوّر المقصود أو التّطوّر الشّعوريّ ، و هو التّطوّر الخاصّ بالموهوبين كالأدباء و الشّعراء و أصحاب المجامع اللّغويّة ، في حين أهمل نوعا آخر من التّطوّر و هو التّطوّر غير المقصود ، إذ قصره على التّطوّر الذي يكون على مستوى الفرد على سبيل الصّدفة ، و كان يفترض أن يوضّح مراحل هذا النّوع ؛ لأنّ هذا الأخير هو النّوع الذي شغل مجالا كبيرا من اهتمام الباحثين و اللّغويين ، هذا من

1) – ينظر: ستيفن أولمان : دور الكلمة في اللغة ، ص 153- 154 .

جهة ، و من جهة أخرى فإنّ التّطوّر لا يكون اعتباطا أو مجرّد مصادفات ، و إنّما يكون وفقا لقوانين ، حتّى و إن لم تصل هذه القوانين إلى مستوى المفهوم الحقيقيّ للقوانين .

ثالثا : سمات و خواصّ التّطوّر اللّغويّ :

للتّطوّر اللّغويّ خواصّ كثيرة تتقاطع بعضها مع خواصِّ التّطوّرِ الصّوتيّ و الدّلاليّ [1] ، و من أهمِّ هذه الخواصِّ ما يلي :

- التطوّر اللّغويّ يشمل جميع اللّغات ، فكلّ اللّغات عرضة للتّغيّر و التّبدّل عبر العصور و الأجيال و هو ظاهرة طبيعيّة دعت إليها الضّرورة و الحاجة. [2]، يقول **إبراهيم السّامرّائي** : « و يعرض هذا التّطوّر للّغات جميعها أيّا كان مستواها اللّغويّ ، و أيّا كان المستوى الحضاريّ الذي يسود مجموعة بشريّة بعينها . » [3]

- التّطوّر اللّغويّ يشمل مختلف مستويات اللّغة الصّوتيّة و الصّرفيّة و النّحويّة و الدّلاليّة ، و إن كان الاختلاف في درجة التّطوّر واضحا ، إذ إنّ المستوى الدّلاليّ أكثر استجابة و أكثر عرضة للتّطوّر على خلاف بقيّة المستويات الأخرى ، و يرجع السّبب في ذلك إلى أنّ الأصوات و الصّيغ و التّراكيب تجنح إلى مبدأ الاستقرار و الثّبات ، و على العكس من ذلك ، فإنّ المفردات تنافي مبدأ الاستقرار و الثّبات لارتباطها بظروف الحياة

---

[1])- تمّ الاعتماد على استنتاج بعض خوّاص التطوّر اللّغويّ انطلاقا من خوّاصّ التّطوّر الصّوتي و الدّلاليّ لتقاطع خواصّهما مع خواصّ التّطوّر اللّغوي فيما نعتقد ، ينظر: علي عبد الواحد وافي ، علم اللّغة ، نهضة مصر للطّباعة و النّشر و التّوزيع ، ط 9 ، 2004م ، ص 285...288، 315...317 ، رمضان عبد التّواب : التّطوّر اللّغوي ، مظاهره و علله ، ص 21...23 بتصرّف.

[2])- التّطوّر الدّلاليّ ظاهرة شائعة في كلّ اللّغات و هو أمر يستلزم القول بأنّ التّطوّر اللّغويّ أيضا ظاهرة شائعة في كلّ اللّغات ، ينظر: إبراهيم أنيس ، دلالة الألفاظ ، النّاشر ، مكتبة الأنجلو المصريّة ، ط3 ، 1976م ، ص 123 .

[3])- إبراهيم السّامرّائي ، التّطوّر اللّغويّ التّاريخيّ ، ص 27 .

المتغيّرة ، فالألفاظ تتغيّر و الدّلالات تتغيّر أيضا تبعا لتغيرّ نمط تفكير الإنسان ، يقول **فندريس :** « فالنّظام الصّوتيّ يستقرّ منذ الطّفولة و يستمرّ طول الحياة ، فالإنسان يحتفظ حتّى آخر حياته بمجموعة الحركات التي تعوّدت عليها أعضاؤه الصّوتيّة منذ طفولته ، اللّهمّ إلاّ أن يحدث له عارض ناتج من التّعليم ، و ذلك في حالة أن يتلقّى نطقا أجنبيّا يحلّ محلّ النّطق القوميّ ، النّظام الصّرفيّ ثابت أيضا ، نعم إنّ استقراره يتطلّب وقتا أطول ، و لكنّه بعد أن يستقرّ لا يعتريه تغيّر يذكر ، ذلك بأنّ الصّرف لا يتغيّر في أثناء جيل واحد ، بل هو كالصّوتيات إنّما يتغيّر في الانتقال من جيل إلى جيل ، فالنّظام الصّوتيّ و النّظام النّحويّ إذا ما اكتسبا مرّة بقيا طول العمر ، و يدينان باستقرارهما إلى استقرار ذهنيّة المتكلّم ، أمّا المفردات فعلى العكس من ذلك لا تستقرّ على حال ؛ لأنّها تتبع الظّروف ، فكلّ متكلّم يكوّن مفرداته من أوّل حياته إلى آخرها بمداومته على الاستعارة ممّن يحيطون به ، فالإنسان يزيد من مفرداته ، و لكنّه ينقص منها أيضا و يغيّر الكلمات في حركة دائمة من الدّخول و الخروج ،

و لكن الكلمات الجديدة لا تطرد القديمة دائما ، فالذّهن يروّض نفسه على وجود المترادفات و المتماثلات و يوّزعها على وجه العموم على استعمالات مختلفة . » [1]

- يسير ببطءٍ وتَدَرُّجٍ ، فلا يأتي التّطوّر اللّغويّ الذي يحصل في مختلف مستويات اللّغة بشكل مفاجئٍ و سريع ، وإنّما يتمّ على مراحل زمنيّة قد تتباعد ، كما أنَّه يستغرق وقتا طويلا ، وذلك لكي يلحظ و يسجّل في الوقت نفسه ، و قد عرّف التّطوّر في أحد اتّجاهاته بأنّه انتقال اللّغة من طور إلى طور ، أي من مرحلة إلى مرحلة أخرى ، كما شبّهت مراحل تطوّرها بمراحل عمر الإنسان ، و لا شكّ أنّ هذه المراحل يصحبها تغيّر تدريجيّ ، فعلى مستوى تغيّر دلالة المفردات نذكر مثلا كلمة " الصّلاة فقد كانت تعني في العصر الجاهلي الدّعاء ، ثمّ تطوّرت دلالاتها في العصر الإسلامي إلى ركن من أركان الإسلام ،

[1])- ج ، فندريس اللّغة ، تعريب عبد الحميد الدّواخلي ، محمّد القصّاص ، ص 246- 247 .

و كذا الأمر مع بقيّة الألفاظ الأخرى التي تطوّرت دلالاتها بمجيء الإسلام [1] ، و كلمة "**Bureau** " فقد كانت تطلق في البدء على صنف خاصّ من الأقمشة ، ثمّ أطلقت على غطاء مائدة المكتب لاتّخاذه غالبا من هذا الصّنف ، ثمّ أطلقت على مائدة المكتب نفسها ، ثمّ أطلقت على مقرّ العمل و الإدارة لملازمة المكتب لهما [2].

فهذه المعاني التي تتوالى على الكلمات يلحظ أنها لم تأت دفعة واحدة ، و إنّما تغيّرت تدريجيّا و استغرقت وقتا طويلا .

- يحدث من تلقاء نفسه بطريق آليّ لا دخل للإرادة الإنسانيّة فيه و ذلك إلى حدٍّ ما ، فقد تنطق بعض الأصوات على نحو ما بطريقة لا شعوريّة ، فينتشر استعمالها على ذلك النّحو ، مثلما هو الحال في نطق بعض الأصوات على مستوى لهجاتنا الجزائريّة ، إذ تنطق القاف همزة ، في بعض المناطق ، و تنطق الثّاء تاء في بعض المناطق الأخرى ، و حتّى و إن عدّت أخطاء بموازاتها مع اللّغة العربيّة ، إلاّ أنّه لا يمكن تجاهل هذا التّغيّر على مستوى النّطق ، و قد يحدث التَّطوُّرُ وفقًا للإرادة الإنسانيَّة ، ففي مجال الاصطلاح تجد أهل التَّخصّصِ يتواضعون و يتّفقون على وضع مصطلح ما تبعا لما تقتضيه الحاجةُ بحيث يتناسب مع مجال استعماله في التّخصّصِ ، و هو ما تقوم به المجامع اللّغويّة و الهيئات العلميّة المتخصّصة في هذا المجال .

- جبريُّ الظَّواهر، لأنَّه يخضع في سيره لقوانينَ عامّة ، فاللّغة مظهر من مظاهر الحياة الاجتماعيّة ، و هي تتبدّل و تتطوّر ، فهي بذلك تخضع كما تخضع سائر الحوادث و الظّواهر الاجتماعيّة لقوانين تسير عليها و تتطوّر بحسبها ، فليس تبدّلها اعتباطا و لا تطوّرها فوضى ، و خير مثال على ذلك أنّ تطوّر دلالات

---

[1])- ينظر: ابن فارس ، أبو الحسين أحمد بن فارس ، بن زكريا (ت 395هـ) ، الصّاحبي ، تحقيق أحمد صقر ، مطبعة عيسى البابي الحلبي و شركاه ، القاهرة ، ص 78 ...86 ، علي عبد الواحد وافي : علم اللّغة . ص 319- 320 ،

[2])- ينظر: علي عبد الواحد وافي : علم اللّغة . ص 315 .

الألفاظ اتّخذ عدّة أشكال و مظاهر ؛ منها تعميم الخاصّ و تخصيص العام و انتقال الدّلالة من الحسّيّة إلى المجرّدة و من المجرّدة إلى الحسّية ، و قد عدّت هذه المظاهر و الأشكال بمثابة القوانين العامّة التي يسير وفقها كلّ تطوّر دلاليّ .[1] ، وكذلك الأمر بالنّسبة لتطوّر الأصوات ، إذ لا يتم تطوّرها اعتباطا ، و إنّما يكون عادة نتيجة قانون معيّن ، فتطوّر القاف إلى همزةٍ أو غينٍ أو كافٍ أو جيمٍ قاهريةٍ مثلا ، أمرٌ يمكن تفسيره بالقوانين الصَّوتيَّةِ من قربِ المخارجِ أو صفاتِ الأصواتِ ، يقول **علي عبد الواحد وافي** : « اللّغة شأنها في ذلك شأن الظّواهر الاجتماعيّة الأخرى ، عرضة للتّطوّر المطّرد في مختلف عناصرها : أصواتها و قواعدها و متنها و دلالاتها و أنّ تطوّرها هذا لا يجري تبعا للأهواء و المصادفات ، أو وفقا لإرادة الأفراد ، و إنّما يخضع في سيره لقوانين جبريّة ثابتة ، مطّردة النّتائج ، واضحة المعالم ، محققّة الآثار ، لا يد لأحد على وقف عملها أو تغيير ما تؤدّى إليه ، فليس في قدرة الأفراد أن يوقفوا تطوّر لغة ما ، أو يجعلوها تجمّد على وضع خاصّ أو يسيروا بها في سبيل غير السّبيل التي رسمتها لها سنن التّطوّر الطبيعيّ . » [2] ، و يقول **رمضان عبد التّوّاب** أيضا : « و يهمّنا هنا أن نشير إلى أنّ التّطوّر اللّغويّ لا يحدث على نحو مشتّت غير مطّرد ، بل يحدث وفقا لقواعد ثابتة يمكن أن نصوغها في صورة قوانين دقيقة ، إذا تناولنا لغة ما في عصرين متتابعين من تاريخ تطوّرها . » [3]

و بالتّمعّن في هذه الخاصيّة يمكننا تسجيل بعض الملاحظات ؛ **أولاهما** تفيد بأنّ هذا التّطوّر لا ينبغي أن يتنافى مع الضّوابط العامّة للّغة ، صوتا و صرفا و نحوا و دلالة ، و إلاّ عدّ خرقا لنظامها ، **و ثانيتهما** تفيد

---

[1])- ينظر: محمّد المبارك ، فقه اللّغة و خصائص العربيّة ، ص 36-37 .

[2])- علي عبد الواحد وافي ، اللّغة و المجتمع ، شركة مكتبات عكاظ للنّشر و التّوزيع ، ط 1 ، ط4 ، 1403هـ - 1983م ، ص 77 .

[3])- رمضان عبد التّوّاب ، التّطوّر اللّغويّ ، مظاهره و علله ،ص 18 ، و ينظر أيضا : لحن العامّة و التّطوّر اللّغويّ ، النّاشر مكتبة زهراء الشّرق ، ط2 ، 2000م ، القاهرة ، ص 7 – 8.

بأنّه لا يمكن المبالغة في أمر خضوع كلّ تطوّر لغويّ لقانون معيّن ، إذ إنّ علماء اللّغة لم يصلوا بعد إلى الكشف عن جميع القوانين التي يسير عليها التّطوّر في مختلف مستويات اللُّغةِ الأخرى ، و ما كشفوه منها لم يصل بعد في دقَّته و ضبطه و عمومه إلى مستوى القوانين المتعلِّقة بالتَّطوّر الصَّوتيّ [1]

و **ثالثهما:** أنّ هذه القوانين اللّغويّة لا يمكن تشبيهها بقوانين العلوم الطّبيعيّة و الكيميائيّة، و بذلك يجب أن يؤخذ مصطلح القوانين بمعناه الواسع لا بمعناه الدّقيق مثلما هو الحال في هذه العلوم.[2]

- التَّطوّر اللّغوي في غالب أحواله مقيَّدٌ بالزّمان والمكان، فمعظم ظواهره يقتصرُ أثرُها على بيئة معيّنة وعصر خاصٍّ، ولا نكاد نعثرُ على تطوُّرٍ لغويٍّ لحق جميع اللّغات الإنسانية في صورة واحدة ووقت واحد [3]، يقول **ماريو باي** : « إنّ الاتّجاه الطّبيعيّ للّغة ، و بخاصّة في صورتها الدّارجة ، أو المتكلّمة هو اتّجاه يبعدها عن المركز ....، و اللّغة تميل إلى التّغيّر سواء خلال الزّمان أو المكان إلى الحدّ الذي لا توقف تياره العوامل الجاذبة نحو المركز...، هذه الخاصّيّة العالميّة للّغة هامّة لعالم اللّغة التّاريخيّ، حيث إنّها تشكّل الأساس في كلّ تغيّر لغويّ... » [4] ، فتحوّل صوت القاف مثلا إلى همزة لم يظهر إلاّ في بعض المناطق التي تتكلّم العربيّة

---

1)- **استنتجت هذه الفكرة انطلاقا من أنّ علماء اللّغة لم يصلوا بعد إلى الكشف عن جميع القوانين التي يسير عليها التّطوّر الدّلاليّ ، و ما كشفوه منها لم يصل بعد في دقّته وضبطه إلى مستوى القوانين المتعلّقة بالتطوّر الصّوتي ، ينظر: علي عبد الواحد وافي ، علم اللّغة ، ص 23 ، 316 .**

2)- **استنتجت هذه الفكرة انطلاقا من أنّ القوانين الصّوتيّة لا يمكن تشبيهها بقوانين العلوم الطّبيعيّة و الكيميائيّة ، و بذلك يجب أن يؤخذ مصطلح القوانين بمعناه الواسع لا بمعناه الدّقيق كما في هذه العلوم ، ينظر: رمضان عبد التّوّاب ، التّطوّر اللّغويّ ، مظاهره و علله ، ص 18- 19 .**

3)- **ينظر: علي عبد الواحد وافي ، علم اللّغة ، ص، 286 ، 317 ، رمضان عبد التّوّاب ، التّطوّر اللّغويّ ، مظاهره و علله ، ص 21 .**

4)- **ماريو باي ، أسس علم اللّغة ، ترجمة و تعليق أحمد مختار عمر ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط 8 ، 1419هـ - 1998م ، ص 71 .**

، و تحوّل صوت **a** الواقع في نهاية بعض الكلمات اللاّتنيّة إلى صوت **e** لم يظهر إلاّ عند الفرنسيين ، و لم يظهر أثره لديهم إلاّ في المدّة المحصورة بين نهاية القرن الثّامن و أوائل القرن الرّابع عشر.[1]

- غيرُ فرديٍّ، حيث لا يظهر أثرُه عند فردٍ واحدٍ ، و إنّما يظهر أثره في استعمال جميع أفراد البيئة الواحدة [2] ، فسقوط علامات الإعراب في لغة المحادثة المعاصرة لم يفلت من أثره أيُّ فردٍ عربيٍّ .

- التّطوّر في اللّغة مرتبط بأسباب و عوامل كثيرة لا يمكن حصرها و ضبطها و التّنبّؤ عنها قبل وقوعها، و من هذا المنطلق؛ فإنّه لا يمكن التّنبّؤ سلفا عن الطّرائق التي يسير فيها التّطوّر في اللّغة أيضا.[3]

- للعوامل الدّينية و القوميّة أثر كبير في توجيه التّطوّر نحو وجهة ما ، فكلّ لغة تنحو في تطوّرها نحوا خاصّا لا يخرج عن إطار هويّتها الدّينية و العقائديّة ، فاللّغة العربيّة ارتبطت بالقرآن الكريم ، و قد حافظ هذا الأخير على قدسيتها ، فرغم تطوّرها في أنظمتها ، إلاّ أنّها لم تخرج في إطارها العام عن الوجهة التي رسمها لها القرآن العظيم . [4]

- التّطوّر في اللّغة شأنه شأن التّطوّر في سائر مجالات الحياة ، فكما لا تتّجه مجالات الحياة دوما نحو الأحسن و الأفضل و الرّقي و التّقدّم ، لا يتّجه التّطوّر دوما نحو الأحسن و لا يكون دائما بمعنى التّقدّم و الارتقاء ، فقد يكون تردّيا و انتكاسا ، و قد تمّت الإشارة إلى ذلك سابقا [5] ، يقول **إبراهيم السّامرّائي** : « و هكذا

---

1)- ينظر: علي عبد الواحد وافي ، علم اللّغة ، ص، 286 ، رمضان عبد التّوّاب ، التّطوّر اللّغويّ ، مظاهره و علله ، ص 21 .

2)- ينظر: علي عبد الواحد وافي ، علم اللّغة ، ص 287 ، 317 - 318 ، رمضان عبد التّوّاب ، التّطوّر اللّغويّ ، مظاهره و علله ، ص 20 .

3)- ينظر: محمّد المبارك ، فقه اللّغة و خصائص العربيّة ، ص 32 - 33 .

4)- ينظر: محمّد المبارك ، فقه اللّغة و خصائص العربيّة ، ص 33 بتصرّف .

5)- ينظر: محمّد المبارك ، المرجع نفسه ، ص 34 .

يكون سير التّطوّر سلبيّا كما يكون إيجابيّا ، فربّما لا تتطوّر اللّغة نحو مستوى متقدّم رفيع ، بل تنزل إلى درك من التّغيّر و التّبدّل تبعا للمستوى الحضاريّ و الثّقافيّ الذي عليه الأمّة . » [1]

[1]- إبراهيم السّامرائي ، التّطوّر اللّغويّ التّاريخيّ ، ص 29 .

المحاضرة الثّالثة : التّطوّر اللّغويّ في التّراث العربيّ

المحاضرة الثّالثة: التطّوّر اللّغويّ في التّراث العربيّ:

اتّخذ مفهوم التّطوّر اللّغويّ في الفكرين التّراثي العربيّ و الفكر اللّساني المعاصر اتّجاهين مختلفين ؛ فما عُدّ لحنا و خروجا عمّا هو مألوف في كلام العرب الأوائل في نظر علماء العربيّة القدماء ، عدّ من وجهة نظر علم اللّغة الحديث في أحد توجّهاته تطوّرا يحصل للّغة في مختلف أنظمتها لا يمكن تجاهله ، يقول **رمضان عبد التّوّاب** : « يجب أن يكون معلوما لدينا إذًا أنّ اللّغة تتطوّر و أن ندرك حتميّة هذا التّطوّر ، و نفهم أنّ عمل العالم اللّغويّ لا يصحّ أن يتجاوز عمليّة وصف هذا التّطوّر و تسجيله و محاولة الكشف عن القوانين التي تقف وراءه ، و لم يكن هذا المنهج الذي أشرنا إليه معروفا لدى القدامى من اللّغويين العرب ، ولذلك وجدناهم يتعدّون وظيفة العالم إلى وظيفة المعلِّم ، فكانوا و هم يلحظون هذا التّطوّر في اللّغة لا يهمّهم أن يسجّلوه و يقارنوا بينه و بين أصوله بقدر ما كان يعنيهم أن يقفوا في وجهه و هم يعيبونه ، و يحاولون إرجاع النّاس إلى القديم ، و هم في ذلك كلّه مدفوعون بعاطفة نبيلة هي الغيرة على هذا التّراث القديم و الخوف من اندثاره ....وكان غموض المنهج مؤدّيا إلى إغفال تسجيل التّطوّر تسجيلا كاملا ، غير أنّهم كانوا يلاحظون أنّ المثقّفين و من يحاول الحديث بهذه اللّغة الفصحى تدخل في كلامه ألفاظ و عبارات من تلك اللّغة المتطوّرة التي تجرى بها ألسنة العامّة ، فأخذوا ينبّهون هؤلاء إلى مخالفتهم لقوانين الفصحى ، و أنّهم يلحنون ، أي يُخطئون إذا قيست لغتهم بالعربيّة الفصحى ، فكلامهم لحن و خطأ في مقابل هذه اللّغة عند هؤلاء و نموّ و تطوّر لهذه اللّغة من وجهة نظر علم اللّغة الحديث ، إذ لا يتمّ هذا اللّحن و الخطأ بطريقة عشوائيّة ، بل يخضع لقوانين التّطوّر اللّغويّ . » [1] و فيما يلي توضيح لمفهوم التّطوّر اللّغويّ في التّراث العربيّ :

أوّلا :التّطوّر اللّغويّ موازي لمفهوم اللّحن عند مؤلّفي كتب لحن العامّة :

---

1)- ينظر: رمضان عبد التّوّاب ، لحن العامّة و التّطوّر اللّغويّ ، ص 37- 38 .

🕮. المحاضرة الخامسة : التّطوّر الدّلاليّ – مفهومه – أنواعه –تجلّياته

يرى اللّغويون و الدّارسون المحدثون أنّ التّطوّر اللّغويّ أشير إليه في كتب لحن العامّة موازيا للّحن ، و قد لوحظ ذلك من خلال مؤلّفاتهم التي تحمل هذا العنوان ، منها : " لحن العامّة " ، " لحن العوام " ما يضعونه في غير موضعه ، " الحروف التي يتكلّم بها في غير موضعها " ، و غيرها من العناوين ، فكلّ خروج عمّا هو مألوف في كلام العرب الأوائل عدّ لحنا في نظرهم ، و تطوّرا في نظر علم اللّغة الحديث ، يقول **رمضان عبد التّوّاب** : « حقّا قد بقيت لنا إشارات إلى هذا التّطوّر ، غير أنّها ليست في المعاجم التي تحوي الألفاظ العربيّة ، و إنّما توجد فيما يسمّى بكتب لحن العامّة [1] ، و هي عبارة عن رسائل صغيرة ألّفت على مرّ العصور في مختلف الأصقاع التي تتكلّم اللّغة العربيّة ، و من بينها كتابنا هذا الذي ننشره اليوم لأبي بكر الزّبيدي فيما يلحن فيه عوام الأندلس في عصره ، و قد حاول مؤلّفو هذه الكتب أن يحصوا الأخطاء الشّائعة على ألسنة العوام في زمانهم ، و يبرهنوا على خطئها بالرّجوع إلى المادّة التي جمعها اللّغويون الأوائل من أفواه العرب . » [2]

---

[1]- **اختلف اللّغويون المحدثون في تحديد مفهوم لحن العوام ، فبينما يرى رمضان عبد التّوّاب أنّ العوام عند اللّغويين القدماء ليس هم عامّة النّاس ، و إنّما هم المثقّفون الذين تتسرّب لغة التّخاطب و الحياة اليوميّة إلى لغتهم الفصحى في كتاباتهم و أحاديثهم في المجالات العلميّة و المواقف الجدّيّة ، أو هم خاصّة المثقّفين عند بعضهم كالحريري مثلا الذي سمّى كتابه " درّة الغواص " ، ينظر: الزّبيدي ، أبو بكر محمّد بن حسن بن منْجِح (ت 379هـ) ، لحن العوام ، تحقيق رمضان عبد التّوّاب ، النّاشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط 2 ، 1420هـ - 2000م ، مقدّمة الطّبعة الأولى ، ص 6 -7 ، بينما يرى عبد العزيز مطر أثناء نقده لتحقيق رمضان عبد التّوّاب لكتاب لحن العوام أنّ اللّحن ،هو الخطأ في اللّغة العربيّة الفصحى في مختلف مستوياتها ؛ أصواتها أو نحوها ، أو صرفها ، أو معاني مفرداتها ، و تركيب لحن العامّة يصدق على ما يشيع من خطأ في لهجات الخطاب عند عامّة الشّعب ثمّ ينبّه إليه اللّغويون لئلا يقع فيه الخاصّة من الكتّاب و الشّعراء و الخطباء ، كما يصدق على ما يتسرّب من أخطاء العامّة إلى لغة الخاصّة فيجمعه اللّغويون و ينبّهون إليه لتنقية اللّغة الفصحى من شوائبه ، ينظر : الزّبيدي ، لحن العوام ، تحقيق رمضان عبد التّوّاب ، نقد عبد العزيز مطر ، القاهرة ، 1964 م ، ص 95 .**

[2]- **الزّبيدي ، أبو بكر محمّد بن حسن بن منْجِح (ت 379هـ) ، لحن العوام ، تحقيق رمضان عبد التّوّاب ، النّاشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط 2 ، 1420هـ - 2000م ، مقدّمة الطّبعة الأولى ، ص 6 .**

و يقول **إبراهيم السّامرّائي** أيضا : « و من أجل هذا نستطيع أن نقرّر أنّ ما يسمّى في كتب اللّغة والنّحو " لغة " من الاستعمالات غير المألوفة، أو قل غير الصّحيحة، تلك الاستعمالات التي نسبت إلى هذيل أو عقيل أو أسد أو طيء أو غير هؤلاء ، لم يكن إلاّ من قبيل هذا التّطوّر في اللّغة . » [1]

و من هذا المنطلق فإنّ إشارات هؤلاء القدماء إلى التّطوّر ارتبطت عندهم فيما يسمّى بكتب" **لحن العامّة**" ، و الجدير بالذّكر أيضا أنّ معظمهم لم يكونوا يعيرون أيّ اهتمام لأسباب نشوء هذا اللّحن ، بل كانوا يعيبونه و ينعون على أصحابه وقوعهم فيه ، يقول **رمضان عبد التّوّاب** : « هذا ولم يحاول أولئك الذين ألّفوا في **"لحن العوام "** أن يعلّلوا لنشوء هذا اللّحن ، أو بعبارة أخرى لهذا التّطوّر، بل كانوا يعيبونه، ويتقزّزون منه ، وينعون على أصحابه وقوعهم فيه ، حقّا قد فطن إلى ذلك بعضهم **كالخفاجي** في كتابه " **شفاء الغليل** " [2] ، " اشترّت الدّابة خطأ و الصّواب : اجترّت ، قاله الزّبيدي ... و الأمر فيه سهل لقرب المخرج " ، فالخفاجي قد تنبّه إلى انقلاب الجيم المعطّشة إلى شين في أفواه النّاس سببه قرب مخرج الصّوتين من الآخر ، و هي نظرة سليمة يؤيّدها الواقع اللّغويّ ، فإبدال الجيم شينا لغة تميم [....] ، غير أنّ أمثال هذه الملاحظة كان نادرا لدى هؤلاء المؤلّفين في لحن العامّة . » [3]

إذا ، فلم يقتصر **الخفاجي** في هذا النّصّ على بيان الخطأ و إرفاقه بصوابه فحسب ، بل تعدّاه إلى التّعليل ، و هو أمر نادر بحسب ما يرى **رمضان عبد التّوّاب** ، لدى هؤلاء المؤلّفين في لحن العامّة ، أي أنّهم لم

---

1)- **إبراهيم السّامرائي ، التّطوّر اللّغويّ التّاريخيّ ، ص 29 .**

2)- **ينظر: الخفَاجي ، شهاب الدّين أحمد بن محمّد بن عمر (ت 1069هـ) ، شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدّخيل ، قدّم له و صحّحه و وثّق نصوصه و شرح غريبه محمّد كشّاش ، منشورات محمّد علي بيضون ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1418هـ- 1998 م ، ص 69 .**

3)- **الزّبيدي ، لحن العوام ، مقدّمة الطّبعة الأولى ، ص 7 .**

يعيروا تطوّر اللّغة التفاتا ، بل كان همّهم الوقوف عند كلّ المظاهر اللّغويّة التي خرجت عن نظام اللّغة العربيّة الفصحى ، و قد عدّوها لحنا و مولّدا .

و يبدو أنّ خلوّ العربيّة من التّطوّر المسجّل أو المعترف به جعل بعض اللّغويين المحدثين يقدّمون نقدهم إلى العلماء القدماء ؛ لأنّهم لم يولوا اهتمامهم الكافي بمسألة التّطوّر ، **فرمضان عبد التّوّاب** يرى أنّهم لم تتّضح في أذهانهم هذه القضيّة ، بل أغفلوا ناحية مهمّة من نواحي الدّرس اللّغويّ ، و هي ناحية التّطوّر اللّغويّ بكلّ مستوياته ، لأنّهم كانوا منشغلين بالمحافظة على اللّغة الفصحى التي تقترب من لغة القرآن الكريم ، كما كان همّهم تدوين اللّغة القديمة لغة الجاهليّة وصدر الإسلام و العصر الأمويّ ، و تنظيم هذه المادّة مادّة العربيّة الفصحى التي جمعها اللّغويون الأوائل في أنواع شتّى من التّرتيب و التّنظيم ، لذلك نظروا إلى هذا التّطوّر على أنّه نوع من اللّحن أو المولّد .[1] و يرى **إبراهيم السّامرّائي** أنّ سبب عدم معرفة اللّغة معرفة علميّة ، أنّ كتب اللّغة لا تشير إلى اللّفظة المفردة و طرائق استعمالها عبر العصور ، و يرجع السّبب في ذلك إلى أنّ أصحابها مقلِّدون في بحثهم اللّغويّ للفكرة التي قيّدت الفصاحة و البلاغة بحقبة معيّنة لا تتعدّاها .[2]

أما المستشرق الألماني **برجشتراسر** فيرى أنّ سبب عدم اكتراثهم بهذه القضيّة فيتجلّى في سببين مرتبط أحدهما بالآخر ؛ **أوّلهما** مداومتهم على السّؤال عن الجائز في اللّغة و ضدّه ، و على المنع عن كثير من العبارات

---

[1]- ينظر : الصّفدي ، صلاح الدّين خليل بن أيبك (ت 764هـ) ، تصحيح التّصحيف و تحرير التّحريف ، حقّقه و علّق عليه و وضع فهارسه السيّد الشّرقاوي ، راجعه رمضان عبد التّوّاب ، النّاشر مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط1 ، 1407هـ - 1987م ، تصدير الكتاب بقلم رمضان عبد التّواب ، ص 4 - 5 .

[2]- ينظر : إبراهيم السّامرّائي ، التّطوّر اللّغويّ التّاريخيّ ، ص 35 .

، و **ثانيهما** اعتبار أنّ أكمل ما كانت عليه اللّغة العربيّة و أتقنه و أحسنه ما يوجد في الشّعر القديم و هو حكم غير علميّ . [1]

و يمكننا من خلال هذا الطّرح أن نشير إلى أهمّ ما ألّف في مجال لحن العامّة و الذي عدّ في نظر القدماء لحنا و موّلدا ، و نموّا و تطوّرا من وجهة نظر علم اللّغة الحديث [2] :

- ما تلحن فيه العوام ، للكسائي **(ت 189هـ)**

- البهاء فيما تلحن فيه العامّة ، للفرّاء **(ت 207هـ)**

- ما تلحن فيه العامّة لأبي عبيدة ، **(ت 208هـ)**

- ما يلحن فيه العامّة للأصمعي ، **(ت 216هـ)**

- ما خالفت العامّة فيه لغات العرب ، لأبي عبيد **(ت 224هـ)**

- إصلاح المنطق ، لابن السّكّيت **(ت 244 هـ)**

- ما يلحن فيه العامّة ، للمازني **(ت 249 هـ)**

- ما تلحن فيه العامّة ، لأبي حاتم السّجستاني **(ت 255هـ)**

- أدب الكاتب ، لابن قتيبة **(ت 276هـ)**

- تقويم اللّسان ، لابن دريد **(ت 321هـ)**

- ليس في كلام العرب ، لابن خالويه **(ت 379 هـ)**

- لحن العوام ، للزّبيدي **(ت 379هـ)**

---

1)- ينظر: برجشتراسر، التّطوّر النّحوي للّغة العربيّة ، أخرجه و صحّحه و علّق عليه رمضان عبد التّوّاب ، النّاشر مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط 2 ، 1414هـ - 1994م ، ص 204 - 205 ، رمضان عبد التّوّاب ، لحن العامّة و التّطوّر اللّغويّ ، ص 36-37 .

2)- ينظر: رمضان عبد التّوّاب ، لحن العامّة و التّطوّر اللّغويّ ، ص 38 .

- ما يلحن فيه الخواصّ من العلماء ، لأبي أحمد العسكري (ت 382هـ)

- إصلاح غلط المحدثين ، للخطّابي (ت 388هـ)

- ما تلحن فيه الخاصّة ، لأبي هلال العسكري (ت 395هـ)

- تمام فصيح الكلام ، لابن فارس (ت 395هـ)

- تثقيف اللّسان و تلقيح الجنان ، لابن مكّي الصّقلّي (ت 501 هـ)

- درّة الغواص في أوهام الخواصّ ، للحريري (ت 516هـ)

- تقويم اللّسان ، لابن الجوزي (ت 597 هـ)

- تصحيح التّصحيف و تحرير التّحريف ، للصّفدي (ت 764هـ)

- الجمانة في إزالة الرّطانة ، لابن الإمام (بعد 827 هـ)

- غلطات العوام المنسوب للسّيوطي (ت 911هـ) .[1]

و من أمثلة اللّحن التي وظّفت في هذه الكتب و التي عدّت في نظر علم اللّغة الحديث تطوّرا ما يلي :

1- معْدَنٌ و معْدِنٌ : يقول **الكسائي (ت 189هـ)** في كتابه **" ما تلحن فيه العامّة "** : « و يقال : فلان مَعْدِنُ العلم ، و لا يقال : مَعْدَنُ بفتح الدّال . » [2]

فالملاحظ من خلال هذا القول أنّ ضبط كلمة " مَعْدَن " بفتح الدّال عدّ خطأ ، و قد صوّب على أساس كسر الدّال ، دون تعليل ذلك ، غير أنّه و بالنّظر إلى وجهة نظر علم اللّغة الحديث ، فقد لا نعدّه خطأ ، بل يمكننا عدّه تطوّرا حصل للكلمة على المستوى الصّوتي ، حيث يرى **رمضان عبد التّوّاب** أنّ الكلمة تطوّرت

---

[1]- رمضان عبد التّوّاب ، لحن العامّة و التّطوّر اللّغويّ ، ص 105....108 .

[2]- الكسائي ، أبو الحسن علي بن حمزة (ت 189هـ) ، ما تلحن فيه العامّة ، حقّقها و قدّم لها و وضع فهارسها رمضان عبد التّوّاب ، النّاشر ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، دار الرّفاعي بالرّياض ، ط 1 ، 1403هـ - 1982 م ، ص 121 .

، إذ فتحت دالها لتنسجم مع فتحة الميم ، و هو ما يعرف بالتّأثّر التّقدّمي ، أي أنّ حركة الدّال و هي الفتحة تأثّرت بحركة الميم و هي الفتحة أيضا ، لأنّ التّأثّر التّقدّمي يقصد به تأثّر الصّوت الثّاني بالأوّل ، و هو قسم من أقسام المماثلة الصّوتيّة عند المحدثين . [1]

2- **مُغْلَقٌ و مَغلوقٌ :** يقول **الكسائي** في موطن آخر: « و تقول : أَغْلَقْتُ البابَ ، فهو مُغْلَقٌ ، و لا يقالُ مَغْلُوقٌ . » [2] ، ففي هذا المثال يلحظ أيضا أنّ صيغة اسم المفعول من الفعل أغْلَقَ هي مُغلَقٌ طبقا لقاعدة صوغ اسم المفعول من غير الثّلاثي ، و ليس مَغْلوقًا ، الذي يصاغ طبقا للقاعدة من الفعل الثّلاثي "غَلَقَ "، و أنّ هناك تطوّرا حصل لصيغة " مُغْلَق" ، إذ وردت على صيغة " مغلوق" قياسا على صيغة " مفتوح" بسبب التّلازم و التّقابل في المعنى بين مفتوح و مغلوق . [3]

3- **رُطُبٌ و رُطَبٌ :** يقول ابن **الإمام** في **" باب ما جاء مفتوحًا و العامَّةُ تّضمُّهُ :** « ... و من ذلك : قولهم : " **رُطُب** " - بضمّ الطّاء - ، و هو خطأ ، و الصّواب فتح الطّاء ، كما نطق به القرآن في قوله تعالى : ﴿ **تَسَّقَطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً** ﴾. » [4]

فالملاحظ من خلال هذا القول أنّ ضبط كلمة " **رُطُب** " بضمّ الطّاء عدّ خطأ ، و قد صوّب على أساس فتح الطّاء ، انطلاقا ممّا ورد في القرآن الكريم ، فهو المعيار الرّئيس الذي يحتكم إليه في قضيّة الصّواب و الخطأ ، غير أنّه و بالنّظر إلى وجهة نظر علم اللّغة الحديث ، فقد لا نعدّه خطأ ، بل يمكننا عدّه تطوّرا

---

[1])- **ينظر: رمضان عبد التّواب ، لحن العامّة و التّطوّر اللّغويّ بتصرّف ، ص 120 .**

[2])- **الكسائي ، ما تلحن فيه العامّة ، ص 121 .**

[3])- **ينظر: رمضان عبد التّواب ، لحن العامّة و التّطوّر اللّغويّ بتصرّف ، ص 121 .**

[4])- **ابن الإمام التّونُسيّ ،الجُمانة في إزالة الرَّطانة ، بحث في لغة التّخاطب في الأندلس و تونس ، باب ما جاء مفتوحًا و العامَّةُ تّضمُّهُ ، مهّد له و حقّقه و علّق عليه حسن حسني عبد الوهّاب ، دار المقتبس ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1435هـ - 2014م ، ص 21 - 22 .**

حصل للكلمة ، و قد نبّه ابن **السيّد البطليوسي (ت 521ه)** إلى أشكال مختلفة من ضبط الكلمة ، و في هذا الأمر إشارة إلى تطوّر الكلمة على ما يبدو ، يقول : « و **الرُّطْب** " بضمّ الرّاء و سكون الطّاء من النّبات خاصّة، فإذا ضَمَمْتَ الرّاء ، و فتحت الطّاء ، فهو من التّمر خاصّة ، فإذا فتحت الرّاء و سكّنت الطّاء ، فهو ضدّ اليابس من كلِّ شيءٍ . » [1] ، فقد انتقلت الكلمة من الخاصّ إلى العام ، إذ كانت تحمل دلالة خاصّة وهي النّبات خاصّة ، وذلك بالنّظر إلى ضبطها بضمّ الرّاء و سكون الطّاء ، " **رُطْب** " ، ثمّ خصّصت دلالتها مرّة أخرى ، و ذلك بالنّظر إلى ضبطها بضمّ الرّاء و فتح الطّاء ، أي " **رُطَب** " فأصبحت تدلّ على التّمر خاصّة ، ثم عمّمت دلالتها لتدلّ على أنّها ضدّ اليابس من كلّ شيء ، و ذلك بالنّظر إلى ضبطها بفتح الرّاء و تسكين الطّاء ، أي " **رَطْب** "

و قد حاول مؤلّفو هذه الكتب أن يحصوا الأخطاء الشّائعة على ألسنة العوام في زمانهم ، و يبرهنوا على خطئها بالرّجوع إلى المادّة التي جمعها اللّغويون الأوائل من أفواه العرب ، غير أنّ هذه الأخطاء عدّت في نظر علم اللّغة الحديث تطوّرا .

ثانيا : التّطوّر اللّغويّ في ضوء حدوده الزّمانيّة و المكانيّة :

إنّ علماء اللّغة القدماء و على الرّغم من اعترافهم بالتّطوّر اللّغويّ لا سيما التّطوّر الدّلاليّ ، فإنّهم قصروه على حقبة معيّنة و رفضوا كلّ تغيّر في المعنى حدث من بعد ذلك ، فوقف معظمهم من هذا التّطوّر موقفا معارضا و شدّوا النّكير على هذا الجديد في المعنى بدافع الحرص على سلامة اللّغة و الحفاظ عليها و من أجل

---

[1])- ابن السيّد البطليوسي ، أبو محمّد عبد اللّه بن محمّد (ت 521ه) الاقتضاب في شرح أدب الكاتب ، تحقيق مصطفى السّقا ، حامد عبد المجيد ، مطبعة دار الكتب المصريّة ، القاهرة ، 1996م، القسم الثّاني ، ص 50 ، و ينظر أيضا ، ابن الإمام التّونُسيّ ،الجُمانة في إزالة الرَّطانة ، باب ما جاء مفتوحًا و العامَّةُ تّضمُّهُ ، الهامش ، ص 22 .

تنقيتها لئلاّ تفسد و مراعاة لمبدأ الصّحّة اللّغويّة و الفصاحة فيها و لم يكن لهذا الموقف أن يؤثّر في الحركة الدّائبة لتطوّر دلالة الألفاظ . [1]

فاللّغويون القدماء اعترفوا بوجود التّطوّر اللّغويّ لا سيما التّطوّر الدّلالي و نصّوا عليه صراحة ، بيد أنّهم عدّوا ما حدث بعد عصور الاحتجاج موّلّدا . [2] ، أيّ أنّ كلّ تغيّر لا يوافق الاستعمال اللّغويّ العربيّ داخل الحدود الزّمانيّة و المكانيّة عدّوه لحنا وموّلّدا .

و قد أدّت هذه الحدود التي وضعت من أجل قبول التّطوّر إلى ضياع الكثير من ألفاظ اللّغة التي تطوّرت دلالاتها ، إضافة إلى عدم تتبّع مراحل هذا التّطوّر بشكل دقيق و علميّ ، و قد أشار اللّغويون المحدثون إلى هذا الأمر معدّين إيّاه من مصاعب الدّراسات اللّغويّة في هذا المجال ، يقول **إبراهيم السّامرّائي** : « ومن نقص الأدوات عندنا لمعرفة اللّغة معرفة علميّة ، أنّ كتب اللّغة لا تشير إلى اللّفظة المفردة و طرائق استعمالها عبر العصور ، و ذلك أنّ أصحابها مقلِّدون في بحثهم للفكرة الأولى التي قيّدت الفصاحة و البلاغة بحقبة معيّنة لا تتعدّاها إلى غيرها . » [3]

و يرى **إبراهيم أنيس** أنّ اللّغويين الأقدمين قصروا السّليقة اللّغويّة على قوم معيّنين ، و قصروها على زمن معيّن ، و قصروها على بيئة معيّنة فنشأ في مخيّلاتهم ما يمكن أن يعبّر عنه بدكتاتوريّة الزّمان و المكان . (4)

---

[1])- ينظر: عبد العزيز مطر، لحن العامّة في ضوء الدّراسات اللّغويّة الحديثة ، الدّار القوميّة للطّباعة و النّشر، القاهرة ، 1386هـ -1966م ، ص 279 ، حاكم مالك لعيبي الزّيادي ، التّرادف في اللّغة ، دار الحرّيّة ، بغداد ، 1400هـ - 1980م ، ص 17 .

[2])- ينظر: حاكم مالك لعيبي الزّيادي ، التّرادف في اللّغة ، ص 16 .

3)- إبراهيم السّامرّائي ، التّطوّر اللّغويّ التّاريخيّ ، ص 35 .

4)- ينظر: إبراهيم أنيس ، من أسرار اللّغة ، مكتبة الأنجلو المصريّة ، القاهرة ، ط3 ، 1966م ، ص 20-21 .

و في السّياق نفسه يرى **تمّام حسّان** أيضا أنّ نظرة القدماء في حصر اللّغة بزمان ومكان معيّنين ، قد أدّت بهم إلى الوقوع في مخالفات منهجيّة من ناحيتين ؛ **أولاهما** تتجلّى في أنّ دراستهم شملت مراحل متعاقبة من تاريخ اللّغة العربيّة ، إذ تبدأ من حوالي مائة وخمسين عاما قبل الإسلام و تنتهي بانتهاء ما يسمّونه عصر الاحتجاج ، أي ما يمثّل حوالي ثلاثة قرون من تاريخ لغة العرب ، و تلك حقبة لا يمكن أن تظلّ اللّغة فيها ثابتة على حالها ، و إنّما المعقول أن تكون اللّغة قد تطوّرت فيها نواحي البنية و النّطق ، **و ثانيتهما** تتمثّل في أنّهم يعمدون إلى لهجات متعدّدة من اللّغة نفسها ، فيخلطون بينها و يحاولون إيجاد نحو عام لها جميعا ، إذ نقلت اللّغة العربيّة عن قبائل العرب ، قيس و تميم و أسد ، ثمّ هذيل و بعض كنانة و بعض الطّائيين ، و لم يؤخذ عن غيرهم . [1]

و يتبيّن من خلال ما سبق ذكره أنّ تقييد فصاحة اللّغة بمكان وزمان معيّنين لا شكّ أنّه كان عاملا من عوامل ضياع كثير من الألفاظ التي تطوّرت دلالاتها بعد تللك الحقبة و خارج نطاق تلك الحدود المكانيّة المتّفق على تجلّي الفصاحة و السّليقة العربيّة فيها ، في حين أنّ اللّغة بعدّها كائنا حيّا تنمو بنموّه و تتطوّر بتطوّره لا تعرف تلك القيود و تلك الحدود .

1)- ينظر: تمّام حسّان ، اللّغة بين المعياريّة و الوصفيّة ، عالم الكتب ، القاهرة ، 2000م . ص 31-32.

المحاضرة الرّابعة : التّطوّر اللّغويّ في الفكر اللّسانيّ المعاصر

🕮. المحاضرة الخامسة : التّطوّر الدّلاليّ – مفهومه – أنواعه –تجلّياته

المحاضرة الرّابعة : التّطوّر اللّغويّ في الفكر اللّسانيّ المعاصر :

أوّلا : التّطوّر اللّغويّ في مفهوم اللّغويين و الدّارسين المحدثين و المعاصرين :

قسّمت آراء اللّغويين و الدّارسين المحدثين و المعاصرين حول مفهوم التّطوّر اللّغويّ في ضوء قراءتنا السّابقة للموضوع إلى ثلاثة اتّجاهات؛ اتّجاه أوّل يستعمل التّطوّر اللّغويّ بمعنى يخالف معنى التّغيّر اللّغويّ، و اتّجاه ثان يستعمل التّطوّر اللّغويّ بمعنى التّغيّر اللّغويّ دون التّفريق بينهما ، و اتّجاه ثالث يستعمل التّطوّر اللّغويّ بمعنى الأطوار التّاريخيّة التي تمرّ بها اللّغة بغضّ النّظر عن تقييمها. [1]

و أكثر الاتّجاهات ذيوعا هو الاتّجاه الثّاني ، حيث استخدم لفظ التّطوّر في غالبيته عند اللّغويين المحدثين و المعاصرين بمعنى مطلق التّغيّر سواء أكان هذا التّغيّر سلبيّا أم إيجابيّا ، أي أنّهم لا يجدون مانعا في استعمال المصطلحين بمعنى واحد ، و مردّ ذلك إلى سببين : **أوّلهما** أنّ التّطوّر هو التّغيّر الذي يحصل للّغة في مختلف مستوياتها في فترة زمنيّة معيّنة نتيجة عوامل و أسباب متعدّدة ترتبط ارتباطا وثيقا بحياة الأمم في مختلف مجالاتها ، **و ثانيهما** أنّ التّطوّر الحاصل للّغة لا يقصد به تقييمه و الحكم عليه بالقبح أو الحسن ، و إنّما هو مجرّد تتبّع للتّغيّر الذي يحصل للّغة ، و لعلّ هذا الأمر ما جعل كثيرا من اللّغويين و الباحثين يزاوجون في متن مؤلّفاتهم و بحوثهم بين المصطلحين رغم اختيارهم في بداية الأمر لمصطلح واحد ، يقول **رمضان عبد التّوّاب** : « كما أنّ استخدامَ اللّغويين المحدثين لكلمة التّطوّر لا يعني تقييم هذا التّطوّر، و الحكمَ عليه بالحُسن أو القُبح ، فإنّه لا يعني عندهم أكثر من مرادفٍ لكلمة التَّغيّرِ. » [2] ، و يؤكّد **عبد السّلام المسّدّي** الفكرة نفسها في قوله : « إنّ الحقيقة العلميّة التي لا مراء فيها اليوم هي أنّ كل الألسنة البشريّة ما دامت متداولة ، فإنّها تتطوّر، ومفهوم التّطوّر هنا لا يحمل شحنة معياريّة لا إيجابًا

---

[1])- تمّت الإشارة إلى هذا الموضوع في محاضرة : التّطوّر اللّغويّ مفهومه , مراحله , خواصّه ، وكان يفترض أن تدمج المحاضرتان معا .

[2])- رمضان عبد التّوّاب ، التّطوّر اللّغويّ ، مظاهره و علله و قوانينه ، ص 14 .

ولا سلبًا ، وإنّما هو مأخوذ في معنى أنّها تتغيّر ، إذ يطرأ على بعض أجزائها تبدّل نسبيّ في الأصوات والتّراكيب من جهة ، ثمّ في الدّلالة على وجه الخصوص. » [1]، و يقول **أحمد محمّد قدّور** أيضا : « فالتّطوّر الدّلاليّ يماثل في نظرنا مصطلح تغيّر المعنى من غير أن يحمل صفة تقويميّة تشير إلى الحكم على التّطوّر بالخطأ أو الصّواب و إلى هذا ذهبنا في الفصل الأوّل حين اعتمدنا مصطلح **Change** الذي يدلّ على التّغيّر أيّا كان نوعه و مداه . » [2] ، و يرى **محمود فهمي حجازي** أنّ هناك كثيرا من الباحثين يرفضون كلمة التّطوّر باعتبارها تحمل دلالة الارتقاء ، أي التّغيّر إلى الأفضل ، و هو حكم تقويميّ ، و هو غير ممكن في مجال التّغيّر اللّغويّ ، فليست هناك صيغة أفضل من صيغة ، و ليس هناك صوت أفضل من صوت ، و لذا يفضّل أكثر الباحثين المعاصرين وصف ما يحدث بأنّه تغيّر. [3] ، و بالنّظر إلى آراء هذا الاتّجاه ، فإنّ **حلمي خليل** يرى أنّه اتّجاه حاول تفسير التّطوّر تفسيرا موضوعيّا على أساس من الواقع ، إذ فسّره بالتّغيّر ، و كلّ ما يعنيه أصحاب هذا الاتّجاه هو أنّ هناك شيئا ما حدث للّغة ، أو أنّ هناك تغيّرات أو ظواهر جديدة لحقت بها في فترة زمنيّة ، و على هذا المستوى أو ذاك من مستويات البحث اللّغويّ.[4]

و خلاصة القول في هذا المقام إنّ مصطلح التّطوّر اللّغويّ عند غالبيّة اللّغويين المحدثين و المعاصرين يستخدم بمعنى مطلق التّغيّر بغضّ النّظر عن قيمته سواء أكان إيجابيّا أم سلبيّا ، فليس الهدف هو الحكم على هذا التّطوّر و تقييمه ، و إنّما تتبّع هذا التّطوّر و رصد كلّ التّحوّلات و التّغيّرات التي تحصل للّغة في مختلف مستوياتها .

---

[1]- عبد السّلام المسدّي ، اللّسانيات و أسسها المعرفيّة ، ص 38 .

[2]- أحمد محمّد قدّور ، مصنّفات اللّحن و التّثقيف اللّغويّ حتّى القرن العاشر الهجري ، ص 296 ، و ينظر أيضا الفكرة نفسها في الفصل الأوّل ، ص 30 .

[3]- ينظر: محمود فهمي حجازي ، مدخل إلى علم اللّغة ، ص 23 .

[4]- ينظر: حلمي خليل ، المولّد في العربيّة دراسة في نموّ اللّغة العربيّة و تطوّرها ، ص 17-18 .

ثانيا : اتّجاهات التّطوّر اللّغويّ في الفكر اللّسانيّ المعاصر:

اتّخذ التّطوّر في الفكر اللّسانيّ المعاصر في ضوء قراءتنا للموضوع اتّجاهين مختلفين ، **أوّلهما** : اتّجاه يمثّله أصحاب المنهج الوصفيّ ، و **ثانيهما** : اتّجاه يمثّله أصحاب المنهج المعياريّ ، و قد أشار إلى هذا الموضوع بعض الدّارسين المعاصرين في بحوثهم اللّغويّة بشكل عامّ ، دون أن يفردوا له كتبا خاصّة توسّع أفقه و توضّح معالمه ، و فيما يلي توضيح لهذين الاتّجاهين :

أ-الاتّجاه الذي يمثّله أصحاب المنهج الوصفيّ :

و هو اتّجاه يؤمن بتطوّر اللّغة ، و يعتبر هذا الأمر طبيعيّا يحصل لكلّ لغة ، فليس مهمّة العالم اللّغويّ الحكم على اللّغة بالصّواب و الخطأ ، و إنّما مهمّته هي وصف التّغيّر و الكشف عن أسراره ،

و هو ما يتماشى مع المفهوم الذي خلصنا إليه في مفهوم التّطوّر اللّغويّ ، إذ ليس المقصود من التّطوّر اللّغويّ الحكم و التّقييم ، و إنّما تسجيل كلّ تغيّر يحدث للّغة عبر مراحلها التّاريخيّة و أجيالها المتعاقبة

يقول **كمال بشر** « هذا التّحرّك اللّغويّ أو تلك الدّيناميكيّة اللّغويّة المقرّرة يختلف الدّارسون في الحكم عليها ، كما يختلفون في تعيين مواقع آثارها في النّظام اللّغويّ ، فهناك رجال المنهج الوصفيّ الذين يأخذون هذا "التّحرّك " قضية مسلّمة ، و لا يعنيهم منه إلاّ ملاحظته و تسجيله بأسلوب موضوعيّ صرف و لا يدخلون أُنوفَهم فيما يلاحظون بنظرة ذاتيّة تَسِمه بالصّواب أو الخطأ ، أو الجودة و عدم الجودة ، و قد تنحصر وظيفتهم في وصف ما يلاحظون و تسجيل قواعده المستخلصة من الأمثلة المتشابهة ، فالجديد عندهم إذا كان مطّردا في سلوكه و مظاهره ينضمّ إلى قواعد اللّغة ، و يصبح جزءا من نظامها و إن لم يكن مطّردا ، فهو ابتكار فرديّ ، ربّما يأتي اليوم الذي يرشّحه للقبول العام . » [1] ، إذا فديناميكيّة اللّغة قضيّة مسلّمة تفترض الجديد دائما موافقة مع كلّ تحرّك في مختلف المستويات ، فالتّحرّك اللّغويّ مرهون بالتّحرّك في مجالات أخرى ، و لذلك فإنّ مهمّة العالم اللّغويّ ، تتجاوز حدود البحث في أخطاء اللّغة و صوابها ، بل

[1])- ينظر: كمال بشر ، دراسات في علم اللّغة ، ص 254 -255 .

إنّ عمله الخاصّ يتمحور حول وصف اللّغة كما هي ، و ما يطرأ عليها من تغييرات دون الحكم عليها ، و تقييدها بمبدأ الخطأ و الصّواب ، و كذلك استنباط القوانين التي تخضع لها ظاهرة التّطوّر اللّغويّ في أيّة لغة من اللّغات ، **يقول رمضان عبد التواب** : « إنّ مهمّة عالم اللّغة في العصر الحديث ليست هي تقييم اللّغة و الحكم لها أ و عليها ، بل مهمّته دراسة اللّغة في ذاتها و من أجل ذاتها دراسة وصفيّة محاولا تقرير الواقع و الكشف عن السّرّ الذي يكمن وراء هذا الواقع . » [1] ، و يقول أيضا : « و إذا كانت اللّغة تتطوّر هكذا ، كانت مهمّة العالم اللّغويّ هي الوصف و التّسجيل و استنباط القوانين التي تخضع لها ظاهرة التّطوّر اللّغويّ في أيّة لغة من اللّغات ، أمّا ما وراء ذلك من فرض نظام لغويّ معيّن و القول بصواب هذا النّظام و خطأ ذلك و إباحة هذا و منع ذلك فهو عمل "المعلِّم " لا " العالِم " ، و مع ذلك فليس للمعلِّم أن يبالغ في فرض أسلوب معيّن من التّعبير اللّغويّ و يمنع ما سواه ؛ لأنّ التّطوّر يمتاز بقوّة قهريّة لا شعوريّة لا يعوقها عائق إلاّ بالقدر الذي لا يمكن معه وقف تيار التّطوّر. » [2]

ب-الاتّجاه الذي يمثّله أصحاب المنهج المعياريّ :

و هو اتّجاه يعدّ كلّ من يخالف نظام اللّغة المطّرد لحنا و خطأ ، و هم أصحاب معاجم الأخطاء اللّغويّة الشّائعة ومعاجم الأغلاط اللّغويّة و معاجم " قل و لا تقل " ، يقول **كمال بشر**: « أمّا المعياريون ، فلهم موقف مخالف تجاه هذا الجديد أو هذا التّغيّر الذي يصيب اللّغة ، هذا التّغيّر إن خرج عن قواعد اللّغة المتّفق عليها و الخاضعة للضّوابط المرسومة عدّ خطأ صرفا أو نوعا من اللّحن أو الانحراف في أقلّ تقدير . » [3]

---

[1]- رمضان عبد التّوّاب ، لحن العامّة و التّطوّر اللّغويّ ، ص 8 .

[2]- رمضان عبد التّوّاب ، المرجع نفسه، ص 36 .

[3]- ينظر: كمال بشر ، دراسات في علم اللّغة ، ص 255 .

و إنّ هذه المسألة بلا شكّ تحيلنا إلى قضية أخرى ، و هي مسألة تخطئة بعض التّراكيب اللّغويّة في لغتنا المعاصرة ، ثمّ العدول عن إدراجها ضمن دائرة الخطأ ، حيث يتمّ تخطئة بعض التّراكيب انطلاقا من مراعاة بعض القواعد المطّردة فقط ، دون أخذ بعين الاعتبار مسألة التّطوّر اللّغويّ ، فاللّغة ليست هامدة أو جامدة بكلّ حال من الأحوال ، بل إنّها في ديناميكيّة مستمرّة ، و بذلك فلا ينبغي الانسياق وراء ما تجيزه و ما ترفضه معاجم الأغلاط اللّغويّة و الأخطاء اللّغويّة الشّائعة ، و معاجم " قُلْ و لا تقُلْ" ، التي تجعل من القواعد المطّردة قياسا لها في الحكم على صواب و خطأ تركيب لغويّ معيّن ، بل إنّ الحكم على صحّة و خطأ تركيب لغويّ معيّن ينبغي أن يُراعَى فيه العديد من الاعتبارات ، أبرزها :

-عدم إغفال مسألة تطوّر اللّغة ، دون الخروج عن خواصّها الرّئيسة ، فديناميكتها مسألة مسلّمة ، و لا يمكن تجاوزها أو تجاهلها ، و من غير المنطقيّ أن نحكم على لغة اليوم بمنطق الأمس .

-مراعاة ما لم يطّرد في قواعد اللّغة حتّى و إن كان نادرا ، لأنّه يمثّل جزءا مهمّا من حياة اللّغة لا يمكن إغفاله .

-تقصّي و استقراء ما ورد في معاجم اللّغة قديمها و حديثها استقراء و تقصّيّا دقيقا حتّى و إن كان هذا الأمر يبدو صعبا، إذ يستحيل تقصّي و استقراء كلّ ما ورد في هذه المعاجم .

-تقصّي و استقراء ما ورد في كتب علماء اللّغة و النّحّاة القدماء و المتأخّرين و المحدثين من قضايا متّفق عليها و قضايا مختلَف فيها .

-الاستئناس بما توصّلت إليه المجامع اللّغويّة العربيّة في قراراتها تجاه تركيب لغويّ معيّن .

وعلى إثر هذا الطّرح نخلص إلى فكرة مفادها أنّه ينبغي أن نتمشّى مع روح التّطوّر لكي نضمن للغتنا التّجديد و النّموّ ، و نحافظ على هوّيتها التي تضمن التّطوّر في حدود خواصّها ، يقول **كمال بشر** : « و هنا يأتي دور الباحث اللّغويّ الذي لا ينبغي أن يقف مكتوف الأيدي أمام الجديد اللّغويّ ،

و عليه أن يحكم بصحّته ما لم يخالف بالنّصّ قاعدة قديمة أو يعارضها ، و ما لم يؤدّ إلى تغيير في أصول العربيّة أو الخروج بها عن دائرة الخواصّ المميّزة لها ، و نحن بهذا نتمشّى مع روح التّطوّر ، و هو حتميّ و نضمن للغتنا نموّا وغنىً في وسائل التّعبير ، و هو ضروريّ . » [1]

1)- ينظر: كمال بشر ، دراسات في علم اللّغة ، ص 261.

المحاضرة الخامسة : التّطوّر الدّلاليّ – مفهومه – أنواعه –تجلّياته

المحاضرة الخامسة : التّطوّر الدّلاليّ – مفهومه – أنواعه –تجلّياته

توطئة :

عُدّت ظاهرة التّطوّر الدّلاليّ « ظاهرة شائعة في كلّ اللّغات يلمسها كلّ دارس لمراحل نموّ اللّغة و أطوارها التّاريخيّة ، و قد يعدّه المتشائم بمثابة الدّاء الذي يندرُ أن تفرَّ أو تنجو منه الألفاظ ، في حين أنّ من يؤمن بحياة اللّغة و مسايرتها للزّمن ، ينظر إلى هذا التّطوّر على أنّه ظاهرة طبيعيّة دعت إليها الضّرورة الملحّة . » [1]

و يدلُّ هذا الكلام على أنّ مسألة تطوّر دلالة الألفاظ مسألة حتميّة ، بغضّ النّظر عن تقييمها ، فقد عدّت داء لا تنجو منه الألفاظ في تصوّر من ينظر إلى هذا التّطوّر أنّه سلبيّ ، في حين عدّت ظاهرة طبيعيّة فرضتها التّغيرات الاجتماعيّة و الثّقافيّة و الحضاريّة التي يعرفها المجتمع في تصوّر من ينظر إلى هذا التّطوّر في شكله الإيجابي .

أمّا عن علاقة التّطوّر الدّلالي بالتّطوّر اللّغوي ، فهي علاقة الجزء بالكلّ ، إذ إنّ التَّطوُّر اللّغويّ يشمُلُ اللّغةَ في مختلف مستوياتها ؛ صوتيّة ، صرفيّة ، نحويّة و دلاليّة ، و بذلك يكون التّطوُّر الدَّلاليّ جزءا من التَّطوُّرِ اللُّغويّ .

أوّلا : مفهوم التّطوّر الدّلالي :

التَّطوُّرُ الدَّلاليُّ و هو مجال من مجالات التّطوّر اللّغويّ ، و هو المجال الأكثر عرضة للتّطوّر ؛ لأنّ المفردات قابلةٌ للتّأثرِ بالزّمن و أطواره التّاريخيّة ، و هي مقترنة بنمط تفكير الإنسان ، إذ لا يمكن أن يبقى نمطه التّفكيريّ رهين فترة زمنيّة معيّنة ، ورهين نسق ثقافيّ أو اجتماعيّ معيّن ، بل إنّ نمطه التّفكيريّ في حركيّة دائمة ، و هذه الحركيّة أو الدّينامكيّة تستدعي ألفاظا جديدة و دلالات جديدة أيضا ، فما يطرأ على الفكِر يطرأ على اللّغة أيضا .

---

[1])- إبراهيم أنيس ، دلالة الألفاظ ، النّاشر ، مكتبة الأنجلو المصريّة ، ط3 ، 1976م ، ص 123 .

و انطلاقا من هذا الطّرح ، فقد عرّف التّطوّر الدّلالي بأنّه انتقال الألفاظ من مجال إلى آخر جيلا بعد جيل .[1]

و عرّف أيضا بأنّه التّغيّر الذي يصيب دلالات الألفاظ (مفردة أو مركّبة) في لغة ما عبر عصورها المختلفة ، متى توافرت الدّواعي أو الأسباب التي تؤدِّي إلى ذلك .[2]

أيّ أنّ التّغيّر الذي يصيب الألفاظ و دلالاتها في لغة ما لا بدّ أن يقترن بفترة زمنيّة معيّنة وجيل معيّن أيضا ، وذلك لمعرفة كيف تطوّرت دلالة هذه الألفاظ ، و ما هي أسباب وعوامل ذلك التّطوّر ، و ما هي خصوصياته . فالتّطوّر خاصيّة متعلّقة بطبيعة الفكر و العصر و الجيل في الوقت نفسه .

و يدرج **حسن ظاظا** التّطوّر الدّلالي تحت مصطلح ظاهرة الابتداع في اللّغة ، فيرى أنّه أمرٌ مرتبطٌ بالنَّمط الفكريّ و الحضاريّ لأيّ مجتمع ، و يكون ذلك بإحداث ألفاظ جديدة ، أو إعطاء معان جديدة لألفاظ قديمة ، أو استعارة ألفاظ من لغات أخرى.[3]

و للإشارة ، فإنّ الدّارسين على مستوى بحوثهم النّظريّة و التّطبيقيّة ، قد استعملوا مصطلحيّ التّطوّر و التّغيّر بالمعنى نفسه ، على الرّغم من محاولة التّفريق بينهما ، و قد تمّت الإشارة إلى هذا الموضوع سابقا . إذ بقي هذا التّفريق مجرّد كلام نظريّ لا أكثر ، و هذا ما نجده واضحا في متن مؤلّفاتهم ، إذ نجدهم يزاوجون بين المصطلحين في الوقت نفسه على الرّغم من اختيارهم لمصطلح واحد في بداية الأمر ، و هذا يعني أنّ التّطوّر عندهم هو مطلق التّغيّر الذي يحدث للّغة دون الحكم عليه ، يقول **المسدّي**: « إنّ الحقيقة

---

[1]- ينظر ، إبراهيم أنيس ، دلالة الألفاظ ، 131 ، 132 .

[2]- ينظر: عبد الكريم محمّد حسن جبل ، في علم الدّلالة دراسة تطبيقيّة في شرح الأنباري للمفضّليّات ، دار المعرفة الجامعيّة ، الإسكندريّة ، 1997م ، ص 33 .

[3]- ينظر: حسن ظاظا ، اللّسان و الإنسان ، مدخل إلى معرفة اللّغة ، دار القلم ، دمشق ، الدّار الشّاميّة ، بيروت ، ط 2 ، 1410هـ - 1990م ، ص 96 .

العلميّة التي لا مراء فيها اليوم هي أنّ كل الألسنة البشريّة ما دامت متداولة ، فإنّها تتطوّر، ومفهوم التّطوّر هنا لا يحمل شحنة معياريّة لا إيجابًا ولا سلبًا ، وإنّما هو مأخوذ في معنى أنّها تتغيّر ،إذ يطرأ على بعض أجزائها تبدّل نسبيّ في الأصوات والتّراكيب من جهة ، ثم في الدّلالة على وجه الخصوص. » [1]

و يقول **أحمّد محمّد قدّور** أيضا : « فالتّطوّر الدّلاليّ يماثل في نظرنا مصطلح تغيّر المعنى ، من غير أن يحمل صفة تقويميّة تشير إلى الحكم على التّطوّر بالخطأ و الصّواب ، و إلى هذا ذهبنا في الفصل الأوّل حين اعتمدنا مصطلح " **Change** " الذي يدلّ على التّغيّر أيّا كان نوعه و مداه . » [2]

ثانيا : أنواع التّطوّر الدّلاليّ

إذا تأمّلنا فيما كتبه اللّغويون المحدثون في مجال التّطوّر الدّلاليّ ، فإنّه يمكن استنتاج فكرة مفادها أنّ اللّغات يعتريها نوعان من التّطوّر ؛ تطوّر شعوريّ (مقصود ، متعمّد) ، و تطوّر لا شعوريّ (غير مقصود ، غير متعمّد) .

أ / **التّطوّر الشّعوري أو المقصود** : و هو التّطوّر الذي يقوم به المهرة في صناعة الكلام كالشّعراء و الأدباء الذين يبتدعون ألفاظا جديدة و معاني جديدة أيضا انطلاقا من حاجتهم إلى توضيح دلالة أو تقوية أثرها في الذّهن ، وقيام المجامع اللّغويّة والهيئات العلميّة بوضع مصطلحات جديدة، أو إضفاء دلالات جديدة على ألفاظ قديمة لمجاراة التّطوّر في مجالات الحياة المختلفة ، و هذا النّوع من التّطوّر يتوقّف

[1])- عبد السّلام المسدّي ، اللّسانيات و أسسها المعرفيّة ، ، ص 38 .

[2])- ينظر: أحمد محمّد قدّور ، مصنّفات اللّحن و التّثقيف اللّغوي حتّى أواخر القرن العاشر الهجري ، ، ص 296 .

انتشاره على مدى استجابة أفراد المجتمع لما وضع من مصطلحات و تسميات و على العوامل المؤثّرة في ذيوعه كوسائل الإعلام و غيرها. [1]

ب/ التّطوّر غير الشّعوريّ أو غير المقصود : و هو التّطوّر الذي يتمّ بلا تعمّد أو قصد ، و لا ينتبه إليه إلاّ بعد المقارنة بين عصور اللّغة ، وهو الذي حظي بالاهتمام والدّراسة، وقد استطاع اللّغويون المحدثون بعد طول النّظر فيما يحدث للمعاني من تغيّرات في لغات كثيرة أن يحدّدوا عددا من الأسباب والعوامل التي تؤدّي إلى هذا التّطوّر تصدق على جميع اللّغات . [2]

ثالثا : تجلّيات التّطوّر الدّلاليّ :

أ - التّطوّر الدّلالي في الفكر التّراثي العربي القديم :

ترك اللّغويون العرب القدماء كتبا فاخرة تحمل في طيّاتها تطوّر دلالة الألفاظ العربيّة سواء أشير إلى ذلك بطريقة مباشرة في كتب خاصّة بمجال تحديد دلالات الألفاظ و تفريعاتها الاشتقاقيّة ، أو أشير إليه بصورة غير مباشرة مثلما هو ممثّل في أبواب بعض الكتب ، أو كما هو وارد في معاجم اللّغة

بيد أنّ علماء اللّغة القدماء و على الرّغم من اعترافهم بهذا التّطوّر ، فإنّهم قصروه على حقبة معيّنة و رفضوا كلّ تغيّر في المعنى حدث من بعد ذلك ، فوقف معظمهم من هذا التّطوّر موقفا معارضا و شدّوا النّكير على هذا الجديد في المعنى بدافع الحرص على سلامة اللّغة و الحفاظ عليها ، و من أجل تنقيتها لئلاّ

---

[1])- ينظر : إبراهيم أنيس ، دلالة الألفاظ ، ص 134 ، عبد الغفّار حامد هلال ، علم اللّغة بين القديم و الحديث ، ط 2 ، 1406هـ – 1986 م ، ص 209 – 210 ، أحمد مختار عمر، علم الدّلالة ، ص 242 .

[2])- ينظر : إبراهيم أنيس ، دلالة الألفاظ ، 134 ، عبد الغفّار حامد هلال ، علم اللّغة بين القديم و الحديث ، ص 208 – 209 .

تفسد و مراعاة لمبدأ الصّحّة اللّغويّة و الفصاحة فيها و لم يكن لهذا الموقف أن يؤثّر في الحركة الدّائبة لتطوّر دلالة الألفاظ . [1]

و من أهمّ هذه المصنّفات التي أشارت إلى التّطوّر الدّلاليّ راصدة بعض مظاهره و أشكاله رغم عدم استعمالها لمصطلح التّطوّر ، نذكر :

***جمهرة اللّغة لابن دريد (ت 321هـ) :** حيث عقد ابن دريد في هذا الكتاب بابا تناول فيه تعميم الدّلالة و تخصيصها و انتقالها سمّاه **(باب الاستعارات)** ، [2] ، يقول في هذا الباب مشيرا إلى انتقال دلالة اللّفظ من دلالته الخاصّة إلى دلالته العامة : « **(النُجْعَةُ)** : أصلها طلب الغيث، ثمّ كثر فصار كلّ طلب انتجاعًا ، و**(المنيحة)** : أصلها أن يُعطى الرّجل النّاقة أو الشّاة ، فيشرب لبنها ، و يجزّ وبرها و صوفها ، ثمّ صارت كلّ عطيّة منيحة، و**(الوغى)** : اختلاط الأصوات في الحرب، ثم كثر ذلك فصارت الحرب وغى، وكذلك **الواغية... و(الغيثُ)** : المطر، ثمّ صار ما نبت بالغيث غيثًا.... » (3) ، كما تعرّض أيضا في كتابه بصورة عامّة لنماذج كثيرة من الكلمات تعرّضت للتّخصيص و التّعميم و الانتقال الدّلالي دون ذكر هذه المظاهر ذكرا مباشرا .

***كتاب الزّينة في الكلمات الإسلاميّة العربيّة لأبي حاتم أحمد بن حمدان الرّازي (ت 322هـ)** ، و هو كتاب خصّص لتتبّع تطوّر بعض دلالات الكلمات الإسلاميّة ، و تبيين ما كانت عليه قديما ، ومن أمثلة ذلك : الصّلاة و الرّكوع و السّجود و الصّيام و الزّكاة و غيرها من الألفاظ ، كما تعرّض أيضا لتتبّع التّراكيب

---

[1])- ينظر: عبد العزيز مطر، لحن العامّة في ضوء الدّراسات اللّغويّة الحديثة ، ص 279 ، حاكم مالك لعيبي الزّيادي ، التّرادف في اللّغة ، دار الحرّيّة ، بغداد ، 1400هـ - 1980م ، ص 17 .

[2])- ينظر: ابن دريد ، محمّد بن الحسن ، بن دريد الأزدي البصري (ت 321هـ) ، جمهرة اللّغة ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية الكائنة ببلدة حيدر آباد الدّكن ، 1345هـ ، " باب الاستعارات " ، ج 3 ، ص 432 ...434 .

[3])- ابن دريد ، جمهرة اللّغة ، ج 3 ، ص 432 ...434 .

الإسلاميّة التي لم تكن للأمم الماضيّة عهد بها ، مثل : بسم الله الرّحمن الرّحيم ، لا حول و لا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم ، حسبنا الله و نعم الوكيل ، السّلام عليكم و غيرها من التّراكيب ، كما تعرّض أيضا في كتابه إلى ظاهرة انتقال الدّلالة من المحسوس إلى المجرّد و ذلك في إطار تتبّع معاني الكلمات (1)

***الصّاحبي في فقه اللّغة العربيّة و مسائلها و سنن العرب في كلامها لابن فارس (ت 395 ه) :**

و هو كتاب خصّص فيه ابن فارس أبوابا ذكر فيها تطوّر دلالة الألفاظ ، منها : باب الأسباب الإسلاميّة (2) ، و قد مثّل لذلك بمجموعة من الألفاظ التي خصّصت دلالتها ، منها : المؤمِن و المسلم و الكافر و المنافق و الصّيام و الصّلاة و غيرها ، يقول في هذا الباب : « كانت العرب في جاهليتها على إرثٍ من إرثِ آبائهم في لُغاتهم وآدابهم ونَسائكهم (جمع النّسيكة : الذّبيحة) وقَرابينهم ، فلمّا جاء الله- جلَّ ثناؤه- بالإسلام ، حالت أحوالٌ ونُسخت **دياناتٌ** ، وأُبْطِلت أمورٌ، ونُقلت من اللُّغة ألفاظٌ من مواضعَ إلى مواضعَ أخرى بزياداتٍ زِيدتْ ، وشرائع شُرِّعت، وشرائط شُرِطت... فكان ممّا جاء به الإسلام ، ذِكرُ المؤمنِ والمسلمِ والكافرِ والمنافقِ ، وأنَّ العرب إنّما عرفت المؤمن من الأمان، والإيمانُ وهو التَّصديق، ثمَّ زادتِ الشَّريعةُ شرائطَ و أوصافا بها سُمِّي المؤمن بالإطلاق مؤمنا، وكذلك الإسلام والمسلِمُ، إنّما عرفت منه إسلامَ الشَّيءِ، ثمَّ جاء في الشَّرع من أوصافه ما جاء ، وكذلك كانت لا تَعرفُ من الكفر إلاّ الغِطاءَ والسَّترَ، **فأمَّا المنافقُ** فاسم جاء به الإسلام لقوم أبطنوا غير ما أظهروه ، و كانَ الأصلُ من (نافقاء اليربوع) **(النّافقاء :إحدى جحرة اليربوع يَكتمها و يُظهر غيرها)** و لم يعرفوا في (الفِسق) إلاَّ قولهم : فَسَقَتِ الرُّطَبة إذا خرجت من قِشْرِها ، و جاء الشَّرع بأنَّ الفِسقَ

---

[1])- ينظر: الرّازي ، أبو حاتم أحمد بن حمدان (ت 322ه) ، كتاب الزّينة في الكلمات الإسلاميّة العربيّة ، عارضه بأصوله و علّق عليه حسين بن فيض الله الهمداني اليعبري الحرازي ، مركز الدّراسات و البحوث اليمني ، صنعاء ، ط 1 ، 1415ه -1994م ، ج 1 ، ص 134 ....157 ، ج 2 ، ص 267 .

[2])- ينظر : ابن فارس ، أبو الحسين أحمد بن فارس ، بن زكريا (ت 395ه) ، الصّاحبي ، تحقيق أحمد صقر ، مطبعة عيسى البابي الحلبي و شركاه ، القاهرة ، ص 78 .

الإفحاشُ في الخروج عن طاعةِ الله جلَّ ثناؤه ، و ممَّا جاء في الشَّرع (الصَّلاة) و أصله في لغتهم الدُّعاء ...و كذلك الصِّيامُ أصله عندهم الإمساكُ ...ثمَّ زادتِ الشَّريعةُ النِّيةُ و حظرتِ الأكلَ و المباشرةَ و غيرَ ذلك من شرائعِ الصَّومِ ، و كذلك الحَجُّ لم يكُنْ عندهم فيه غير القصد و سَبْرُ الجراحِ ثمّ زادت الشّريعة ما زادَتْهُ من شرائط الحجّ و شعائره ، و كذلك الزَّكاةُ لم تكنِ العربُ تعرفُها إلاَّ من ناحية النَّماءِ و زادَ الشَّرْعُ ما زاده فيها ...» [1]

وكذلك " **باب القول في أصول أسماء قِيس عليها و أُلحق بها غيرها** " [2]، حيث ذكر فيه بعض الألفاظ التي عمّمت دلالتها ، و من أمثلة ذلك : أصل **(الوِرْد)** : إتيان الماء، ثم صار إتيان كلّ شيء وِردا ، و **(القُرْبُ)** : طلب الماء، ثم صار يقال ذلك لكلّ طلب، فيقال : هو يقرب كذا، أي : يطلبه، و لا يقرب كذا ، ويقولون : **(رفع عقيرته)** أي صوته، وأصل ذلك : أن رجلاً عُقرت رجله فرفعها وجعل يصيح بأعلى صوته، فقيل بعد لكلّ من رفع صوته : رفع عقيرته ، **ويقولون : (بينهما مسافة)** وأصله من **(السَّوْف)** وهو الشّمُّ ومثل هذا كثير ، [3] **و باب آخر معنون بـ " باب آخر في الأسماء "** [4] ، **حيث تحدّث فيه** عن بعض الألفاظ الجديدة ، منها : المخضرم لمن أدرك الإسلام من أهل الجاهليّة ، كما ذكر بعض الألفاظ التي زالت

---

1)- ينظر : ابن فارس ، الصّاحبيّ ، ص 78..86 .

2)- ينظر : ابن فارس ، المصدر نفسه ، ص 112 .

3)- ينظر : ابن فارس ، المصدر نفسه ، ص 112 .

4)- ينظر : ابن فارس ، المصدر نفسه ، ص 101 .

بزوال معانيها ، منها : المِرباعُ و النّشيطَةُ و الفُضُولُ [1] و غيرها من الألفاظ التي ترك استعمالها بمجيء الإسلام .[2]

*** المزهر في علوم اللّغة و أنواعها للسّيوطي (ت 911 هـ) :** تحدّث السّيوطي في كتابه **"المزهر في علوم اللّغة " في النّوع التّاسع و العشرين تحت مسمّى " معرفة العامّ و الخاصّ "** ، عن مظهرين من مظاهر التّطوّر الدّلالي ، أوّلهما : تخصيص الدّلالة ضمن فصل سمّاه : "في **العام المخصوص** "، و هو ما وضع في الأصل عامّا ثمّ خُصَّ في الاستعمال ببعض **أفراده** [3] ذكر فيه اللّفظ العام الذي خُصّص ، ومن أمثلة ذلك ما ذكره **ابن دريد** ، **فالحجّ** أصله القصد بصورة عامّة ثم خصّ في الاستعمال بقصد البيت **و السّبت**، فإنّه في اللّغة الدّهر، ثمّ خصّ في الاستعمال لغةً بأحد أيام الأسبوع ، **و رثُّ كلّ شيء :** خسيسُه، وأكثر ما يستعمل فيما يلبس أو يفترش و غير ذلك من الألفاظ التي خصّصت دلالتها . [4]

---

[1]- **المرباعُ : ما يأخذه الرّئيس و هو ربع الغنيمة ، و قد كانوا في الجاهليّة إذا غزا بعضهم بعضا و غنِموا ، أخذ الرّئيس ربعَ الغنيمة خالصا دون أصحابه ، و النّشيطة : ما أصاب من الغنيمة قبل أن يصير إلى مجتمع الحيّ ، و الفُضُولُ : ما عُجِزَ أن يُقسَمَ لقلّته و خُصَّ به ، أو ما فضل من القسمة ممّا لا تصح قسمته على عدد الغزاة ؛ كالبعير و السّكّين و نحوهما ، ينظر: ابن منظور : لسان العرب ، م 3، ج 18 ، مادّة (ربع) و ابن فارس ، الصّاحبي ، الهامش ، ص 101 .**

[2]- **ينظر : ابن فارس ، الصّاحبي ، ص 101 . .. 107 .**

[3]- **ينظر : السيّوطي جلال الدّين عبد الرّحمن (ت 911هت) ، المزهر في علوم اللّغة و أنواعها شرحه و ضبطه و صحّحه و عنون موضوعاته و علّق حواشيه محمّد أحمد جاد المولى بك ، محمّد أبو الفضل إبراهيم ، علي محمّد البجاوي ، مكتبة دار التّراث ، القاهرة ، ط 3 ، ج 1 ، ص 427 .**

[4]- **ينظر : السيّوطي ، المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 427 - 428 .**

و ثانيهما : تعميم الدّلالة ضمن فصل سمّاه :" فيما وضع في الأصل خاصّا ثمّ استعمل عامّا " [1]، ذكر فيه اللّفظ الخاصّ الذي عمّم ، و من أمثلة ذلك ما أورده **ابن فارس** في **"باب القول في أصول أسماء قِيس عليها و أُلحق بها غيرها "من كتابه "الصّاحبيّ " ، كالوِرد ، و العقيرة و القُرْب و المسافة ، وما ذكره ابن دريد في كتابه الجمهرة تحت باب الاستعارات ، ومن مثل ذلك : (النُجْعَةُ)** : أصلها طلب الغيث، ثم كثر فصار كلّ طلب انتجاعا، و**(المنيحة)** : أصلها أن يُعطى الرّجل النّاقة، فيشرب لبنها أو الشّاة، ثمّ صارت كلّ عطيّة منيحة، و**(الوغى)** : اختلاط الأصوات في الحرب، ثم كثر فصارت الحرب وغى، وكذلك **الواغيةُ، و(الغيثُ)** : المطر، ثم صار ما نبت بالغيث غيثا ... [2]

و يضاف إلى هذه المصادر التي اهتمّت بتطوّر دلالة الألفاظ ، تفاسير القرآن العظيم التي تناولت هي الأخرى تطوّر دلالة الألفاظ مع ربطها بسياقها في القرآن الكريم ، دون إدراجها ضمن كتاب خاصّ بهذه المسألة ، أو باب يشير إلى المسألة بوضوح ، [3]، و من أمثلة ذلك ما ورد في **قول الطّاهر بن عاشور عن أبي عبيدة** في تفسيره لكلمة **" الفسق"** « و فسَق : تجاوز عن طاعته ، و أصله قولهم : فسَقتِ الرُّطَبَةُ : إذا خرجت من قِشْرها ، فاستعمل مجازا في التّجاوز ، قال أبو عبيدة : و الفِسقُ بمعنى التّجاوز عن الطّاعة ، قال أبو عبيدة : لم نسمع ذلك في شيء من أشعار الجاهليّة ، و لا أحاديثها ، و إنّما تكلّم به العرب بعد نزول القرآن » [4]، فكلمة **" الفاسق "** لم تعرف العرب منها إلاّ قولهم فَسَقَتِ الرُّطَبَةُ ، إذا خرجت من قِشرتها ، و بمجيء الإسلام أعطاها مفهوما خاصّا لم يكن مستعملا من قبل عند العرب ، و هو التّجاوز عن الطّاعة ،و هو

---

[1]- ينظر : السيّوطي ، المزهر في علوم اللّغة و أنواعها ، ج 1 ، ص 429 .

[2]- ينظر : السيّوطي ، المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 429 ...433 .

[3]- ينظر : محمّد حسين علي الصّغير، تطوّر البحث الدّلاليّ، دراسة تطبيقيّة في القرآن الكريم ، دار المؤرّخ العربي ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1420هـ - 1999م ، ، ص 45...64 .

[4]- ابن عاشور ، محمّد الطّاهر، تفسير التّحرير و التّنوير، الدّار التّونيسيّة للنّشر، 1984م ، ج 15 ، ص 341 .

المعنى الذي أشار إليه **ابن فارس** في باب **" الأسباب الإسلاميّة "** ، حيث قال : « ولم يعرفوا في الفِسْقِ إلاّ قولهم فَسَقتِ الرُّطَبَةُ ، إذا خرجَتْ من قِشْرها ، و جاء الشَّرع بأنّ الفِسق الإفحاش في الخروج عن طاعة الله جلّ ثناؤه . » [1]

و كلام أبي عبيدة يوحي بأنّ كلمة **" الفاسق "** من الألفاظ التي نقلها الإسلام عن أصلها ، فالفِسْقُ عند العرب خروج الرُّطَبَة عن قشرها فاستعير بعد الإسلام ليدلّ على الخروج عن طاعة الله .

ونقل **الرّاغب الأصفهاني عن ابن الأعرابي أيضا** أنّه لم يسمع الفاسِقَ في وصف الإنسان في كلام العرب ، و إنّما قالوا فسَقَتِ الرُّطَبَةُ عن قشرها .[2]

ب- التّطوّر الدّلاليّ في الدّرس اللّغوي الحديث و المعاصر :

اهتمّ علماء اللّغة المحدثون بمسألة التّطوّر الدّلالي ، إذ عدّت هذه المسألة المحور الرّئيس لعلم الدّلالة الحديث ، حيث تركّزت جهود الباحثين فيه على دراسة التّغيّرات المتعاقبة التي تحدث للمعنى أو ما يدعى بعلم الدّلالة التّاريخي .[3] ، فعلم الدّلالة في بداية نشوئه كان مهتمّا بدراسة تطوّر المعنى و تغيّره ، لذا أطلق عليه هذا المصطلح .[4]

---

[1])- **ابن فارس ، الصّاحبيّ ، ص 84 .**

[2])- **الرّاغب الأصفهاني ، أبو القاسم الحسين بن محمّد ، المفردات في غريب القرآن ، تمّ التّحقيق و الإعداد بمركز الدراسات و البحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز ، مكتبة نزار مصطفى الباز ، ج 2 ، ص 492 .**

[3])- **ينظر: أحمد محمّد قدّور ، مصنّفات اللّحن و التّثقيف اللّغوي حتّى أواخر القرن العاشر الهجري ، ص 295 .**

[4])- **ينظر : ينظر : ف ، ر ، بالمر ، علم الدّلالة إطار جديد ، ترجمة صبري إبراهيم السّيّد ، دار المعرفة الجامعيّة ، الإسكندريّة ، 1995 م ، ص 24 .**

ومن هذا المنطلق فلا غرابة إذا أن تنال مسألة التّطور الدّلاليّ هذا القدر من الاهتمام بين العلماء و الباحثين الغربيين و العرب على حدّ سواء ، و نظر لسعة الموضوع و كثرة المهتمّين بمسائله ، فإنّه يمكن التّمثيل فقط ببعض من كان لهم أثر واضح في هذا المجال .

فعلى مستوى الدّرس اللّغوي الغربي كان اللّغوي الفرنسي **ميشال بريال** من المهتمّين بهذا **المجال، حيث** كان اهتمامه مرتبطا ببوادر ظهور **مصطلح علم الدّلالة** ، إذ تبلور هذا المصطلح في صورته الفرنسيّة **semantique** في أواخر القرن التّاسع عشر **سنة 1883** ليعبّر عن فرع من علم اللّغة العام هو "علم الدّلالات " ليقابل " علم الصّوتيات " الذي يعنى بدراسة الأصوات اللّغويّة .[1]، و قد **كتب ميشال بريال** بحثا بعنوان مقالة في **السّيمانتيك (semantique essai de) سنة 1897** و قد عني فيه بدلالات الألفاظ في اللّغات القديمة التي تنتمي إلى الفصيلة الهنديّة الأوروبيّة ، مثل اليونانيّة و السّنسكريتية و اللاّتينية ، و اعتبر بحثه و قتئذ ثورة في دراسة علم اللّغة و أوّل دراسة حديثة لتطوّر معاني الكلمات .[2]

و يعدّ **أرسين دار مستيتر A . Darmeseteter** أيضا من الذين كان لهم إسهام في هذا المجال ، حيث نشر كتابا بعنوان " حياة الألفاظ " **سنة 1887 م (La vie des mots)** ، حيث يقرّ فيه أنّ اللّغة أيّة لغة كانت و في أيّ فترة كانت من وجودها في تطوّر مستمرّ، يتنازعها في تطوّرها عاملان متناقضان تجاهد

---

[1])- ينظر : فايز الدّاية ، علم الدّلالة العربي ، النّظرية و التّطبيق ، دراسة تاريخية ، تأصيليّة ، نقديّة ، دار الفكر ، دمشق ، سوريّة ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، لبنان ، ط 2 ، 1417هـ - 1996 ، ص 6 .

[2])- ينظر : أحمد مختار عمر، علم الدّلالة ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط 1 ، 1985 م ، ط 2، 1988م ، ط 3 ، 1991م ، ط4 ، 1993 م ، ط 5 ، 1998م ، ص 22، محمود السّعران ، علم اللّغة مقدّمة للقارئ العربي ، دار النّهضة العربيّة للطّباعة و النّشر ، بيروت ، لبنان ، ص 292- 293 ، و ينظر الكتاب الأصلي : Michel bréal. Essai de sémantique,science des significations, paris ,1879 .

اللّغة في الاحتفاظ بتوازنها بينها ، و مدى احتفاظها بهذا التّوازن هو ما يؤدّي إلى بقائها و استمراريتها ، و هذان العاملان ؛ هما :

أ/ عامل المحافظة : وهو عامل كان دائما كابحا للتّطوّر اللّغوي ؛ لأنّه ينطلق من فكرة أساسيّة ، و هي أنَّ اللّغة تراثٌ قوميٌّ ، و قد يكون دينيّا أيضا تقتضي الأمانةُ الحفاظَ عليه كما كان على عهد السّلف .

ب/ عامل التّطوّر : وهو عامل ثوريّ متمرّد على الجمود ، تقف من ورائه الحضارة قوّة دافعة ، و لعامل التّطوّر أسباب ، منها : اختلاط النّاس بعضهم ببعض ، الرّحلة من مكان إلى آخر ، وجود عناصر بشريّة تدخل على مجموعة مستقرّة فتؤثّر في نطقها ؛ الهجرة الجماعيّة من البيئة الأصليّة إلى أمصار بعيدة أخرى ، تعاقب الأزمان و الأجيال مع وجود الفارق في دقّة التّلقّي عن طريق السّمع و عن طريق المحاكاة بين الأبناء و آبائهم . كلّ ذلك يحدث عاهات على مستوى شكل اللّغة ، بل يظهر فيها لهجات تتنوّع و تنفصل عن اللّغة الأم . [1]،

كما كتب **أنطوان مييه (meillet Antoine)** عن الأسباب المؤدّية إلى تغيّر المعنى و حصرها في الأسباب اللّغويّة و التّاريخيّة و الاجتماعيّة . [2]،

و نجد **فندريس** أيضا يتحدّث عن مجالات التّطوّر اللّغوي الممثّلة في المجال الصّوتي و الصّرفي و النّحوي و الدّلالي ، معتبرا أنّ جانب المفردات هو الجانب الأكثر تطوّرا مقارنة مع الجوانب الأخرى التي تتميّز بالثّبات و الاستقرار ، و يرجع ذلك إلى أنّ المفردات لا تستقرّ على حال ، لأنّها تتبع الظّروف ، فكلّ متكلّم يكوّن مفرداته من أوّل حياته إلى آخرها بمداومته على الاستعارة ممّن يحيطون به ، و طبيعة حياة

---

[1])- ينظر : حسن ظاظا ، اللّسان والإنسان- مدخل إلى معرفة اللّغة ، ص 93...95 ، نقلا عن : Arséne darmesteter: La vie des mots,paris librairie delagrave,1950,p6...27 ، و ينظر أيضا : أحمّد محمّد قدّور ، مصنّفات اللّحن و التّثقيف اللّغوي، ص 29 .

[2])- ينظر : أحمد مختار عمر، علم الدّلالة ، ص 237 ، ستيفن أولمان ، دور الكلمة في اللّغة ، ص 154 .

الإنسان تفرض عليه أن يزيد من كلماته و ينقص منها ، و يغيّر فيها أيضا ، كما حصر أيضا التّغيرات المختلفة التي تصيب الكلمات من حيث المعنى في ثلاثة أنواع ، ممثّلة في **التّضييق (التّخصيص) و الاتّساع (التّعميم) و الانتقال** معرّجا في ذلك على أسباب هذا التّغيّر .[1]

و قد أشار اللّغوي الأمريكي **بلومفيلد (L . Bloomfield)** إلى مسالة تغيّر المعنى و حصرها في نماذج معيّنة ، وهي : تضييق المعنى ، توسيع المعنى ، الاستعارة ، الكناية ، المجاز المرسل ، المبالغة ، انحدار الدّلالة ، انحطاط الدّلالة و رقي الدّلالة .[2]

أمّا بالمر فكان اهتمامه أيضا واضحا بهذه المسألة ، حيث تناولها في خضمّ حديثه عن مصطلح علم الدّلالة التّاريخي الذي يعني دراسة تغيّر المعنى عبر الزّمن ، و قد أكّد أنّ عددا كبيرا من الدّراسات التي قام بها العلماء عن علم الدّلالة هو من النّوع التّاريخي ، و أنّ مصطلح علم الدّلالة استخدم أوّلا في الإشارة إلى تطوّر المعنى و تغيّره ، ثمّ خصّص حديثه أيضا عن أنواع التّغيّر مستعينا في ذلك بتصنيف **بلومفيلد** ، و التي حصرها في : تضييق المعنى ، توسيع المعنى ، الاستعارة ، الكناية ، المجاز المرسل ، المبالغة ، انحدار الدّلالة ، انحطاط الدّلالة و رقي الدّلالة ، مرجعا إيّاها إلى أسباب و عوامل ، أهمّها المصادفة ، و الاحتياجات الجديدة و الحظر و التّحريم.[3]

أمّا ستيفن أولمان فقد انصبّ اهتمامه أيضا على كلّ ما يتعلّق بعلم الدّلالة ، و كان لمسألة تغيّر المعنى نصيب من هذا الاهتمام ، حيث تحدّث بصورة موسّعة عن أسباب تغيّر المعنى و التي حصرها في الأسباب

---

[1])- ينظر : جوزيف فندريس ، اللّغة ، تعريب عبد الحميد الدّواخلي ، محمد القصّاص ، الناشر ، مكتبة الأنجلو المصرية ، مطبعة لجنة البيان العربي ، ص 246 ...270 .

[2])- ينظر : بالمر ، علم الدّلالة إطار جديد ، ص 24-25 .

[3])- ينظر : بالمر ، المرجع نفسه ، ص 24....26 .

اللّغويّة و التّاريخيّة و الاجتماعيّة ، كما تحدّث أيضا عن كيفيّة تغيّر المعنى ، إذ حصرها في مجموعة من المظاهر ، منها توسيع المعنى و تضييقه و انتقال المعنى و المبالغة .[1]

أمّا بالنّسبة للّغويين **المحدثين** العرب فكان لهم أيضا إسهام كبير في هذا المجال ، إذ ركّزوا في مصنّفاتهم على أسباب تغيّر المعنى و مظاهره و أشكاله ، على الرّغم من عدم اتّفاقهم على استعمال مصطلح التّغير أم التّطوّر ، فهناك من استعمل مصطلح التّغيّر و هناك من استعمل مصطلح التّطوّر ، و هناك من زاوج بين الاستعمالين معا ، ومن أهمّ هؤلاء الذين اهتمّوا بهذا المجال نذكر: **إبراهيم أنيس ، أحمد مختار عمر ، كمال بشر ، علي عبد الواحد وافي ، رمضان عبد التّوّاب ، محمود السّعران ، فايز الدّاية و غيرهم**.[2]

و يمكن القول إنّ البحث في مسألة التّطوّر الدّلالي في الدّرس اللّغوي العربي القديم و الحديث مسألة متشعّبة و واسعة الآفاق ، و تحتاج إلى دراسة كلّ مصنّف على حدة ، و ذلك بغية الوقوف على نظرة كلّ مؤلّف لهذا الموضوع ، و بغية الوقوف على حقيقة هذه الظّاهرة في كلّ لغة من اللّغات .

---

[1])- ينظر : ستيفن أولمان ، دور الكلمة في اللّغة ، ص 152 ...183 .

[2])- ينظر : إبراهيم أنيس ، دلالة الألفاظ ، ص 122 ...167 ، أحمد مختار عمر ، علم الدّلالة ، ص 235 ...250 ، علي عبد الواحد وافي ، علم اللّغة ، نهضة مصر للطّباعة و النّشر و التّوزيع ، القاهرة ، ط 9 ، 2004م ، ص 313 ...328 ، رمضان عبد التّوّاب ، التّطوّر اللّغويّ مظاهره و علله و قوانينه ، ص 189 ...205 ، محمود السّعران ، علم اللّغة مقدّمة للقارئ العربي ، ص 280 ..290 ، محمّد المبارك ، فقه اللّغة و خصائص العربيّة ، ص 207 ...222 ، فايز الدّاية ، علم الدّلالة العربي النّظريّة و التّطبيق ، ص 175 ...269 ، 271...321 . و غيرها .

المحاضرة السّادسة : أسباب و عوامل التّطوّر الدّلاليّ

المحاضرة السّادسة : أسباب وعوامل التّطوّر الدّلاليّ

توطئة :

قبل الشّروع في تناول موضوع أسباب و عوامل التّطوّر الدّلاليّ ينبغي أن نشير إلى أنَّ هذه الأسباب و العوامل متداخلة فيما بينها ، يصعب الفصل بينها ، و ذلك أنَّ سببا واحدا يمكن أن يكون ذا وجهين أو أكثر ، هذا من جهة ، و من جهة أخرى، فهي عوامل ليست جامعة وكافية لتوضيح كلّ حالات تغيّر المعنى ، يقول **أولمان** مبيّنا أنّ الأسباب اللّغوية و التّاريخيّة و الاجتماعيّة غير كافية لرصد كلّ تغيرات المعنى : « هذه الأنواع الثّلاثة مجتمعة تستطيع فيما بينها أن توضّح حالات كثيرة من تغيّر المعنى ، و لكنّها مع ذلك ليست جامعة بحال من الأحوال . » [1]

و يستشفّ من قول **أولمان** أنّ هذه العوامل ليست كافية لتوضيح كلّ تغيّرات المعنى ،و في الوقت نفسه فهي عوامل و أسباب متداخلة فيما بينها ، قد لا نستطيع الفصل بينها في كثير من الأحيان ، أو التّمييز بينها ، إذ لا يمكن أن نفصل مثلا عامل الاستعمال عن الأسباب النّفسيّة و الاجتماعيّة و التّاريخيّة و غيرها ، فاستعمال لفظ ما في معنى معيّن مرتبط بما تحدثه هذه العوامل من أثر ، يجعله مستعملا أو مستهجنا أو مندثرا أو معمّما أو مخصّصا ، كما لا يمكن أن نفصل أيضا العوامل النّفسيّة عن العوامل الاجتماعيّة و غيرها ، فالمحظور الذي يرجع في غالبه إلى العوامل النّفسيّة مرتبط أشدّ الارتباط بمدى قبوله أو رفضه من قبل المجتمع ، لذلك فتقسيم أسباب و عوامل التّطوّر اللّغوي هو مجرّد تقسيم شكليّ لا أكثر في نظرنا . و فيما يلي توضيح لهذه الأسباب و العوامل:

[1])- ستيفن أولمان ، دور الكلمة في اللّغة ، ص 157 .

🕮. المحاضرة السّادسة : أسباب وعوامل التّطوّر الدّلاليّ

أوّلا : الأسباب اللّغويّة :

و هي أسباب نابعة من اللّغة ذاتها ، وهذه الأسباب تتفرّع في داخلها إلى أمور أخرى، أهمّها :

1/الاستعمال :

تغيّر مدلول اللّفظ مرتبط أشدّ الارتباط بمدى كثرة استعماله ، إذ يحكم على تغيّر دلالة لفظ ما بمدى شيوعه على الألسنة بذلك المعنى ، و يحكم على تراجع مدلول ما أو اختفائه أو هجره بمدى قلّة استعماله أو هجران استعماله بذلك المعنى ، يقول **عبد السّلام المسدّي** : « الألسنة البشريّة لا تتوقّف عن التّغيّر إلاّ إذا انقطعت عن الاستعمال ، فعدّت ألسنة ميّتة تدرس كحقائق تاريخيّة أثريّة . » [1] ، ويأخذ هذا التّغيّر عدّة أشكال ، منها :

<u>الأوّلُ</u>: تخصيصُ العامِ أو تعميمُ الخاصِّ:

أ/ كثرة استعمال العام في بعض ما يدلّ عليه تجعله بمرور الأيّام خاصًّا، ويقصر مدلوله على الحالات التي شاع فيها استعماله، ومن ذلك جميع المفردات التي كانت عند العرب عامّة المدلول ، ثمّ شاع استعمالها في الإسلام في معان خاصّة تتعلّق بشؤون الدّين وشعائره ؛ كالصّلاة والحجّ والصّوم والمؤمنِ والكافرِ والمنافقِ..... إلخ ، فالصّلاة مثلا معناها في الأصل الدّعاء ، ثم شاع استعمالها في الإسلام في العبادة المعروفة لاشتمالها على مظهر من مظاهر الدّعاء ، و الحجّ معناه في الأصل قصد الشّيء و الاتّجاه إليه ، ثمّ شاع استعماله في قصد البيت الحرام حتىّ أصبح مدلوله الحقيقي مقصورا على هذه الشّعيرة ... [2]

---

[1])- عبد السّلام المسدّي ، اللّسانيات و أسسها المعرفيّة ، ص 39 .

[2])- ينظر : علي عبد الواحد وافي : علم اللّغة . ص 319- 320 ، عبد الغفّار حامد هلال ، علم اللغة بين القديم و الحديث ، ص 213 ، محمّد محمّد داود ، العربيّة و علم اللّغة الحديث ، دار غريب للطّباعة و النّشر و التّوزيع ،

ب/ كثرة استعمال الخاصّ في معان عامّة ، تجعله أيضا بمرور الأيام عامّا ، ومن ذلك في اللّغة العربيّة كلمات : البأس والوِرد والرّائد ... إلخ ، فالبَأسُ في الأصل الشِّدَّةُ في الحرب ، ثم كثُرَ استعمالُه في كلِّ شدّة ، فاكتسب الدّلالةَ على العموم من هذا الاستعمال ، وأصلُ " الوِردِ " : إتيانُ الماء وحده ، ثم صار إتيانُ كلِّ شيء وِردًا ، لكَثرةِ استعماله في هذا المعنى العام . و" الرَّائد" في الأصلِ طالبُ الكلأِ ، ثم صار طالب كلِّ حاجة رائدا ، [1] .و من ذلك في اللّغة الإنجليزيّة كلمة " **arrive**" و في الفرنسيّة " **arriver**" المنحدرة عن اللاّتنيّة" **adripare**" ، فقد كانت تدلّ في الأصل على الوصول إلى الشّاطئ ، ثمّ شاع استعمالها الآن في كلّ وصول سواء أكان ذلك على القدم أم بأيّة وسيلة أخرى من وسائل الانتقال ، و قد استقرّ معناها على هذا المعنى . [2]

<u>الثّاني:</u> انتقال الدّلالة من معناها الحقيقي إلى معنى مجازي يصبح لطول العهد بها حقيقيّا ؛ أي أنَّ كثرة استخدام الكلمة في معنى مجازيّ تؤدّي غالبا إلى انقراض معناها الحقيقيّ، وحلول هذا المعنى المجازيّ محلّه

القاهرة ، 2001م . ، ص 219 ، عُودة ، خليل أبو عُودة ، التّطوّر الدّلاليّ بين لغة الشّعر الجاهلي و لغة القرآن الكريم ، دراسة دلاليّة مقارنة ، مكتبة المنار، الأردن ، ط 1/ 1405هـ -1985م ، ص 53 .

[1])- ينظر : علي عبد الواحد وافي : علم اللّغة . ص 320 ، عبد الغفّار حامد هلال ، علم اللّغة بين القديم و الحديث ، ص 213 – 214 ، محمّد محمّد داود ، العربيّة و علم اللّغة الحديث ، ص 220 ، عودة ، خليل أبو ناصر، التّطوّر الدّلاليّ بين لغة الشّعر الجاهلي و لغة القرآن الكريم ، ص 53 .

[2])- ينظر: ستيفن أولمان ، دور الكلمة في اللّغة ، ص 162 ، إبراهيم أنيس ، دلالة الألفاظ ، ص 155 – 156 ، علي عبد الواحد وافي : علم اللّغة . ص 320 ،

. [1] ، و من أمثلة ذلك في اللّغة العربيّة كلمات المجد ، العقيقة ، الوغى ، فالمعنى الأصلي و الحقيقي الذي كانت تستعمل فيه كلمة " المجد" هو امتلاء بطن الدّابة من العلف ثم استعمل في معنى مجازيّ و هو السّموّ و الرّفعة ، و قد كثر استعمال لفظ " المجد " في هذا المعنى الجديد حتى نسي معناه القديم [2] ، و قد ورد في حديث عليّ رضي الله عنه أنَّ رجلا قال له : أخبرني عن قريش ، قال: أمَّا نحن بنو هاشم فأنجاد أمجاد [3] ، **قال الخطّابي** : قال أبو عبيدة : يقال : أنجدت الرّجُل ، إذا أعنتُه ، أنجده ، و نجَدْتُه أنجدُه ، إذا غلبته ، و الأمجاد : الكرام ، واحدهم ماجِدٌ ، كقولك : شاهِدٌ و أشْهَادٌ قال ابن الأعرابي : المجدُ : الرِّفعة و السَّناءُ، و قال بعضهم : أصل "المجد "امتلاءُ بطنِ البعير من العلف، ثمّ قالوا مجَدَ فلانٌ ، فهو ماجدٌ، أي: امتلأ كرمًا [4] ، فقد انتقلت دلالة اللّفظ من الدّلالة على امتلاء بطن الدّابة من العلف ، إلى الدّلالة على امتلاء الإنسان بمحامد الصّفات ومحاسنها، و قد انقرض المعنى الأصلي و بقي المعنى المجازيّ

---

[1])- ينظر: علي عبد الواحد وافي ، علم اللّغة . ص 321 ، عبد الغفّار حامد هلال ، علم اللّغة بين القديم و الحديث ، ص 214 ، محمّد محمّد داود ، العربيّة و علم اللّغة الحديث ، ص 220 ، عُودة ، خليل أبو عُودة ، التّطوّر الدّلاليّ بين لغة الشّعر الجاهلي و لغة القرآن الكريم ، ص 53 .

[2])- ينظر: علي عبد الواحد وافي ، علم اللّغة . ص 321 ، عبد الغفّار حامد هلال ، علم اللّغة بين القديم و الحديث ، ص 214 ، محمّد محمّد داود ، العربيّة و علم اللّغة الحديث ، ص 220 .

[3])- ينظر: الصّنعاني ، أبو بكر عبد الرّزّاق بن همّام (ت 211هـ) المصنّف ، تحقيق : حبيب الرّحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي . بيروت ، لبنان ، ط1– 1392هـ ، 1972م ، ج 5 ، ص 452 .

[4])- ينظر: الخطّابي ، أبو سليمان ، حمد بن محمّد بن إبراهيم الخطّابي البُستي (388هـ) ، غريب الحديث ، تحقيق عبد الكريم إبراهيم العزباوي ، دار الفكر ، دمشق ، 1402هـ – 1982م ، ج 2 . ص 146-147 .

يستعمل على وجه الحقيقة ، و " العقيقة " هي في الأصل الشّعر الذي يخرج على الولد من بطن أمّه ، ثمّ نقل إلى الذّبيحة التي تنحر عند حلق ذلك الشّعر على سبيل المجاز [1] ، و قد قال **أبو عبيد (ت 224هـ)** في حديث النّبيّ صلّى الله عليه و سلّم : " عن الغلام شاتان وعن الجارية شاة " ، قوله : العقيقة ، قال الأصمعي و غيره : "العقيقة"، أصلها : الشَّعْرُ الذي يكون على رأسِ الصَّبيّ **حين يولدُ** ، و إنّما سمّيت الشّاة التي تذبح عنه في تلك الحال عقيقة ، لأنّه يُحلق عنه هذا الشّعر عند الذّبح . » [2] ، فقد انتقل معنى العقيقة من الدّلالة على الشّعر الذي يكون على رأس الصَّبيِّ حين يولدُ ، إلى الدّلالةِ على الذَّبيحةِ تذبَحُ عنهُ.

الثّالث: استعمال اللّفظ اسما أو مصطلحا علميّا :

استخدام الكلمة في فنٍّ بمعنى خاصٍّ يجرّدها في هذا الفنِّ من معناها اللُّغوي، ويقصرها على مدلولها الاصطلاحيِّ، حيث تشتهر بتلك الدّلالات الاصطلاحيّةّ و تنسى دلالاتها القديمة ، و من أمثلة ذلك مصطلحات الآداب ، والفلسفة، والقانون، والاجتماع، والعلوم، والفنون- وما إلى ذلك..... [3]

---

[1])- ينظر : علي عبد الواحد وافي ، علم اللّغة . ص 321 ، عبد الغفّار حامد هلال ، علم اللّغة بين القديم و الحديث ، ص 215 ، محمّد محمّد داود ، العربيّة و علم اللّغة الحديث ، ص 220 .

[2])- ينظر : أبو عبيد القاسم بن سلاّم الهروي (ت 224هـ) ، غريب الحديث ، تحقيق حسين محمّد محمّد شرف ، مراجعة محمّد عبد الغني حسن ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميريّة ، القاهرة ، 1404هـ - 1984م ، ج2 ، 152 ...154 .

[3])- ينظر : علي عبد الواحد وافي ، علم اللّغة . ص 321 ، عبد الغفّار حامد هلال ، علم اللّغة بين القديم و الحديث ، ص 215 ، ص 215 .

2/ سوء الفهم : وهي الحالة التي يمرُّ بها السّامع لأوّل مرّة حين يسمع لفظا ، فيغيّر دلالته على ما يفهم ، و بعد سماعها مرّة أخرى يفهمها فهما آخر، و بهذا ينتج للّفظ معنيان ؛ معنى مركزيٌّ ، و آخر هامشيٌّ ، ويمكن قياس هذه الحالة على المجتمعات البدائية التي تتكلّم اللّغة لأوّل مرّة ، فتحدّد معاني مفردات هذه اللّغة بطريقة معيّنة و بعد إتقانها لهذه اللّغة نجدها قد فهمت هذه الألفاظ على نحوٍ مغايرٍ للمفهومِ الأوَّلِ ، فيحدث ما يسمىَّ باندثار الدّلالة الأصليّة و اكتساب دلالةٍ جديدةٍ ، و هذا قد يكون أحد أسباب وقوع المشترك اللّفظيّ ، و الذي يؤدّي في حقيقة الأمر في كثير من الأحيان إلى عدم المقدرة على إيجاد تفسير معقول للعلاقة التي تربط بين الكلمات أو وجه الشّبه بينها ، و من أمثلة ذلك كلمة " **الأرض** " التي تعني الكوكب المعروف ، و تعني أيضا الزّكام ، و كلمة " **اللّيث** " التي تعني الأسد ، و تعني أيضا العنكبوت ، و كلمة "الغروب " التي تعني وقت الغروب ، و تعني الدِّلاء و هو جمع دَلوٍ ، و تعني أيضا الوهاد المنخفضة . [1]

3/غموض معنى الكلمة :

قد يرتبط تغيّر مدلول الكلمة بمدى وضوحها في الذّهن و غموضها ؛ فكلّما كان مدلول الكلمة واضحا في الذّهن قلَّ تعرّضه للتّغيّر، وكلّما كان مبهما غامضا كثر تقلُّبه و مقاومته للانحراف . [2]

4/ تغير مدلول الكلمة ؛ لأنّ الشّيء الذي تدلّ عليه تغيّرت طبيعته ،أو عناصره أو وظائفه أو الشّؤون الاجتماعيّة المتّصلة به ؛ و مثال ذلك : **كلمة "الرّيشة"** ،حيث كانت تطلق على آلة الكتابة أيام كانت تتّخذ من ريش الطّيور، ولكن تغيّر مدلولها الأصلي تبعا لتغيّر المادّة المتّخذة منها آلة الكتابة فأصبحت تطلق على قطعة من المعدن مشكّلة في صورة خاصّة ، و كذلك نجد كلمة **"القطار"** ، تغيّر مدلولها لتغيّر طبيعة الشّيء

[1])- ينظر: إبراهيم أنيس ، دلالة الألفاظ ، ص 135 – 136 .

[2])- ينظر: علي عبد الواحد وافي ، علم اللّغة . ص 321 -322 .

الذي **كانت تدلّ عليه** ، **حيث كانت** تطلق في الأصل على عدد من الإبل على نسق واحد تستخدم في السّفر ، و لكن تغيّر مدلولها الأصلي تبعا لتطوّر وسائل المواصلات ، فأصبح يطلق على مجموعة عربات تقطرها قاطرة بخاريّة .[1]

5 / تطوّر أصوات الكلمة :

قد يعتمد تغيّر معنى كلمة على التّطوّر الصّوتي في بعض أصواتها، فثبات أصوات الكلمة يساعد على ثبات معناها، وتغيّرها يذلّل أحيانا السَّبيل إلى تغيّره [2] ، و يحدث عادة هذا التّغيّر بين الكلمات المتشابهة أو المتقاربة صوتيا ، ومن أمثلة ذلك تطوّر " **السّين** " في كلمة " **السّغْب** " إلى حرف مناظر له في المخرج و الصّفة ، و هو صوت "**التّاء** "، إذ أنتج لنا صورة جديدة للكلمة تماثل تمام المماثلة كلمة أخرى وهي كلمة " **التّغَب** [3] . إذ استعمل **السَّغْب أو السّغَب في** معنى الجوع مع التّعب [4] . و استعمل " **التّغَبُ** في معنى الوسخ و الدَّرَن و الهلاك في الدّين و الدّنيا ، كما استعمل " **التّغْبُ** " بتسكين الغين في معنى القبيح و الرّيبة ،

---

[1])- ينظر: علي عبد الواحد وافي ، علم اللّغة ، ص 324 .

[2])- ينظر: علي عبد الواحد وافي ، المرجع نفسه . ص 321 . عبد الغفّار حامد هلال ، علم اللّغة بين القديم و الحديث ، ص 216 ، محمّد محمّد داود ، العربيّة و علم اللّغة الحديث ، ص 221 .

[3])- ينظر: إبراهيم أنيس ، دلالة الألفاظ ، ص 138 .

[4])- ينظر: ابن منظور ، لسان العرب ، م 3، ج 23 ، ص 2021 ، مادّة (سغب) ، السّيوطي : المزهر في علوم اللّغة ، ج 1 ، ص 453 .

و تَغَبَّةٌ في معنى القحط و الجوع .[1] ، أي أنّ التّطوّر الصّوتي أدّى إلى التّحوّل الدّلالي من المعنى الأوّلِ ، وهو " الجوعِ مع التّعب " إلى المعاني الثّانية ، و هي : الوسخ و الدَّرَن و الهلاك في الدّين و الدّنيا و القحط و الجوع .

و من أمثلة هذا النّوع من التّطوّر أيضا كلمة " **كماش** " الفارسيّة بمعنى نسيج من قطن خشن ، حيث تطوّرت فيها الكاف ، فأصبحت قافا ، فشابهت الكلمة العربيّة " **قماش** " بمعنى أراذل النّاس و ما وقع على الأرض من فتات الأشياء و متاع البيت ، فأصبحت هذه الكلمة العربيّة ذات دلالة جديدة على المنسوجات . [2]

و يدرج إبراهيم أنيس هذا التّطوّر الصّوتي ضمن العنصر الثّاني للاستعمال . [3] و هو بلى الألفاظ ، إذ يحدث حين يصيب اللّفظ بعض التّغيّر في الصّورة و يصادف بعد ذلك أن يشبه لفظا آخر في صورته فتختلط الدّلالتان ، و يصبح اللّفظ ممّا يسمّى بالمشترك اللّفظي ، و يترتّب عن هذا التّطوّر الصّوتي تطوّر دلاليّ ، إذ يصبح للّفظ الواحد أكثر من دلالة . [4]

---

[1])- ينظر: ابن منظور ، لسان العرب ، م 1 ، ج5 ، ص 434 ، مادّة (تغب) .

[2])- ينظر: رمضان عبد التّوّاب ، لحن العامّة و التّطوّر اللّغوي ، ص 63 ، إبراهيم أنيس ، دلالة الألفاظ ، ص 138 - 139 ، عبد الغفّار حامد هلال ، علم اللّغة بين القديم و الحديث ، ص 217 .

[3])- حدّد إبراهيم أنيس للاستعمال ثلاثة عناصر ، و هي : سوء الفهم ، و بلى الألفاظ و الابتذال ، ينظر: دلالة الألفاظ ، ص 134 ...145 .

[4])- ينظر: إبراهيم أنيس ، دلالة الألفاظ ، ص 138 .

4/ خفاء معنى اللّفظ أو نسيان مجال استعماله :

فكثيرا ما ينجم عن انتقال اللّغة من السّلف إلى الخلف تغيُّرٌ في معاني المفردات ، وذلك أنَّ الجيل اللاّحق لا يفهم جميع الكلماتِ على الوجه الذي يفهمها عليه الجيلُ السَّابقُ. [1] ومن أمثلة ذلك لفظ **"المنيحة"** ، فأصلُ دلالتها النَّاقةُ أو الشّاة ذاتُ اللَّبنِ تُعارُ، ليُنتفعَ بلبنها أيَّامًا، ثُمَّ تُردُّ إلى أهلِها، أو تُعطى لشرب لبنها و جزِّ وبرها و صوفها ، ثمَّ تطوَّر هذا المعنى مع الأجيال إلى المنحِ عامةً ، ناقةً أو غيرهَا ، فكلّ عطيّة منيحة . [2]

فقد نسي المعنى الأصلي الأوّل و اختفى من الاستعمال ، و بقي الاستعمال الآخر و هو المنح عامّة دون تخصيص ذلك .

و كذلك تغيُّرُ دلالةِ كلمات **" البهلول ، و الغانية و الحاجب "** ، حيث كانت تعني كلمة **"البهلول"** في الشِّعر القديم السّيّد الكريم ، ولكن تغيَّر معناها اليوم ، حيث أصبحت تدلُّ على الرّجل المعتوه الذي لا يدري ماذا يفعل ، و قد تغيّرت حركةُ الباءِ في الكلمة من الضَّمِّ إلى الفتحِ في استعمال عامّة النّاس [3] ، و **"الغَانيَةُ**

---

[1])- ينظر: عبد الغفّار حامد هلال ، علم اللّغة بين القديم و الحديث ، ص 217- 218 ، علي عبد الواحد وافي ، علم اللّغة . ص 323.

[2])- ينظر: ابن دريد ، جمهرة اللّغة ، باب الاستعارات ، ج 3. ص 432 ، الزّبيدي ، السّيّد محمّد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق عبد السّلام محمّد هارون ، راجعته لجنة فنّية من وزارة الإرشاد و الأنباء ، مطبعة حكومة الكوّيت ، 1415هـ – 1994م ، ج 7، ص 154 ، مادّة (منح) .

[3])- ينظر: عُودة ، خليل أبو عُودة ، التّطوّر الدّلاليّ بين لغة الشّعر الجاهلي و لغة القرآن الكريم ، ص 54 ، أحمد مختار عمر ، معجم اللّغة العربيّة المعاصرة ، م1 ، ص 256 ، مادّة (بهلل) .

" كانت تعني قديما المرأة الجميلة التي استغنت بجمالها عن الزّينة [1] ، و هي الآن المرأة السّاقطة . [2]، و الحاجب كانت تعني في الدّولة الأندلسيّة ما يقابل رئيس الوزراء الآن ، و لكنَّها في عصرنا الحالي لا تعني أكثر من الحارس أو الخادم [3] ، فخفاء معنى اللَّفظِ أو نسيانُ طرائق استعماله له أثر في تطوُّرِ المعنى .[4]

5/ أثرُ بعضِ القواعدِ اللّغويَّةِ:

قد تعمل قواعد اللّغة على تغيير مدلول الكلمة ، وتساعد على توجيهها وجهة خاصّة ، و من أمثلة ذلك استعمال كلمة " **ولد** " للدّلالة على المذّكر ، على الرّغم من دلالتها في الأصل على عموم المولود ذكرا كان أو أنثى [5] ، و هو صريح التَّعبير اللّغوي و الشَّرعي للكلمة في **القرآن الكريم** ، قال تعالى : ﴿ **يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ** ﴾ [**النّساء: 11**] ، فاستعمالها كثيرا في معنى المذكّر جعلها ترتبط في الذّهن مباشرة بالمذكّر ، إذ أصبحت لا تطلق إلاّ على المذكّر.

---

[1])- ينظر: ابن الإمام التّونُسيّ ، الجُمانة في إزالة الرَّطانة ، بحث في لغة التّخاطب في الأندلس و تونس ، باب ما يضعونه غير موضعه ، مهّد له و حقّقه و علّق عليه حسن حسني عبد الوهّاب ، دار المقتبس ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1435هـ - 2014م ، ص 86 ، رمضان عبد التّوّاب ، لحن العامّة و التّطوّر اللّغويّ ، ص 324 ، أحمد مختار عمر بمساعدة فريق عمل ، معجم اللّغة العربيّة المعاصرة ، م2 ، ص 1647 ، مادّة (غني)

[2])- ينظر: عُودة ، خليل أبو عُودة ، التّطوّر الدّلاليّ بين لغة الشّعر الجاهلي و لغة القرآن الكريم ، ص 54 ، أحمد مختار عمر بمساعدة فريق عمل ، معجم اللّغة العربيّة المعاصرة ، م2 ، ص 1647 ، مادّة (غني) .

[3])- ينظر: إبراهيم أنيس ، دلالة الألفاظ ، ص 157 ، رمضان عبد التّوّاب : لحن العامة و التّطوّر اللّغوي ، ص 63 ، عُودة ، خليل أبو عُودة ، التّطوّر الدّلاليّ بين لغة الشّعر الجاهلي و لغة القرآن الكريم ، ص 54 .

[4])- ينظر: عبد الغفّار حامد هلال ، علم اللّغة بين القديم و الحديث ، ص 218 .

[5])- ينظر: ينظر: علي عبد الواحد وافي ، علم اللّغة . ص 321 . عبد الغفّار حامد هلال ، علم اللّغة بين القديم و الحديث ، ص 219 .

و كذلك كلمة" **سراويل**" المُعَرَّبة من الفارسيّة، تدلُّ على المفرد، وهي على وزن "فعاليل" إحدى صيغ الجموع في اللّغة العربيّة، ولذلك توهَّمها بعض العرب جمعا مفرده "**سروال**" [1] ، **قال الأزهري (ت 370هـ) :** « و السّراويلُ معرَّبة ، و جاء السّراويلُ على لفظ الجماعة ، وهي واحدة، وقد سَمِعتُ غيرَ واحدٍ من الأعراب يقول : سِروالٌ، و إذا قالوا سَراويلُ أنّثوا ، **و قال** اللّيث : السَّراويلُ أعجميّة أُعرِبتْ و أُنِّثت و تجمع سَراويلات ، قال : و سَرْوَلْتُهُ ، إذا ألبستُه السّراويلَ . » [2]

6/- انتقال اللّفظ من لغة إلى أخرى :

قد يتغيَّرُ مدلولُ الكلمة عند انتقالِها من لغةٍ إلى أخرى أو من لهجةٍ إلى أخرى ، وهنا تتدخَّلُ العوامل النّفسيّةُ والاجتماعيّةُ للتحكّم في مدلول الكلمات ، فقد ترتفع كلمات حتى تعدّ من نبيل القول و مصطفاه، وقد تنحدر كلمات أخرى حتىّ تصبح من فحش القول، وقد ينقرض معنىً أساسيٌّ ويتغلَّبُ عليه معنى جديد . [3]

و من أمثلة ذلك كلمة " **قماش** " العربيّة التي تذكر لها القواميس العربيّة معنى السّقط و الدّون من كلِّ شيءٍ ، كما تقال لأراذل النّاس ، دون أن يكون من معناها ما يُتَّخذُ منه اللِّباس ونحوه ، إلاّ ما ورد في قليل

---

[1]- ينظر: عبد الغفّار حامد هلال ، علم اللّغة بين القديم و الحديث ، ص 219 .

[2]- ينظر: الأزهري : أبو منصور محمّد بن أحمد بن الأزهري (ت 370هـ) ، تهذيب اللّغة ، إشراف محمّد عوض مرعب ، تعليق عَمر سَلامي ، عبد الكريم حامد ، تقديم فاطمة محمّد أصلان ، دار إحياء التّراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ،1421 هـ - 2001م ، ج 12/ ص 271 مادّة (سرل) .

[3]- ينظر: ينظر: علي عبد الواحد وافي ، علم اللّغة . ص 323-324 . عبد الغفّار حامد هلال ، علم اللّغة بين القديم و الحديث ، ص 220 .

من المعاجم ، و يحتمل أن يكون نطقها قد تغيَّر بشكل أو بآخر ، فقاربتِ الكلمةُ الفارسيَّة " **كماش** " التي تعني النّسيج من القطن ، فأخذت العربيَّة من نظيرتها الفارسيّة حتى غلبت معنى النّسيج على المعنى الأصليّ نفسِه في العربيّة ، وقد تمّت الإشارة إلى ذلك سابقا ، حيث عدّ التّطور تطوّرا صوتيّا . [1]

كما تعمد كلُّ لغةٍ إلى التَّوسُّعِ في ألفاظها عن طريق استعانتها بلغات أخرى و هو ما يعرف بالاقتراضِ اللُّغويّ ، فتلجأُ إلى التَّحوير في بنيتها و جعلِها على نسيجِ كلماتِها ، ومن أمثلة ما اقترضته اللّغة العربيّة كلمة " **السّكّر** " و هي المادّة الحلوة المعروفة ، و تكاد تكون هذه التّسمية عالميّة إلاّ في بعض اللّغات ، حيث يطلق عليها في اليبانيّة " **ساتو**" و في الأندونيسيّة " **جولا** " إلى جانب كلمة " **السّكر**"، و قيل بأنّها من أصل هنديّ ، و أنّها ترجع إلى السّنسكريتيّة القديمة ، حيث توجد كلمة " **سركرا** " و كان معناها الأصليّ حبيبات الرّمل ؛ لأنّهم كانوا يستعملون السّكر مسحوقا كحبيبات الرّمل ، و كلمة " **الشَّاي**" التي طرأت عليها بعض التّغييرات الصّوتية الطّفيفة ، فهي في الفارسيَّةِ و التُّركيَّةِ " **تشاي** " ، و أصلها من اللّغة الصّينيّة ، و الكلمة الدّالة عليها **هي " تشا " " Tchaa".**

و كلمة " **الرِّيال** " و هي عملة لنقد قديم عرف في المغرب ، و في كثير من بلاد الشرق العربي ، و أصلها من كلمة "**ريال**" " **Real** " الإسبانيّة التي تقابل الإنجليزيّة و الفرنسيّة " **رويال** " " **Royal** " بمعنى الملكي . [2] ، كما استعارت اللّغات الأجنبيّة بعضا من ألفاظ اللّغة العربيّة بعد أن صبغتها بصبغتها و غيّرت من صورتها ، و من أمثلة ذلك : كلمات " شراب " " **Sirup**"، "**الجبر**" "**Algebra**" "**الكحول**" "**Alcohol**" ، "**قهوة** "

---

[1])- ينظر: إبراهيم أنيس ، دلالة الألفاظ ، ص 138 – 139 ، رمضان عبد التّوّاب ، لحن العامّة و التّطوّر اللّغوي ، ص 63 .

2)- ينظر: حسن ظاظا ، اللّسان و الإنسان ، مدخل إلى معرفة اللّغة ، ص 101- 102 .

" **Coffe** "، "**منارة** " "**Minaret** "، "**ترجمان** " "**Dragoman**"، إذ قوبلت كلّ كلمة عربيّة بكلمة أجنبيّة مع تغيير طفيف في هيئتها [1] ، و يرى **إبراهيم أنيس** أنّ عامل الاقتراض بين اللّغات يعود إلى عامل الحاجة ، و هو العامل الثّاني في تطوّر الدّلالة بعد عامل الاستعمال .[2]

ثانيا : الأسباب التّاريخيّة والاجتماعيّة و النّفسيّة :

إنَّ عوامل التّغيّر الدّلاليّ لا يمكن فصلها عن بعضها ، لأنّها متداخلة فيما بينها ، فالعوامل التَّاريخيّة لا يظهر أثرها إلاّ في محيطٍ اجتماعيٍّ يحيا و يتفاعل أفراده في جوٍّ ثقافيٍّ معيَّنٍ ، كما لا يمكن فصلها أيضا عن الاستعمالِ اللُّغويّ للكلمة ، و الذي لا يمكن فصلُ عناصرهِ عن هذه العوامل ، كما تمّت الإشارة إلى ذلك سابقا ، و فيما يلي توضيح لهذه الأسباب :

أ- الأسباب التّاريخيّة :

تنتقل الألفاظ و تتطوّر معانيها من عصر إلى آخر ، أو من فترة زمنيّة إلى أخرى ، وذلك توافقا مع الأحداث التّاريخيّة التي تعرفها كلّ فترة ، ففي العصر الإسلامي مثلا أدّى ظهور الإسلام إلى تغيير كبير في دلالات الألفاظ ، و بروز ألفاظ جديدة و ترك ألفاظ أخرى ، أو تجاوز المعنى العام و جعله أكثر خصوصيَّة ، أو تجاوز المعنى الخاصِّ و جعله أكثر عموميَّة ، و من أمثلة ذلك ألفاظ المؤمن و المسلم و الكافر

[1])- ينظر: إبراهيم أنيس ، دلالة الألفاظ ، ص 149 .

[2])- ينظر: إبراهيم أنيس ، المرجع نفسه ، ص 134 – 145 .

و الصّلاة و الزّكاة و الصّوم و الحجّ و غيرها من الألفاظ الإسلاميّة التي جاء بها الإسلام بدلالات مغايرة لما كانت عليه ، و قد تمّت الإشارة إليها سابقا . (1)

و قد تبدو بعض استعمالات الألفاظ في معان معيّنة غريبة نوعا ما على المتكلّمين حتّى و لو كانوا في الفترة التّاريخية نفسها ، وذلك لاستعمالها في معان معيّنة لم يتعوّدوا على سماعها ، و من أمثلة ذلك ما ذكره أبو عبيد من حديث النّبيّ صلى الله عليه وسلّم ، وقد سُئل : أيُّ النَّاسِ أفْضَلُ ، فقال: "الصَّادِقُ اللِّسانِ ، المَخْمُومُ القلبِ" ، قالوا : هذا الصَّادِقُ اللِّسانِ قد عرفناه ، فمَا المَخْمُوْمُ القَلْبِ؟ ، فقال: "هو النَّقِيُّ الذي لا غِلَّ فيه ولا حسدَ" . (2)

و يستنتج من هذا الحديث أنّ لفظ "مخموم القلب" قد يكون لفظا غريبا على الصّحابة ، ولعلَّ وجه الغرابة فيه هو استعماله الجديد الذي استعمله به النَّبيُّ صلى الله عليه وسلَّم ، إذ يحتمل أنّهم لم يعرفوا "المخموم" إلاّ بمعنى "المكنوس" ، يقال : خَمَمْتُ البيتَ ، إذا كنستُهُ، ومنه سُمِّيت الخُمَامَةُ ، و هي مِثلُ القُمَامةِ والكُناسَةِ. (3) ، وكما استحدثت معان جديدة في العصر الإسلامي استحدثت أيضا بعض الألفاظ الجديدة

---

1)- ينظر : عنصر التّطوّر الدّلاليّ في الفكر التّراثي العربي القديم ، و ابن فارس ، الصّاحبيّ ، باب الأسباب الإسلاميّة ، ص 78...86 ، و جُرجي زيدان ، اللّغة العربيّة كائن حيّ ، مؤسّسة هنداوي للتّعليم و الثّقافة ، القاهرة ، مصر ، ص 35 ، 36 ، و محمّد المبارك ، فقه اللغة و خصائص العربيّة ، ص 214 .

2)- ينظر: أبو عبيد القاسم بن سلاّم الهروي ، غريب الحديث ، ج2 . ص ، 530-531 ، و الحافظ أبو عبد الله محمّد بن يزيد القزويني (ت 275هـ) ، سُنَنُ ابن ماجة ،حقّق نصوصه و رقّم كتبه و أبوابه و أحاديثه و علّق عليه محمّد فؤاد عبد الباقي ، مطبعة دار إحياء الكتب العربيّة ، كتاب الزّهد ، باب الورع و التّقوى ، كتاب الزّهد ، باب الورع و التّقوى ج 2 ، ص 1409- 1410 .

3)- ينظر: ابن منظور ، لسان العرب ، م 2 ، ج 14 ، ص 1269 ، مادة (خمم)

، منها : المخضرم لمن أدرك الإسلام من أهل الجاهليّة ، [1] و الجهاد بدلا من الحرب و الغزو و الإغارة ، حيث تغيّر اللّفظ الدّال على الحرب لتغيّر مفهومها في الأذهان [2] و " **بسم الله الرّحمن الرّحيم** "، **فاتحة الكتاب** و فاتحة كلّ السّور ، و "**الحمد لله رب العالمين** " ، و " **لا حول و لا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم** " ، و " **حسبنا الله و نعم الوكيل** " ، و " **السّلام عليكم** " و غيرها من الكلمات و العبارات الإسلاميّة التي أتى بها الإسلام ، و لم يكن للأمم السّابقة عهد بها [3] ، و قد زالت أيضا ألفاظ بزوال معانيها ، و قد كانت متداولة بكثرة في العصر الجاهلي ، حيث ذهبت بذهاب بعض اعتقادات الجاهليّة و عاداتهم ، و من أمثلة ذلك : " **المِرْباعُ** " و هو ربع الغنيمة الذي كان يأخذه الرّئيس في الجاهليّة و "**النَّشِيطة** " ، و هي ما يغنمه الغزاة في الطّريق قبل الوصول إلى الموضع الذي قصدوه ، و "**الفُضُولُ** "، و هو ما فَضَلَ من القسمة ممّا لا تصحّ قسمته على عدد الغزاة كالبعير و السّكين و نحوهما ، و " **المَكْسُ** " و هو دراهم كانت تؤخذ من بائع السّلع في الأسواق الجاهليّة ، و " **الإتاوةُ** " و هو **الخَرَاجُ** ، و " **الحُلْوانُ** " و هو أن يأخذ الرّجل من مهر ابنته لنفسه و هذا عار عند العرب ، و قول المملوك لمالكه " **ربّي** " و تسمية من لم يحجّ " **صَرورة** " و غير ذلك من الألفاظ التي ترك استعمالها بمجيء الإسلام . [4] [5]

---

[1]- ينظر: ابن فارس ، الصّاحبيّ ، " باب آخر في الأسماء " . ص 101- 102 .

[2]- ينظر: محمّد المبارك ، فقه اللّغة و خصائص العربيّة ، ص 217 .

[3]- ينظر: الرّازي ، كتاب الزّينة في الكلمات الإسلاميّة العربيّة ، " الكلمات الإسلاميّة التي لم تكن للأمم " ، ص 154 ...157 .

[4]- ينظر: ابن فارس ، الصّاحبيّ ، " باب آخر في الأسماء " . ص 102 ...107 ، و جُرجي زيدان ، اللّغة العربيّة كائن حيّ ، ص 36 ، 37 .

[5]- ينظر: معاني هذه الألفاظ في معجم لسان العرب ، المرباعُ : ما يأخذه الرّئيس و هو ربع الغنيمة ، و قد كانوا في الجاهليّة إذا غزا بعضهم بعضا و غنِموا ، أخذ الرّئيس ربعَ الغنيمة خالصا دون أصحابه ، و النّشيطة : ما أصاب من

وممّا هو ملاحظ على بعض هذه الألفاظ أنّها لم تعد أيضا مستعملة في لغتنا الآن ، كالمرباع و الإتاوة و بعضها مستعمل في غير معناها الأصليّ كالفُضُول ، أو أضيفت لها بعض المعاني ، كالحُلوان ، و بعضها أعيد إحياؤها بعد إهمالها ، مثل : " المَكْس " ، و هو ما يؤكّد فكرة أنّ اللّغة في تطوّر مستمرّ ، فألفاظها و دلالاتها في تطوّر دائم و مستمرّ ، فقد تموت ألفاظ ، و تحيا ألفاظ أخرى ، أو يعاد إحياؤها ، و قد تظهر دلالات جديدة و تختفي أخرى ، و يكثر استعمال بعضها ، و يقلّ بعضها الآخر ، و ذلك حسب مقتضيات المجتمع و التّاريخ و الحضارة.

و بالعودة إلى الأحداث التّاريخيّة التي نعيشها الآن، فإنّه يمكن أيضا تسجيل كثير من الألفاظ التي أعيد بعثها من جديد وإضافة لها بعض المعاني التي توافق مستجدّات هذه الأحداث، ومن أمثلة ذلك كلمة **"الحَراك "** التي كانت تعني في عمومها الحركة و هي ضدّ السّكون. [1] ، و قد خصّص معناها في لغتنا المعاصرة ، حيث

الغنيمة قبل أن يصير إلى مجتمع الحيّ ، و الفُضُولُ : ما عُجِزَ أن يُقسَمَ لقلّته و خُصَّ به ، م 3، ج 18 ، مادّة (ربع) ، و المَكْسُ : الجِباية ، دراهِمُ كانت تؤخذ من بائع السِّلع في الأسواق الجاهليّة ، م 6 ، ج 47 ، ص 4248 ،مادّة (مكس) ، الإتَاوةُ : الرّشوةُ و الخَراجُ ، كلّ ما أخذ بكره أو قسِّم على موضع من الجِباية و غيرها ، م1 ، ج 1 ، مادّة (أتى) ، الحُلوَانُ : و هو أن يأخذ الرّجُلُ من مهر ابنته لنفسه وهذا عار عند العرب ، م 2 ، ج 12 ، مادّة (حلا) ، الضَّرورةُ : لم يَحُجَّ قَطُّ ،و أصله من الضَّرّ الحبسِ و المنعِ ، و الضّرورة في شعر النّابغة الذي لم يأت النّساء ، م 4 ، ج27 ، مادّة (صرر) .

[1])- ينظر: ابن منظور ، لسان العرب ، م 2 ، ج9 ، ص 844 ، مادّة (حرك) ، الفيروز آبادي ، مجد الدّين بن يعقوب محمّد يعقوب ، (ت 817ه) ، القاموس المحيط ، تحقيق مكتب تحقيق التّراث في مؤسّسة الرسالة بإشراف محمّد نعيم العرقسوسي ، مؤسّسة الرّسالة ، بيروت ، لبنان ، ط8 ، 1426ه 2005م ، ص 936 ، مادّة (حرك) ، أحمد مختار عمر بمساعدة فريق عمل ، معجم اللّغة العربية المعاصرة ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط 1 ، 1429ه - 2008 م ، م 1 ،ص 479 ، مادّة (حرك) .

ارتبطت بمعنى الاحتجاج والانقلاب على السّلطة ومحاولة إحداث التّغيير في النّظم السّياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة والأخلاقيّة وغيرها ، وقد كان ذلك توازيا مع ما يحدث في مختلف البلدان من احتجاجات ضدّ نظام السّلطة ، لا سيما ارتباطها بما حدث في **الجزائر يوم 22 فيفري 2019** م ، وقد شاع استعمالها في بداية تداولها عبر وسائل الإعلام بكسر الحاء بدلا من فتحها ، لكن سرعان ما تم التّراجع عن استعمالها بالكسر واستبدالها بالفتح ، وذلك ربّما عملا بما ورد في معاجم الأخطاء اللّغويّة ، إذ الأصحّ في نظر أصحابها " الحَراك " بالفتح بدلا من الكسر لعدم ضبط الكلمة في أغلبية المعاجم التّراثيّة بالكسر ، مع إشارتهم إلى تفرّد بعض علماء اللّغة بالإشارة إلى ضبطها بالكسر ، كالزّبيدي في كتابه **"تاج العروس "** والشّهاب الخفاجي في كتابه **" عناية القاضي وكفاية الرّاضي "** وعدّت في نظرهم روايات شاذّة لا يلتفت إليها .[1]

و الحقيقة في نظرنا أنّه لا يمكن الجزم بصحّة ما ورد من تصحيح لغويّ في ضبط هذه الكلمة بالفتح بدلا من الكسر ، إذ الأمر يحتاج إلى البحث في الموضوع أكثر ، فقد يكون ضبط الكلمة بالكسر أمرا مقبولا لاعتبارات معيّنة :

---

[1])- **ينظر: أحمد مختار عمر بمساعدة فريق عمل ، معجم الصّواب اللّغويّ ، دليلُ المثقَّفُ العربيّ ، النّاشر ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط 1 ، 1429هـ- 2008م ، م 1 ، ص 315- 316 ، محمّد العدناني ، معجم الأخطاء الشّائعة ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، ط 2 ، 2008م ، ص 64 – 65 .**

*يمكن قبول الاستعمال المرفوض بالمعنى الجديد من باب التّوسّع الدّلاليّ كما ذهب إلى ذلك **أحمد مختار عمر و فريقه المساعد في معجم الصّواب اللّغوي** [1] ، و انطلاقا من هذا الحكم ألا يمكن أيضا قبول الاستعمال المرفوض بالضّبط الجديد خاصّة إذا شاع استعماله من باب التّوسّع الدّلالي أيضا ؟ .

* الوزن الذي ضبطت على أساسه الكلمة و هو وزن " **فِعَال** " وزن وارد ضمن أبنية أوزان العربيّة سواء بالنّسبة لأبنية الأسماء الثّلاثيّة المزيدة بحرف أو أبنية المصادر السّماعيّة [2] ؟ .

* يجيز المجمع اللّغوي العربي بالقاهرة تكملة الاشتقاقات اللّغوية للكلمة إذا لم ترد في المعاجم التّراثيّة .

* التّغيّر اللّغوي تغيّر يصيب اللّغة في مختلف مستوياتها ؛ صوتيّة و صرفيّة و نحويّة ودلاليّة ، ألا يعدّ هذا الضّبط الجديد للكلمة تغيّرا أصابها على مستوى بنيتها ؟

* اللّغة ليست هامدة أو ساكنة بحال من الأحوال ، و بذلك ينبغي تقبّل ما يطرأ على أنظمتها من تغيير ، و إلاّ ما الدّاعي إلى القول بحتميّة التّطوّر اللّغويّ ؟

* يمكن تخريج ضبط الكلمة و قبولها ضمن الاستعمال اللّغويّ على أساس أنّ الكلمة لحقها تطوّر لغويّ ، و ليس المراد من فكرة التّطوّر اللّغوي الحكم على هذا التّطوّر بالقبح أو الحسن ، و القوّة أو الضّعف ، بل

---

[1])- ينظر مثلا : قوله في عبارة " أعداء ألِدّاء " و هي مرفوضة عند بعضهم لعدم ورود هذا الجمع في المعاجم ، غير أنّه أجازه من باب التّوسّع في المعنى ، م 1 ، ص 70 و ينظر أيضا قوله في عبارة " ثمَّن القائد جهد جنوده ، و هي مرفوضة عند بعضهم ، لأنّها لم ترد بهذا المعنى في المعاجم ، و كان يفترض أن نقول أشاد القائد بجهد جنوده ، و هي الفصيحة ، لكن عدّ عبارة " ثمَّن القائد جَهدَ جنوده مقبولة أيضا من باب التّوسيع الدّلاليّ لمعنى الفعل " ثمَّن " . م 1 ، ص 282 .

[2])- ينظر : خديجة الحديثي ، أبنية الصّرف في كتاب سيبويه ، منشورات مكتبة النّهضة ، بغداد ، ط1 ، 1385هـ - 1965 ، ص 154 ، 233 .

تتبّع التّغيّر الذي يصيب اللّغة فقط بغضّ النّظر عن تقييم ذلك ، و لو أهملت هذه الفكرة لضاع كثير من كلام اللّغة المستحدث .

* لا يمكن الحكم على أنّ ضبط الكلمة بالكسر ضبطا خاطئا بالنّظر إلى ما ورد في كتب و معاجم التّراث العربي ؛ لأنّ لغة الأمس ليست هي لغة اليوم ، هذا من جهة ، و من جهة أخرى يتمّ الحكم على كلمة ما بأنّها خالفت مستوى الصّواب اللّغوي باستقراء كلّ ما ورد في معاجم اللّغة قديمها و حديثها ، وهو أمر من الصّعب تحقيقه ، إذ لا يمكن تصفّح كلّ ما ورد في هذه المعاجم ، فقد نغفل عن الرّجوع إلى بعض المعاجم و بذلك يكون الحكم حكما ناقصا و جزافيّا .

* ينبغي مراعاة أقوال بعض العلماء التي أشارت إلى هذا الضّبط حتّى و إن كانت شاذّة ، فكثير هي الأحكام الشّاذة التي أخذت بعين الاعتبار و عدّت صحيحة ، **يقول الزّبيدي :** « و يقال ما به حَرَاكٌ ، كسَحَابٍ ، أي حَرَكَةً ، قاله ابن سيده ، يُقَالُ : قد أعْيَا فَمَا به حَرَاكٌ ، و نقل الخَفاجيُّ في العناية في سورة النّجم ، و قد يُكْسَرُ، قال شيخُنا ، ولا يُلتفَتُ إليه ، فإنّ الصَّواب كما ضبطَهُ المصنِّفُ . » [1]

* ينبغي الاعتداد بمن خالف الرّأي في مسألة ما ، فليس كلّ من خالف رأيا ما نسب إلى الجهل على حدّ تعبير **ابن فارس** . [2] ، **يقول :** « و ليس كلّ من خالف قائلا في مقالته فقد نسبنه إلى الجهل ، و ذلك أنّ الصّدر الأوّل اختلفوا في تأويل آي من القرآن فخالف بعضهم بعضا ، ثمّ خلَفَ من بعدهم مَنْ خلَفَ ، فأخذ بعضهم بقول و أخذ بعض بقول ، حسب اجتهادهم و مادلّتهم الدّلالة عليه . . [3]

---

[1])- ينظر: الزّبيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس ، ج 27 ، ص 108 ، مادّة (حرك).

[2])- ينظر: ابن فارس ، الصّاحبي، باب القول في اللّغة التي بها نزل القرآن و أنّه ليس في كتاب الله جلّ ثناؤه شيء بغير لغة العرب ، ص 41 .

[3])- ينظر: ابن فارس ، الصّاحبي ، ص 46 .

* يمكن الاستناد في قبول ضبط الكلمة بالكسر على ما أكّده بعض علماء اللّغة من أنّ لغة العرب من غير الممكن أن يحاط بها ، و هي لغة لم تنته إلينا بكلّيتها و أنّ الذي جاءنا عن العرب قليل من كثير، و أنّ كثيرا من الكلام ذهب بذهاب أهله . [1]

* يمكن تخريج ضبط الكلمة على أساس أنّها اسم مصدر من الفعل تحرَّكَ ، فالمصدر هو الاسم الذي يدلّ على الحدث المجرّد و يشتمل في الغالب على كلّ الحروف الأصليّة و الزّائدة التي يشتمل عليها فعلُه المأخوذ منه ، أو أكثر منها ، بينما اسم المصدر هو ما ساوى المصدر في الدّلالة على معناه ، لكنّه يخالفه في خلوّه لفظا أو تقديرا من بعض حروف فعله دون تعويض . [2] فحراك قد يكون مساويا لتحرُّك في المعنى ،لكنّه مخالف له بنقص التّاء و التّضعيف من فعله من غير تعويض .

* مراعاة السّهولة و اليسر في النّطق تماشيا مع ما يكون ميسّرا على المتكلّم فنطق الكلمة بالكسر أسهل من نطقها بالفتح .

و انطلاقا من هذه الاعتبارات، وهي اعتبارات تحتاج أيضا إلى التّوسّع أكثر ، فلا يمكن الحكم على ضبط هذه الكلمة بكسر حائها بأنّه ضبط مرفوض و خطأ لغويّ ، بل يمكن قبوله بناء على ما تمّ تحليله ، و الله أعلم .

---

[1])- ينظر: ابن فارس ، الصّاحبي ، باب القول على أنّ لغة العرب هل يجوز أن يحاط بها ، ص 26 ، و باب القول على أنّ لغة العرب لم تنته إلينا بكلّيتها و أنّ الذي جاءنا عن العرب قليل من كثير، و أنّ كثيرا من الكلام ذهب بذهاب أهله ، ص 58 ، و ينظر أيضا ، السّيوطي ، المزهر في علوم اللّغة و أنواعها ، المسألة الرّابعة عشرة ، في سَعة العربيّة ، ج 1 ، ص 64 ...66 .

[2])- ينظر: عبّاس حسن ، النّحو الوافي ، دار المعارف مصر ، ط3 ، ج 3 . ص 209 .

و هذه الألفاظ التي لوحظ تطوّرها و التي لا يمكن حصرها في هذا المقام ، لا يمكن في حقيقة الأمر إرجاعها إلى عوامل تاريخيّة بحتة ، و إنّما يشترك في تطوّرها العديد من الأسباب منها السّياسيّة و الثّقافيّة و الاجتماعيّة والحضاريّة و حتى اللّغويّة ، و قد قلنا سابقا بأنّ هذه الأسباب متداخلة لا يمكن الفصل بينها . فالسّبب الواحد له أوجه متعدّدة .

ب- الأسباب الاجتماعيّة :

للأسباب الاجتماعية أثرها الواضح في تغيّر دلالة الألفاظ ؛ لأنَّ اللّغةَ تنمو بنموّ المجتمع و تتطوَّر بتطوُّره ، و غالبا ما يكون هذا التّغيّر صدى لتغيّر الميول الاجتماعيّ . [1] ، و فيما يلي توضيح لكيفيّة تأثير التّغيّر الاجتماعي في التّغيّر الدّلاليّ و الذي يظهر في عدّة صور ، منها :

* **تباين طبقات المجتمع في التّفكير و نظم الحياة و التّعلّم و الثّقافة و غير ذلك** ، يؤدّي بلا شكّ إلى تغيّر دلالات الألفاظ ، فكلّ طبقة اجتماعيّة لها ألفاظها الخاصّة بها التي تتعامل بها ، و لها فهم خاصّ لدلالات ألفاظها ، و التي لا تخرج عن إطار تخصّصها ، فكلمات الحقل ، حصّة ، حصاد ، مثلا ، تختلف دلالتها باختلاف مجال انتمائها ، و مجال مستعمليها . **فالحصاد** مثلا بالنّسبة لمجال الزّراعة أوان الحصاد ، و هو الزّرْعُ و البُرُّ المحصود بعدما يُحْصَدُ و هو قطعُ الزّرعِ و جنيُ الثّمارِ [2] ، في حين تعني في وسائل الإعلام الحاليّة خلاصة الأخبار بمختلف أنواعها ، وكلمة "**الحقل** " تعني في مجال الزّراعة الزّرع إذا تشعّبت أغصانُه ، و أحقلَ الزَّرعُ و في أرضه مَحَاقِلُ ، أي مَزارِعُ [3] ، و تعني في مجال علم الدّلالة المجال الذي

---

[1])- ينظر: محمود السّعران ، علم اللّغة ، مقدّمة للقارئ العربي ، ص280 .

[2])- ينظر: ابن منظور ، لسان العرب ، م 2 ، ج 10 . ص 894 ، مادّة (حصد) .

[3])- ينظر: الزّمخشري ، أساس البلاغة ، ج 1 ، ص 204 ، مادّة (حقل) .

تنتمي إليه الكلمة ، و كلمة "الحصّة " تعني أيضا النّصيب من الطّعام أو الشّراب في **مجال** الحياة بصورة عامّة و تعني النّصيب من الأرض في مجال الفلاحة ، بينما تعني في مجال التّعليم بصورة خاصّة الفترة الزّمنية المحدّدة للدّراسة في اليوم لمادّة معيّنة . [1]

و لا يخفى في هذا المقام أنّ للسّياق دورا كبيرا في تحديد دلالات الكلمات ، فالسّياق هو الذي يفرض انتماء دلالة كلمة معيّنة إلى مجال معيّن .

* **تبدّل العادات و تغيّرها خلال العصور يؤدّي أيضا إلى تغيّر مدلولات الكلمة** ، و من أمثلة ذلك أنّ من يتزّوج من العرب كان يخرج عن بيت أبيه و يبني لنفسه خباءً مستقلاّ و لذلك قالوا " بنى بزوجته "، أي بنى بيتا معها ، وكان المهر المستعمل إبلا أو غنما تساق فقالوا "السّياق " بمعنى المهر و ساق لها ، و كانوا إذا باعوا شيئا صفّق البائع على يد المشتري فسمّوا البيع " **صفقة** " وبقي اللّفظ و ذهبت عادة الصّفق (2) ، في حين تغيّرت الآن مدلولات هذه الكلمات بتغيّر عادات و طبائع المجتمع .

***الدّين** : للدّين دور واضح في تطوّر دلالات الألفاظ ؛ لأنّه يأتي بتشريعات و معتقدات و عبادات و أحكام لا عهد للمجتمع بها ، و خير دليل على ذلك ما أحدثه الإسلام من تغييرات على مستوى التّشريع و الأحكام الفقهيّة ممّا أدّى ذلك إلى ظهور ألفاظ جديدة لم تكن معروفة من قبل ، مثل الفتوح و الجهاد و غيرها ، و إضفاء دلالات جديدة على كلمات كانت تستعمل قديما بمفاهيم مختلفة ، مثل : **الصّلاة و الصّوم و الزّكاة** و غيرها ، و إهمال بعض الكلمات التي كانت تستعمل قديما ، مثل **المرباع** ، و المِرْباعُ " و هو ربع الغنيمة الذي كان يأخذه الرّئيس في الجاهليّة ، و "النَّشِيطة " ، و هي ما يغنمه الغزاة في الطّريق قبل

---

[1])- ينظر: أحمد مختار عمر بمساعدة فريق عمل ، معجم الصّواب اللّغوي ، م 1 ، ص 322 ، معجم اللّغة العربيّة المعاصرة ، م 1 ، ص 507 .

[2])- ينظر: محمّد المبارك ، فقه اللّغة و خصائص العربية ، ص 214- 215 .

الوصول إلى الموضع الذي قصدوه ، و **"الفُضُولُ "**، و هو ما فَضَلَ من القسمة ممّا لا تصحّ قسمته على عدد الغزاة كالبعير و السّكّين ، و نحوهما .

*** التّطوّر العلمي التّقني الذي يشهده المجتمع في كلّ مرّة يؤدّي إلى استحداث مدلولات جديدة لألفاظ قديمة توافق مستجدّات العصر** ، و من أمثلة ذلك كلمات **" القطار" " السّيارة " ، الهاتف و غيرها** ، فالقطار كان عند العرب مجموعة من الجمال يسير الواحد منها وراء الآخر و قد قرُب بعضها إلى بعضٍ ، يُقال : جاءتِ الإبلُ قِطارا بالكسر ؛ أي مقطورة ، و القِطَارُ أن تقْطُرَ الإبلَ بعضَها إلى بعضٍ على نسقٍ واحدٍ ، و القطارُ أن تُشدَّ الإبلُ على نسقٍ ، واحدًا خلفَ واحدٍ ، و قَطَرَ الإبلَ يقطُرُها قَطْرًا و قَطَّرَهَا : قرَّب بعضَها إلى بعضٍ على نسقٍ . [1]

و نُقل اللَّفظ في العصر الحديث للدّلالة على مجموعة عربات السِّكّة الحديديّة تجرّها قاطرة تنقل النّاس و البضائع . [2]

أمّا " السَّيَّارة " : فهي من الفعل سار يسير ، و قد كانت تدلّ في الأصل على القافلة ، أو القوم الذين يسيرون ، و أُنّث على معنى الرُّفقَةِ أو الجَماعةِ [3] ، قال تعالى في سورة يوسف : ﴿ **وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ فَأَدْلِىٰ دَلْوَهُۥ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً وَاللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَعْمَلُونَ** ﴾

[يوسف : 19] ، وواضح أنَّ السَّيارة بمعنى القافلة اسم جمع يدلُّ على مجموع المسافرين في القافلة و يزداد ذلك وضوحا في قوله تعالى : ﴿ **قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ**

---

1) - ابن منظور ، لسان العرب ، م 5 ، ج41 ، ص 3670 ، مادّة (قطر) .

2)- ينظر: أحمد مختار عمر ، بمساعدة فريق عمل ، معجم اللّغة العربيّة المعاصرة ، م 3 ، ص 1832 ، 1833. و حسن ظاظا ، اللّسان و الإنسان ،مدخل إلى معرفة اللّغة ، ص 99 .

3)- ينظر: ابن منظور ، لسان العرب ، م 3 ، ج 24 ، ص 2169 ، مادّة (سير) .

يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾ [يوسف : 10] ، و نظرا لوجود كلمة القافلة ، فقد نقل المحدثون الكلمة إلى معنى عربة (الأتوموبيل) ([1]) ، و ممّا هو ملاحظ أنَّ في عصرنا الحاضر لم يعد لتلك الدّلالة مكان إلاّ ما حفظته لنا المعاجم و التّفاسير و كتب اللّغة ؛ لأنَّ السيارة اليوم يراد بها تلك العربة الآليّة السّريعة السّير التي تستعمل في نقل النّاس أو البضائع ، تسير بالبنزين ونحوه .([2])

أمّا " الهاتف " ، فهو من الفعل هتف و معناه : صاح ، و دعا و نادى ، و يقال سَمِعْتُ هاتفا يهتِفُ إذا كنتَ تسمَعُ الصَّوتَ و لا تبصِرُ أحدا [(3)] ، و يستعمل في اللّغة الحديثةِ بمعنى التِّليفون ، و قيل بأنّ الهاتف في الأساطير العربيّة القديمة نوع من الجنِّ يُسمع صوتُه و لا يُرى شخصُه ومن هنا جاء في ذهن المحدثين وجهُ الشَّبه بينه و بين من يتحدَّث مع غيره بهذه الآلة فيسمعه و لا يراه [(4)] ، و قد نلاحظ تطوّرا آخر حصل لمعنى لفظة الهاتف في لغتنا المعاصرة نتيجة التّطوّر التّكنولوجيّ الذي يعرفه المجتمع ، إذ أصبح الهاتف وسيلة يتحدّث بها مع الغير صوتا و صورة ، و بذلك فالمعنى الجديد لا يقتصر على سماع الصّوت و عدم رؤية من تتحدّث معه ، بل يتجاوز ذلك إلى سماع الصّوت و رؤية من تتحدّث معه في الوقت نفسه.

و قد يؤدّي التّطوّر العلمي التّقني الذي يشهده المجتمع في كلّ مرّة أيضا إلى استحداث ألفاظ جديدة بمدلولات جديدة أيضا لم تكن معروفة من قبل ، **يقول فندريس :** « ذلك أنّ الحياة تشجّع على تغيّر المفردات ؛ لأنّها تضاعف الأسباب التي تؤثّر في الكلمات و العلاقات الاجتماعيّة و الصّناعات و العُدد

---

[1]) ينظر: حسن ظاظا ، اللّسان و الإنسان ، مدخل إلى معرفة اللّغة . ص 100 .

[2])- ينظر: أحمد مختار عمر بمساعدة فريق عمل ، معجم اللّغة العربيّة المعاصرة ، م 2، ص 1148 ، مادّة (سير) ،

[3])- ينظر: ابن منظور ، لسان العرب ، م 6 ، ج 51 ، ص 4612 ، مادّة (هتف) .

[4])- ينظر: حسن ظاظا ، اللّسان و الإنسان ، مدخل إلى معرفة اللّغة . ص 100 .

المتنوّعة تعمل على تغيّر المفردات و تقضي على الكلمات القديمة أو تحوّر معناها و تتطلّب خلق كلمات جديدة » [1] ، و من أمثلة ذلك ، كلمات **الفيسبوك** ، **التّويتر** ، **واتساب** ، **الإنستغرام** ، و غيرها من ألفاظ التّواصل الاجتماعي التي باتت تطغى على وسائل أخرى في التّواصل ، و الألفاظ المقترضة من اللّغات الأجنبيّة بصورة عامّة بغية مسايرة كلّ مستجدّات العصر.

*** قد تؤدّي التّغيّرات الاجتماعيّة المصاحبة لبعض الأحداث الاجتماعيّة المفاجئة إلى إحياء بعض الكلمات القديمة** و إبرازها بشكل لافت و يعود الفضل في ذلك إلى وسائل الإعلام بمختلف أنواعها ، وخير مثال على ذلك كلمة " **الجائحة** " التي صاحبت هذا التّغيّر الاجتماعيّ المفاجئ ، إذ و بعدما كان العالم يعيش أجواء أخرى من الصّراعات و المشاكل ، فقد بات اليوم منشغلا فقط بهذا الوباء الذي فتك بالعالم بأسره ، و قد كانت بدايته في الصّين في **أواخر شهر مارس 2019م** ، ثمّ اجتاح العالم كلّه ، فمن عدوى إلى وباء إلى جائحة ، " **فالجّائحة** " ، كلمة قديمة أعيد إحياؤها و ذاع استعمالها بشكل لافت للنّظر مع تغيير جزئيّ في معناها ، ففي غريب الحديث ، قال **أبو عبيد** في حديث النّبيّ صلّى الله عليه و سلّم أنّ رجلا قال له يا رسولَ الله إنّا قومٌ نتساءَلُ أموالَنا بيننا ، فقال : يسألُ الرّجلُ في **الجائحَة** و الفَتْقِ فإذا استغْنَى أو كرُب استعَفَّ .... و أمّا قوله " في الجائحة" ، فإنّها المصيبة تحلُّ بالرَّجُل في ماله فتجتاحُه كلَّه، و أمّا " الفَتقُ " فالحربُ تكون بين الفريقين فتقعُ بينهما الدِّماءُ و الجِراحاتُ فيتحمّلها رجلٌ ليُصْلِحَ بذلك بينهم و يحقِنَ دماءَهُمْ فيسألُ فيها حتّى يؤدّيها إليهم . [2] ، **و في لسان العرب** وردت عدّة أقوال : الجَوْحَةُ و الجَائِحَةُ :

---

[1]- ج .فندريس ، اللّغة ، ترجمة عبد الحميد الدّواخلي ، محمّد القصاص ، تقديم فاطمة خليل ، المركز القومي للتّرجمة ، القاهرة ، ص 247 .

[2]- ينظر: أبو عبيد القاسم بن سلاّم الهروي ، غريب الحديث ، ج3. ص ،430-431 .

الشِّدَّةُ و النَّازِلةُ العظيمةُ التي تجتاحُ المالَ من سنةٍ أو فتنَةٍ ...، و جَاحَهُ الله ما له و أجَاحَهُ بمعنى : أهلَكَهُ بالجَائِحَة ، و هي المصيبة تحلُّ بالرَّجلِ في ماله فتجتاحُه كلَّه ،...

و هي سنةٌ شديدةٌ اجتاحت أموالَهم فلم تدَعْ لهم وِجَاحًا ... و الجائحةُ تكون بالبَرَد يقع من السَّماء إذا عظُم حجمُهُ فكثُرَ ضرَرُهُ ، و تكون بالبرْدِ المُحرِقِ أو الحرِّ المفْرِطِ ، حيث يبطُلُ الثَّمنُ ، و هي آفةٌ تجتاح الثَّمَرَ سَماويَّةٌ ، و لا تكونُ إلاّ في الثِّمار ، فَيُخَفَّفُ الثُّلُثُ على الذين اشتروه ، و أصلُ الجائحة السَّنةُ الشَّديدةُ تجتاح الأموالَ و اجتاحَ العدوُّ مالَ فلانٍ إذا أتى عليه .[1] إذا ، فكلمة " **الجائحة** " أعيد إحياؤها من جديد بعدما غابت عن الاستعمال لفترة زمنيّة طويلة ، و قد أصابها أيضا نوع من التّطوّر ، فبعدما كانت تعني المصيبة و الآفة و الهلاك و السّنة الشّديدة التي تجتاح الأموال و الثّمار و الضّرر الذي يُلحقه البرَدُ و البرْدُ و الحرُّ ، أصبحت تعني الآفة و المصيبة التي لحقت بصحّة الإنسان أوّلا و التي اجتاحت العالم كلّه فقضت على الإنسانيّة ، و لا شكّ أنّ هذا الاجتياح الذي مسّ صحّة الإنسان يعقبه اجتياح في الأموال و السّياسة و الثّقافة و غيرها .

و تصاحب كلمة " **الجائحة** " كلمة أخرى ذاع استعمالها أيضا و أعيد إحياؤها من جديد ، و هي كلمة " **الحَجْر** " مصحوبة بوصف لها و هو الصِّحّيّ " أو المنزليّ و السّبب دائما في هذا الذّيوع يعود إلى وسائل الإعلام و ما تقتضيه الظّروف الاجتماعيّة التي يعيشها المجتمع و التي تفرض استعمالات لغويّة تتطابق و واقعه ، فالحَجْرُ يراد به المَنْعُ ، و قيل المنْعُ من التّصرّف في المال .[2] ، و قد وسّع استعمالها الآن في المنع من الخروج من المستشفيات و المنازل بهدف منع نقل عدوى مرض فيروس كورونا من شخص إلى آخر .

---

[1])- ينظر: ابن منظور ، لسان العرب ، م 1 ، ج 9 ، ص 719 ، مادّة (جوح) ، ووردت أيضا في مادّة (جَيَحَ) ، جَاحَهُم اللهُ جَيْحَا وجَائحة دَهَاهُمْ ، مصدر كالعاقبة ، م 1 ، ج 9 ، ص 737 ، مادّة (جيح) .

[2])- ينظر: ابن منظور ، لسان العرب ، م 2 ، ج 10. ص ، 782 ، مادّة (حجر).

إذا ، فالمجتمع في تطوّر مستمرّ و يعقب هذا التّطور تغيّر في الألفاظ و الدّلالات ، فتغيّر اللّغة نتيجة حتميّة لتغيّر المجتمع و العكس .

ج- الأسباب النّفسية :

و للأسباب النّفسيّة تأثير أيضا في تغيّر المعنى ، فالآداب الاجتماعيّة والحياء والاشمئزاز والتّفاؤل، كلّها أسباب نفسيّة تدعو إلى تجنُّب كثير من الألفاظ والعدول عنها إلى غيرها من الألفاظ التي يُكنَّى بها عن الأشياء التي يُسْتَحَى من ذكرها، أو يُخَافُ أو يُتَشَاءم من التَّلفظِّ بأسمائها [1] ، وينتج عن هذا الأمر استخدام اللّفظ الواحد في مدلولات عدّة أو تبديل اللّفظ وبقاء المعنى ثابتا ، و يمكن إجمال هذا التّغيّر في مجموعة من العناصر ، أهمّها :

1- الألفاظ المحظورة أو ما يسمّى باللاّمساس :

يعدِل المتكلّم عادة عن الألفاظ الحادّة في التّعبير و صريحة الدّلالةِ إلى ألفاظ أخرى أقلّ حدّةً ، و أقلّ تصريحا ، و لا يتوقّف الحدُّ عند استنكار نفسيّة المتكلّم لهذه الألفاظ فقط ، بل يعود الأمر أيضا إلى استهجان المجتمع لكلِّ الألفاظ التي تصنَّفُ في الطّابوهات و المحظورات ، فلا يكاد لفظ منها يشيع حتى يمجّه الذّوق الاجتماعيّ، وتأباه الآداب العامّة ، فيستعاض عنه بألفاظ كنائيّة من اللّغة نفسها أو من لغة أجنبيّة في بعض الأحيان ، و يتمثّل هذا الاستهجان في الألفاظ التي تشير إلى التّبوّل والتّبرّز، والعمليّة الجنسية، وأعضاء التّناسل، و غيرها من الألفاظ القبيحة ، و من أمثلة ترك الألفاظ التي كانت تستعمل للتبوّل و التّبرّز إلى استعمال كلمات كنائيّة أقل استنكارا و استهجانا من قبل الفرد و المجتمع " قضاء الحاجة "، (بيت الأدب) " دورة المياه " ، و قد يستعاض عنها بكلمات أجنبيّة بدلا من الاستعمال العربيّ لها

[1])- ينظر: محمّد المبارك : فقه اللّغة و خصائص العربيّة ، ص 215 .

، و من أمثلة ما يرتبط بالغريزة الجنسيّة ما استخدمه القرآن الكريم من كناية عن تلك الألفاظ المحظورة بألفاظ أخرى ، مثل : السّرّ ، الحرث ، الإفضاء المباشرة ، الملامسة ، الرّفث ، الإفضاء . [1]

2- التّفاؤل والتّشاؤم :

يلجأ المتكلّم نتيجة لتفاؤله إلى استخدام اللّفظ في ضدّ معناه ممّا يؤدّي إلى توسيع دلالات اللّفظ ، ومن ذلك : إطلاق تسمية الصّحراء مفازة تفاؤلا بالنّجاة من المخاطر التي تعترض سالكها ، و تسمية الأعمى بصيرا عزاء لحالته التي تؤلم النّفس و أملا أن يعوّضه الله نورا في بصيرته ، و السّليم للّديغ ممّا يعني توسّعا في دلالة ألفاظ الصّحراء و الأعمى و السّليم .

كما يلجأ المتكلّم نتيجة لتشاؤمه إلى ترك الألفاظ التي تدلّ على شيء يقلق النّفس و يخلق فيها نزعة التّشاؤم ممّا يؤدّي إلى توسيع دلالات اللّفظ أو العبارة أيضا ، و من أمثلة ذلك : الكناية عن الموت بالذّهاب و الوفاة و فيضان الرّوح ، و الكناية عن أسماء بعض الأمراض ، مثل : مرض السّرطان ، فبدلا من التّصريح باسمه يقال عنه المرض الخبيث ، و كذلك الحمّى يكنّى عنها في بعض المناطق البدائيّة بالمبروكة ، و لأسماء العفاريت و الجنّ و الشّياطين و الحشرات أيضا رموز أخرى مكنّاة عنها . [2]

[1])- ينظر: إبراهيم أنيس ، دلالة الألفاظ . 140 ...142 .

[2])- ينظر: هلال عبد الغفّار ، علم اللّغة بين القديم و الحديث ، ص 225 - 226 ، و ينظر أيضا : إبراهيم أنيس ، دلالة الألفاظ ، ص 143 ، محمّد المبارك ، فقه اللّغة و خصائص العربيّة ، ص 214-215 .

و من هنا فإنّه لا يمكن استعمال الكلمة بمعناها المنطقيّ (القاموسيّ) مفصولا عن مضمونها النّفسي ، فالكلمة عندما تصدر عنّا أو عندما تصل إلى أسماعنا تتضمّن المعنيين معا المنطقيّ و النّفسيّ في الوقت نفسه . [1]

[1])- ينظر: محمود السّعران ، علم اللّغة مقدّمة للقارئ العربي ، ص 278 .

المحاضرة السّابعة : أقسام التّطوّر الدّلاليّ

المحاضرة السّابعة : أقسام التّطوّر الدّلاليّ

توطئة :

يشمل التّطوّر الدّلاليّ [1] مستويات لغويّة مختلفة شأنه شأن التّطوّر اللّغويّ ، و تتمثّل هذه المستويات في التّطوّر الصّوتيّ و التّطوّر الصّرفيّ و التّطوّر النّحويّ و التّطوّر الأسلوبي و تطوّر المعنى ، غير أنّ هذه المستويات ينبغي أن تقرن بتغيير المعنى ، إذ ليس المقصود من ملاحظة هذه المستويات هو تلك العوارض الصّوتيّة والصّرفيّة و النّحويّة التي ترتبط باختلاف اللّهجات ، أو التي سجّلت فقط من أجل توضيح بعض القواعد اللّغويّة فقط ، و إنّما المقصود ربط هذه التّغييرات التي تطرأ في كلّ مستوى بتغيير المعنى ، و فيما يلي توضيح لهذه الأقسام أو هذه المجالات :

أوّلا : التّطوّر الصّوتيّ :

و هو التّطوّر الذي يحصل على مستوى بعض الأصوات اللّغويّة ؛ سواء أكانت أصواتا صامتة أم صائتة [2] ، حيث إنّ هذا التّغيير يحدث تغييرا دلاليّا ، فثبات أصوات الكلمة يساعد على ثبات معناها، وتغيّرها يذلّل

---

[1])- نعتقد أنّه من المستحسن في هذه المحاضرة الموسومة أقسام التّطوّر الدّلاليّ لو تستبدل بمحاضرة مجالات التّطوّر اللّغويّ ، و ذلك لأنّ تحديد مجالات التّطوّر اللّغويّ سيجعل القارئ يدرك جيّدا أهمّ مظاهره و أشكاله في مختلف المستويات ، و من ثمّة ينتقل مباشرة إلى المجال الأكثر عرضة للتّطوّر و هو التّطوّر الدّلاليّ ، لأنّ التّطوّر الدّلاليّ جزء من التّطوّر اللّغويّ .

[2])- ينظر: ، محمّد محمّد داود ، العربيّة و علم اللّغة الحديث ، ص 52 .

أحيانا السَّبيل إلى تغيّره [1] ، و يحدث عادة هذا التّغيّر بين الكلمات المتشابهة أو المتقاربة صوتيّا ، و فيما يلي توضيح لتطوّر بعض دلالات الكلمات نتيجة تطوّر أصواتها :

1/ السَّغبُ و التَّغَبُ : حيث تطوّر صوت " **السّين** " في كلمة " **السّغْب** " إلى حرف مناظر له في المخرج و الصّفة ، و هو صوت "**التّاء** "، إذ أنتج لنا صورة جديدة للكلمة تماثل تمام المماثلة كلمة أخرى وهي كلمة " **التّغَب** [2] . فاستعمل **السَّغْب أو السّغَب في** معنى الجوع مع التّعب [3] . و استعمل " **التّغَبُ** في معنى الوسخ و الدَّرَن و الهلاك في الدّين و الدّنيا ، كما استعمل " **التّغْبُ** " بتسكين الغين في معنى القبيح و الرّيبة ، و تَغَبَّةٌ في معنى القحط و الجوع .[4] ، أي أنّ التّطوّر الصّوتي أدّى إلى التّحوّل الدّلالي من المعنى الأوّلِ ، وهو " الجوعِ مع التّعب " إلى المعاني الثّانية ، و هي : الوسخ و الدَّرَن و الهلاك في الدّين و الدّنيا و القحط و الجوع .

وقد أرجع **ابن جنّي** علّة الإبدال بين صوتيّ السّين و التّاء إلى تقارب مخرجيهما و تجاورهما و اشتراكهما في الصّفة نفسها ، و هي صفة الهمس ، يقول : « و قد أبدلت السّين تاء لموافقتها إيّاها في الهمس

---

[1])- ينظر : علي عبد الواحد وافي ، علم اللّغة . ص 321 . عبد الغفّار حامد هلال ، علم اللّغة بين القديم و الحديث ، ص 216 ، محمّد محمّد داود ، العربيّة و علم اللّغة الحديث ، ص 221 .

[2])- ينظر: إبراهيم أنيس ، دلالة الألفاظ ، ص 138 .

[3])- ينظر: ابن منظور ، لسان العرب ، م 3، ج 23 ، ص 2021 ، مادّة (سغب) ، السّيوطي : المزهر في علوم اللّغة ، ج 1 ، ص 453 .

[4])- ينظر: ابن منظور ، لسان العرب ، م 1 ، ج5 ، ص 434 ، مادّة (تغب) .

و الزّيادة و تجاور المخارج .» (1) ، و يقول في موطن آخر : « و ممّا بين طرف اللّسان و أصول الثّنايا مخرج **التّاء** ، وممّا بين الثّنايا و طرف اللّسان مخرج الصّاد و السّين .» (2)

2/ الثَّرْوَةُ و الفَرْوَةُ : حيث إنّ كلمة " **الفروة** " تطوّرت دلاليّا نتيجة تطوّر أحد أصواتها إلى صوت آخر في كلمة أخرى تتقارب معها في صورة واحدة و هي كلمة " **الثّروة** " ، أي أنّ سبب هذا التّطوّرِ الدّلاليّ هو التّطوّر الصّوتيّ ، و قد كان هذا التّطوّر الصّوتيّ بسبب اتّحاد صوتيّ الثّاء و الفاء في الصّفة ، و تقاربهما في المخرج ، فأمّا الصّفة ؛ فكلاهما صوت رخو مهموس (3) ،و أمّا المخرج ؛ فمخرج **الثّاء** ممّا بين طرف اللّسان و أطراف الثّنايا ، ومخرج **الفاء** فهو من باطن الشّفة السّفلى و أطراف الثّنايا العُلى (4)،

وعلى هذا الأساس فإنّ كلمة " **الفروة** " و التي تفيد معنيين؛ أحدهما معنى الثّروة ، و ثانيهما معنى التي تُلبَسُ و جِلْدَة الرّأس " (5) تطوّرت عن كلمة " **ثروة** " التي تفيد معنى " كثرة المال " (6) ، و ذلك عن طريق إبدال صوت الثّاء فاء لتقاربهما مخرجا و اشتراكهما في الصّفة ، يقول **الفيّومي (ت 770هـ)** : « الفَرْوَةُ التي تُلْبَسُ ، قيل بإثبات الهاء و قيل بحذفها ، و الفَرْوَةُ بالهاء جِلْدَةُ الرّأس ، و الفَرْوةُ الثَّرْوَةُ .» (7)

---

1)- ابن جنّي ، سرُّ صناعة الإعرابِ ، ج1 ، ص 155-156 .

2)- ابن جنّي ، المصدر نفسه ، ج1 ، ص 47 .

3)- ينظر : سيبويه ، الكتاب ، ج 4 ، ص 434 -435 .

4)- ينظر : ابن جنّي ، سرّ صناعة الإعراب ، ج 1 ، ص 47-48 .

5)- ينظر : الفيّومي ، أحمد بن محمّد بن علي المُقري (ت 770هـ) ، المصباح المنير في غريب الشّرح الكبير للرّافعي ، تحقيق عبد العظيم الشّنّاوي ، دار المعارف ، ط 2 ، ج 1 ، ص 81 .

6)- ينظر : الفيّومي ، المصدر نفسه ، ج2 ، ص 471 .

7)- ينظر : الفيّومي ، المصدر السّابق ، ج 2 ، ص 471 .

كما يمكننا قراءة تطوّر الكلمتين على نحو معاكس ، وهو أنّ كلمة " **الثّروة** " هي التي تطوّرت إلى كلمة " **الفروة** " على أساس تعميم المعنى ، **فالفروة** كانت تعني ما يُلْبَسُ و جِلدَة الشَّعر ، و هو معنى خاصّ ، ثمّ عمّم معناها إلى معنى كثرة المال ، و هو المعنى الذي تفيده كلمة " الثّروة " ، و هذه القضيّة تحيلنا إلى قضيّة أخرى ، كيف لنا أن نعرف أنّ معنىً ما هو أصل معنى كلمة من الكلمات ، و أنّ أحدهما هو الأصل و الآخر هو المتطوّر ؟ في ضوء غياب معجم تاريخيّ يحدّد أصل الكلمات و تطوّرها .

كما يمكن أن يكون التّحوّل أو التّغيّر الصّوتيّ على مستوى الصّوائت ممّا يؤدّي ذلك إلى افتراض أنّ إحدى الكلمتين تمثّل تطوّرا دلاليّا للأخرى ، و من أمثلة ذلك كلمتا " **الضُّعْف** " و " **الضَّعْف** " ، اللّتين ذكرهما **أبو هلال العسكري** على سبيل إيضاح الفروق الدّلاليّة بين الكلمات المترادفة ، حيث تعني كلمة " **الضُّعْف**" بضمّ فائها الضُّعف في الجسد خاصّة ، و تعني كلمة "**الضَّعْفُ** " بفتح فائها الضَّعف في الجسد و الرّأي و العقل ، يقول : « الفرق بين الضَّعْف و الضُّعْف ، أنّ الضُّعْف –بالضّمّ – يكون في الجسد خاصّة ، و هو من قوله تعالى : ﴿ **خَلَقَكُم مِّن ضُعْفٍ** ﴾ **[الرّوم : 53]** و الضَّعْفُ بالفتح – يكون في الجسد و الرّأي و العقل ، يُقال : " في رأيه ضَعْفٌ " و لا يُقال : " فيه ضُعْفٌ " كما يقالُ : في جسمه ضُعْفٌ و ضَعْفٌ » [1]

و بتمعّننا في هذا النّصّ ، فإنّه يمكننا قراءته على أساس أنّ الكلمتين حصل فيهما تطوّر دلاليّ نتيجة تطوّر صوتيّ و هو تغيّر حركة الضّمّ إلى حركة الفتح ، حيث تطوّرت دلالة كلمة " الضُّعف" التي تفيد دلالة الضُّعف في الجسد خاصّة إلى دلالة أعمّ و أشمل وهي دلالة الضَّعف في الجسد و الرّأي و العقل ، و بذلك قد تكون الكلمة تطوّرت دلالتها من الخاصّ إلى العامّ .

---

1) – أبو هلال العسكري ، الحسن بن عبد اللّه بن سهل بن سعيد ، الفروق في اللّغة ، تحقيق جمال الدّين عبد الغني مدغمش ، النّاشر ، الرّسالة ، بيروت ، لبنان ،ط 1 ، 1422هـ - 1422هـ - 2002 م ، ص 183-184 .

ويستنتج من خلال هذه الوقفة القصيرة مع التّطوّر الصّوتيّ و تجلّياته إلى أنّ التّطوّر الذي يحصل لصوت من أصوات الكلمات قد يؤدّي في نهاية المطاف إلى تغيّر في دلالاتها ، و لكن هذا التّغيّر لم يكن عشوائيّا أو من قبيل الصّدفة ، و إنّما كان نتيجة بعض القوانين الصّوتيّة ، منها تقارب المخارج و الصّفات بين الأصوات التي تطوّر بعضها عن الآخر ، ممّا أدّى إلى تطوّر دلالات ألفاظها ، دون الخروج عن دلالاتها العامّة ، و قد تمّ إثبات ذلك من خلال تقصّي بعض الأمثلة في اللّغة العربيّة ، كما يمكن أيضا أن يكون للصّوائت دور في تطوّر دلالات الألفاظ ، و على الرّغم من ذلك ، فإنّه لا يمكن التّسليم نهائيّا بهذه الفكرة ، فقد يكون هذا التّطوّر الصّوتيّ مردّه إلى اختلاف اللّهجات لا غير ، و قد يكون أيضا مردّه إلى تعدّد القراءات القرآنيّة ، إذ تقرأ الكلمة بأوجه مختلفة ممّا يؤدّي إلى تغيّر دلالاتها .

ثانيا : التّطوّر الصّرفيّ :

و هو التّطوّر الذي يحصل على مستوى الكلمة [1]، أي ما يطرأ على بنية الكلمة من مختلف التّغيّرات و التّحوّلات تؤدّي إلى تغيير في المعنى ، و أبرز ما يمكن الاستشهاد به في هذا المجال ، هو تطوّر معاني بعض الأبنية الصّرفيّة ، فقد نُقلت صيغة " **فَعِيل**" من الدّلالة على المصدريّة إلى الدّلالة على الصّفات و نُقلت أيضا من الصّفة المشبّهة لإفادة معنى المبالغة ، و كذلك صيغة " **فَعِل**" التي نُقلت هي الأخرى من الصّفة المشبّهة إلى إفادة معنى المبالغة ، كما استعيرت أيضا صيغة " **فَاعُول**" من الآلة إلى المبالغة [2] ، كما نقلت أيضا صيغة " **فِعَال**" من دلالتها على المبالغة إلى الدّلالة على اسم الآلة . [3] ، إذا فهذه الأبنية لم تبق رهينة معان وضعيّة وُضعت لها ، و إنّما تطوّرت دلالاتها أيضا ، و لعلّ هذا التّطوّر الملامَس في هذه الأبنية قد

---

1) – ينظر : محمّد محمّد داود ، العربيّة و علم اللّغة الحديث، ص 53 .

2) – ينظر: فاضل صالح السّامرّائي ، معاني الأبنية في العربيّة ، دار عمار، عمان ، الأردن ، ط 2 ، 1428هـ - 2007م ، ص 101...103 .

3) – ينظر: خالد بن سعود بن فارس العصيمي ، القرارات النّحويّة و التّصريفيّة لمجمع اللّغة العربيّة جمعا و دراسة و تقويما إلى نهاية الدّورة الحادية و السّتّين ، ص 432-433 .

يُقرأ على وجه آخر، و هو اشتراك هذه الأبنية في الدّلالات الصّرفيّة الموضوعة لها ، حيث إنّ البناء الواحد تجده مصنّفا ضمن صيغ مختلفة ، فالبناء " **فَعِيل** " مصنّف ضمن أبنية المصادر، و مصنّف أيضا ضمن صيغ الصّفة المشبّهة و مصنّف أيضا ضمن صيغ المبالغة ، و بناء " **فَعِل** " مُدرَج ضمن صيغ الصّفة المشبّهة و ضمن صيغ المبالغة أيضا ، و بناء " **فَاعُول**" هو بناء مشترك أيضا بين صيغ اسم الآلة و صيغ المبالغة ، و بناء " **فِعَال**" هو الآخر بناء مشترك بين صيغ اسم الآلة و صيغ المبالغة .

كما يحيلنا هذا الأمر إلى قراءة أخرى للموضوع ، و هي قضيّة تعدّد الاحتمالات الدّلاليّة للصّيغة الصّرفيّة الواحدة ، فالصّيغة الصّرفيّة في حدّ ذاتها مؤهّلة لاستيعاب دلالات متنوّعة ، و لها أيضا قابليّة تؤهّلها لذلك ، و لعلّ هذا الأمر يلحظ بشكل كبير في القرآن الكريم ، فالصّيغة الصّرفيّة الواحدة تفسّر على أوجه مختلفة من قبل المفسّرين .

و على الرّغم من ملامسة هذا التّطوّر الدّلاليّ على المستوى الصّرفيّ ، فإنّه لا ينبغي المبالغة فيه ، فالقوالب والأبنية الصّرفيّة العربيّة في عمومها يغلب عليها طابع الثّبات لا التّغيّر، إذ يمكن استحداث ما لا نهاية له من الألفاظ و التّراكيب دون الخروج عن القوالب و الأبنية المحدّدة منذ عهود سابقة .

ثالثا : التّطوّر النّحويّ :

و هو التّغيّر الذي يقع في مستوى الجملة [1]،أي ما يطرأ على الجملة من حيث إعرابها و تراكيبها من مختلف التّغيّرات و التّحوّلات تؤدّي إلى تغيير في المعنى ، و ذلك كما حدث في اللّغات العاميّة المتشعّبة من اللّغة العربيّة ، إذ تجرّدت من علامات الإعراب و تغيّرت فيها قواعد الاشتقاق و اختلفت فيها مناهج تركيب العبارات ، [2] ، فعن تجرّدها من علامات الإعراب أصبح يوقف في هذه اللّهجات على السّكون في جميع

---

1) – ينظر : محمّد محمّد داود ، العربيّة و علم اللّغة الحديث، ص 53 .

2) – ينظر: علي عبد الواحد وافي ، علم اللّغة ، ص 313 .

الكلمات المُعربَة بالحروف كالمثنّى و جمع المذكّر السّالم و الأسماء الخمسة ، فيقال : أخوك مجتهدٌ ، ضربت أخوك ، سلّم على أخوك ، فوظيفة الكلمة في هذه اللّهجات لا تفهم إلاّ من السّياق أو من ترتيبها بالنّسبة لبقيّة عناصر الجملة (1)

أمّا بالنّسبة للاشتقاق ، فقد تغيّرت وجوه التّصريف العربيّة تغيّرا كبيرا في اللّغات العامّية حتّى لا نكاد نعثر فيها على فعل باق على حالته العربيّة الصّحيحة من هذه النّاحية (2)

أمّا بالنّسبة لاختلاف مناهج تركيب العبارات ، فمن ذلك نعت المثنّى بصيغة الجمع ، و تأخّر الإشارة في تركيب الجملة عن المشار إليه. (3)

رابعا : التّطوّر الأسلوبيّ :

و هو تطوّر يلحق الأساليب كما حدث في لغات المحادثة العاميّة المتشعّبة عن العربيّة ، إذ اختلفت أساليبها اختلافا كبيرا عن الأساليب العربيّة الأولى ، و كما حدث للغة الكتابة في عصرنا الحاضر ، إذ تميّزت أساليبها عن أساليب الكتابة القديمة تحت تأثير التّرجمة و الاحتكاك بالآداب الأجنبيّة و رقيّ التّفكير وزيادة الحاجة إلى الدّقّة في التّعبير عن حقائق العلوم و الفلسفة و الاجتماع و غيرها .(4)

و في اللّغة العربيّة المعاصرة أمثلة كثيرة عن تغيّر الأساليب و التّراكيب وذلك تحت تأثير التّرجمة و الاحتكاك بلغات أخرى ، و يرجع ذلك إلى أنّ « عربيّة اليوم قد فتحت الباب على مصراعيه لاستعمالات لغويّة جديدة تنتظم كلمات أو صيغا يختلف الدّارسون في قبولها أو جواز اختيارها في هذا التّركيب أو ذاك ، لورودها على غير المألوف في الفصحى مسجّلا في صورة قواعد ، أو مدركا بالذّوق اللّغويّ أو الخبرة

---

1) – ينظر: علي عبد الواحد وافي ، علم اللّغة ، هامش الصّفحة ، ص 313 .

2) – ينظر: علي عبد الواحد وافي ، المرجع نفسه ، هامش الصّفحة ، ص 313 .

3) – ينظر: علي عبد الواحد وافي ، المرجع نفسه ، هامش الصّفحة ، ص 314 .

4) – ينظر: علي عبد الواحد وافي ، المرجع نفسه ، ص 314 .

و الممارسة . » (1) ، و ينتظم هذا التّغيّر الأسلوبيّ وجوها كثيرة و أنماطا متباينة ، منها : (2)

أ-التّعبير بمعنى مستحدث دون الخروج عن قواعد اللّغة ، و من أمثلة ذلك :

*يلعب دورا هامّا ، و يقابله بالإنجليزيّة **He plays an important role**

*كلام للاستهلاك المحلّي ، و يقابله بالإنجليزيّة For local consumption words (3)

و للإشارة ، فإنّ التّعبير الأوّل " يلعب دورا" قد قوبل بالرّفض من قبل بعض الدّارسين على أساس أنّ الفعل " لعب" فعل لازم ، و على أساس أنّ الفعل يحمل معنى اللّهو بدلا من الجِدّ ، في حين أجازه مجمع اللّغة العربيّة على أساس تخريجه على وجهين ، **أوّلهما :** عدّ كلمة " دورا" مفعولا مطلقا ، و **ثانيهما** : تضمين الفعل " لعب" معنى الفعل " أدّى" ، و بذلك يكون "دورا" مفعولا به للفعل " لعب " ، أي أنّ دلالة اللّعب تطوّرت دلالاتها في العصر الحديث ، بناء على تطوّر أسلوبها التّركيبيّ ، لذلك أجيز استعمالها في نطاق ما يستسيغه الذّوق العامّ . (4)

ب-التّغيير المخالف لقواعد اللّغة العربيّة ، ومن أمثلة ذلك :

---

1) – كمال بشر ، دراسات في علم اللّغة ، ص 281 .

2) – ملاحظة : جعل محمّد محمّد داود في كتابه العربيّة و علم اللّغة الحديث هذه الأنماط ضمن التّغيّر التّركيبي و ليس الأسلوبي ، وهو فيما نعتقد دمج التّغيّر الأسلوبي مع النّحويّ وهو أمر صائب ، لأنّه لا يمكن في حقيقة الأمر الفصل بين المجالين ، و كان يفترض أن يدرسا ضمن مجال واحد و هو المجال النّحويّ ، ص 53...55.

3) – ينظر : محمّد محمّد داود ، العربيّة و علم اللّغة الحديث ، ص 53...55 بتصرّف 53-54 .

4) – ينظر : مجمع اللّغة العربيّة ، القرارات المجمعيّة في الألفاظ و الأساليب من 1934م إلى 1987م ، أعدّها و راجعها محمّد شوقي أمين ، إبراهيم التّرزي ، الهيئة العامّة لشؤون المطابع الأميريّة ، القاهرة ، 1989م ، ص 195-196 .

أنا كمصريّ ، أنا كمسلم ، و هذا النّمط مصوغ على نمط I'am an Eguptian, I'am as muslim (1)

و للإشارة ، فإنّ هذا التّعبير الذي عدّ نمطا تعبيريّا مصوغا على التّعبير الإنجليزيّ رفض أيضا من قبل بعض الدّارسين على أساس استخدام حرف التّشبيه "**الكاف** " دون أن يكون هناك تشبيه في حقيقة الأمر ، غير أنّه عدّ تعبيرا صحيحا عند بعضهم ، على أساس تخريجه من عدّة أوجه ، أهمّها : أنّ الكاف زائدة ، أو على التّشبيه حين يكون المشبّه به أعمّ من أن يراد به المشبّه نفسه ، أو على اعتبار الكاف اسميّة بمعنى " مثل" مع نصبها على الحاليّة ، و فصيحا على أساس تقدير باعتباري أو بوصفي . (2) و خلاصة القول في التّطوّر النّحويّ و التّطوّر الأسلوبيّ ، و كان يفترض ألاّ يفصلا عن بعضهما ، بل ينبغي أن يدرجا تحت مسمّى واحد وهو التّطوّر النّحويّ ، إنّه لا يمكن المغالاة فيه ، فتطوّر هذا المجال يبقى محدودا مقارنة مع التّطوّر الصّوتيّ و الدّلاليّ ، لأنّه لا يمكن العدول عن الضّوابط العامّة التي بنيت عليها لغتنا ، فالتّطوّر يكون على مستوى تعدّد التّراكيب و تنوّعها دون الخروج عن الضّوابط المحدّدة لها ، و الخروج عن ضوابطها يعدّ خرقا لكيانها و هوّيتها .

خامسا : تطوّر المعنى:

و معنى ذلك أن تتطوّر دلالة كلمة ما فتصير عامّة بعد أن كانت خاصّة ، أو تصير خاصّة بعد أن كانت عامّة ، أو تخرج عن معناها القديم فتطلق على معنى آخر تربطه به علاقة ما ، و تصبح حقيقيّة في هذا المعنى الجديد بعد أن كانت مجازا فيه ، أو تستعمل في معنى غريب كلّ الغرابة عن معناها الأوّل. (3) ، وقد تمّ التّفصيل في هذا الأمر في المحاضرة السّابقة .

---

1) – ينظر: محمّد محمّد داود ، العربيّة و علم اللّغة الحديث ، ص 54 .

2) – ينظر: أحمد مختار عمر بمساعدة فريق عمل ، معجم الصّواب اللّغويّ ، م 1 ، ص 614-615 .

3) – ينظر: علي عبد الواحد وافي ، علم اللّغة ، ص 314 .

المحاضرة السّابعة : أقسام التّطوّر الدّلاليّ

و يتبيّن من خلال التّعرّض إلى أقسام التّطوّر الدّلاليّ ، أنّها أقسام يستحسن دراستها تحت موضوع مجالات التّطوّر اللّغويّ ، لكي تتّضح معالم هذه المجالات أكثر ، لأنّ معالمها واضحة و منطقيّة فقط بالنّسبة للتّطوّر الصّوتيّ ، و تطوّر المعنى ، أمّا بقيّة الأقسام فيكتنفها الغموض نوعا ما ، من جهة ، ومن جهة أخرى فتطوّرها يكون في حدود ضيّقة ، و من غير المعقول أيضا أن يخصّصّ قسم للتّطوّر الدّلاليّ ، و هو التّطوّر الدّلاليّ كما ورد في عناصر المحاضرة المقرّرة .

المحاضرة الثّامنة : مظاهر و أشكال التّطوّر الدّلاليّ

المحاضرة الثّامنة : مظاهر و أشكال التّطوّر الدّلاليّ :

تبيّن لنا فيما سلف أنّ تغيّر دلالات الكلمة و تطوّرها مرتبط أشدّ الارتباط بما يشهده المجتمع من مختلف التّغيّرات على مختلف الأصعدة ؛ اجتماعيّة ، تاريخيّة ، سياسيّة ، اقتصاديّة ،حضاريّة ،و غير ذلك ، فاللّغة ما هي إلاّ انعكاس لهذه التّغيّرات ، فقد تحيا ألفاظ و تموت أو تفنى أخرى ، و قد تستحدث مدلولات جديدة لألفاظ قديمة ، و قد تستحدث مدلولات جديدة لألفاظ جديدة ، و غير ذلك من صور التّطوّر الدّلاليّ ، و التي تتجسّد بدورها في مظاهر مخصوصة ، وهي تخصيص دلالة الكلمة، أو تعميمها أو انتقالها ، يقول اللّغوي **فندريس** : « ترجع أحيانا التّغيّرات المختلفة التي تصيب الكلمات من حيث المعنى إلى ثلاثة أنواع : التّضييق والاتّساع والانتقال، فهناك تضييق عند الخروج من معنى عام إلى معنى خاصّ... وهناك اتّساع في الحالة العكسيّة ، أي عند الخروج من معنى خاصّ إلى معنى عام... وهناك انتقال عندما يتعادل المعنيان أو إذا كانا لا يختلفان من جهة العموم و الخصوص . » [1]

و لا بدّ من القول إنّ علماءنا الأوائل قد تنّبهوا إلى هذه المظاهر الثّلاثة من مظاهر التّطوّر الدّلالي، وأغنوها بالبحث والأمثلة الكثيرة ، فقد عقد **ابن دريد** بابا في كتابه **"جمهرة اللغة "** بابا يتحدّث فيه عن تعميم الدّلالة و تخصيصها ، و عن انتقال الدّلالة ، أيضا سمّاه **(باب الاستعارات)** ، [2] ، كما تعرّض أيضا في كتابه بصورة عامّة لنماذج كثيرة من الكلمات تعرّضت للتّخصيص و التّعميم و الانتقال الدّلالي دون ذكر هذه المظاهر ذكرا مباشرا ، كما عقد **ابن فارس** أيضا عدّة أبواب من كتابه "**الصّاحبي** " توضّح هذا الأمر دون ذكر هذه المظاهر بصورة مباشرة أيضا ، منها : **" باب الأسباب الإسلاميّة " ، و باب القول في**

---

[1])- ينظر: فندريس ، اللّغة ، ص 256 .

[2])- ينظر: ابن دريد ، جمهرة اللّغة ، " باب الاستعارات " ، ج 3 ، ص 432 ...434 .

أصول أسماء قِيس عليها و أُلحق بها غيرها " [1] ، و كذلك **السّيوطي** ، فقد عقد هو الآخر في كتابه " **المزهر في علوم اللّغة و أنواعها** " فصلا للّفظ العام الذي خصّ في الاستعمال و فصلا آخر للخاصّ الذي استعمل عامّا [2] و غيرهم من علماء اللّغة القدماء الذين كان لهم إسهام في هذا المجال ، و استمرّ علماء اللّغة المحدثون في سائر اللّغات بالبحث في هذا المجال ، فمن خلال استقراء التّغيّرات التي تطرأ على معاني الكلمات في اللّغات المختلفة ، استطاعوا أن يحصروا التّطوّر الدّلاليّ في مظاهر رئيسة تصدق على اللّغات جميعا، وبحسب تقسيم منطقيّ ونفسيّ اتّبعوه وجدوا أنّ المعنى القديم ، إمّا أن يكون أوسع من المعنى الجديد، أو أضيق منه، أو مساويًا له، ولم تكن هناك إمكانيّة رابعة يدخلونها في حسبانهم ، فمن هنا جاء التّقسيم الثّلاثي لمظاهر تغيّر المعنى . [3]

و سيتمّ توضيح هذه المظاهر على هذا النّحو :

أوّلا : تعميم الدّلالة

ثانيا : تخصيص الدّلالة

ثالثا : انتقال الدّلالة

---

[1]- ينظر: ابن فارس ، الصّاحبي ، " باب الأسباب الإسلاميّة " ص 78...86، باب القول في أصول أسماء قِيس عليها و أُلحق بها غيرها ، ص 112 .

[2]- ينظر: السّيوطي ، المزهر في علوم اللّغة و أنواعها ، الفصل الثّاني " في العام المخصوص " ، ج 1 ، ص 427 ...428 ، الفصل الثّالث " فيما وضع في الأصل خاصّا ثمّ استعمل عامّا "، ج 1 ، ص 429 ...433 .

[3]- ينظر: ستيفن أولمان ، دور الكلمة في اللّغة ، ص 161 -162 ، أحمد مختار عمر، علم الدّلالة ، ص 243 . محمّد المبارك ، فقه اللّغة و خصائص العربيّة ، ص 218 .

المحاضرة التّاسعة: تعميم المعنى و تخصيصه

المحاضرة التّاسعة: تعميم المعنى و تخصيصه

توطئة :

يتجسّد تطوّر دلالة الألفاظ في مظاهر و أشكال متنوّعة ، فقد تعمّم دلالة الألفاظ بعدما كانت خاصّة ، و قد تتخصّص بعدما كان عامّة ، و قد تنحو نحوا خاصّا فتنتقل من الدّلالة الحقيقيّة إلى المجازيّة ، و من الدّلالة المجازيّة إلى الحقيقيّة ، و قد تنتقل من الدّلالة الحسيّة إلى المجرّدة ، و من الدّلالة المجرّدة إلى الحسيّة ، وغير ذلك من مظاهر و أشكال تطوّر دلالة الألفاظ ، و فيما يلي توضيح لهذه المظاهر:

أوّلا : تعميم الدّلالة :

1/ مفهوم تعميم الدّلالة :

و هو الخروج بالمعنى من معنى خاصّ إلى معنى عام [1]، أي يصبح عدد ما تشير إليه الكلمة أكثر من السّابق ، أو يصبح مجال استعمالها أوسع من قبل [2] ، و لهذا المظهر أهمّية لا تختلف عن أهمّية المظهر الآخر و هو تضييق المعنى [3]، و إن كان **إبراهيم أنيس** يرى عكس ذلك ، إذ إنّ تعميم الدّلالة في نظره أقلّ شيوعا في اللّغات من تخصيصها و أقلّ أثرا في تطوّر الدّلالات و تغيّرها . [4]

2/ مرادفات مصطلح تعميم الدّلالة :

لمصطلح تعميم الدّلالة تسميات أخرى ، مثل : توسيع المعنى ، أو امتداده [5]

3/ أمثلة توضيحيّة عن تعميم الدّلالة :

---

[1] - ينظر: فندريس ، اللّغة ، ص 256، أحمد مختار عمر، علم الدّلالة ، ص 243 .

[2])- ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدّلالة ، ص 243 .

[3])- ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدّلالة ، ص 243 .

[4])- ينظر: إبراهيم أنيس ، دلالة الألفاظ ، ص 154 .

[5])- ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدّلالة ، ص 243 . بالمر، علم الدّلالة إطار جديد ، ص 24 .

من أمثلة تعميم الدّلالة و قد تمّت الإشارة إليها سابقا ، [1] ما يلي :

***البَأْسُ** : كانت تطلق على الحرب ، و منه قوله تعالى : ﴿ **وَالصَّٰبِرِينَ فِي ٱلْبَأْسَآءِ وَالضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ** ﴾ **[البقرة : 176]** ، فقوله تعالى " **و حينَ البَأْسِ** " ، أي : في حالِ القتالِ و التقاء الأعداءِ [2] ، ثمَّ عُمِّمت دلالتها فأصبحت تطلق على كلِّ شدَّة ، قال **ابن سيده (ت 458هـ)** : « البَأْسُ : الحَرْبُ ، ثمّ كثُرَ حتى قيل لا بأس عليك ، و لا باسَ ، أي لا خوفَ ، [3]

فالبَأسُ في الأصل الشِّدَّةُ في الحرب ، ثم كثُرَ استعمال الكلمة في كلِّ شدّة ، فاكتسبت الدّلالةَ على العموم من هذا الاستعمال . [4]

***النُجْعَةُ** : أصلها طلبُ الغيثِ، ثمّ كثر فصار كلّ طلب انتجاعًا،

***المنيحَةُ** : أصلها أن يُعطى الرّجل النّاقة أو الشّاة ، فيشرب لبنها ، و يجزّ وبرها و صوفها ، ثمّ صارت كلّ عطية منيحة.

---

[1])- تمّت الإشارة إلى هذا الموضوع في عنصريّ ، أسباب و عوامل التّطوّر الدّلاليّ (العوامل اللّغويّة) و التّطوّر الدّلاليّ في الفكر التّراثي العربي القديم .

[2])- ينظر: ابن كثير، الإمام الحافظ عماد الدّين ، أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدّمشقي . (ت 774هـ) ، تفسير القرآن العظيم ، قدّم له يوسف عبد الرّحمن المرعشلي ، دار المعرفة بيروت ، لبنان ، 1412هـ - 1992م ، ج 1، ص 357 .

[3])- ينظر: ابن سيده ، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت 458 هـ) ، المحكم و المحيط الأعظم ، تحقيق عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، لبنان ، ج 8 ، ص 561 ، مادّة (بأس) ، ابن منظور ، لسان العرب ، و قد قال : البأسُ : العَذابُ ، و البَأْسُ : الشِّدّةُ في الحرب ، ثم نقل قول ابن سيده على هذا النّحو: البَأْسُ : الحَرْبُ ، ثمّ كثُرَ حتى قيل لا بأس عليك ، و لا بأْسَ ، أي لا خوفَ ، م 1 ، ج 3 . ص ، 199 ، مادّة (بأس)

[4])- ينظر: السّيوطي ، المزهر في علوم اللّغة ، الفصل الثّالث " فيما وضع في الأصل خاصّا ثمّ استعمل عامّا "، ج 1 ، ص 431 ، علي عبد الواحد وافي ، : علم اللّغة ، ص ، 320 . إبراهيم أنيس ، دلالة الألفاظ ، ص 155 .

***الوغى** : اختلاط الأصوات في الحرب، ثم كثر ذلك فصارت الحرب وغى، وكذلك الواغية.

***الغَيْثُ** : المطر، ثم صار ما نبت بالغيث غيثا .

***الوِرْدُ** : كانت تطلقُ على إتيانِ الماءِ فقط ، ثم عُمِّمتْ لتُطلقَ على إتيانِ كلِّ شيءٍ . [1]

***المُرَتَّبُ** : و قد كانت تعني أوّلا حصّة الجندي من الملح ، ثم توسّعت دلالتها إلى مرتّب **الجندي** ، ثمّ توسّعت مرّة أخرى و أصبحت تعني المرتّب بصورة عامّة . [2]

***اليتيمُ** : اليتيمُ هو الذي فقد أباه قبل البلوغ ، و أمّا الذي فقد أمَّه ، فهو **العَجِيُّ** ، و أمّا **اللّطيمُ** ، الذي فقد أبويه . [3] ، [4]، و لكنْ دلالةُ لفظ اليتيم عُمّمت في الاستعمال ، فصارت تدلُّ على كلِّ هؤلاءِ ، أي الذي فقد أباه ، أو أمّه ، أو فقدهما معا .

و من ذلك في اللّغة الإنجليزيّة كلمة " **arrive**" و في الفرنسيّة " **arriver**" **المنحدرة** عن اللاّتنيّة" **adripare**" ، فقد كانت تدلّ في الأصل على الوصول إلى الشّاطئ ، و هي في الأصل مصطلح بحريّ لا يجوز استعماله إلاّ

---

[1])- ينظر: ابن دريد ، جمهرة اللّغة ، " باب الاستعارات " ، ج 3 ، ص 432- 433 ، السّيوطي ، المزهر في علوم اللّغة ، الفصل الثّالث " فيما وضع في الأصل خاصّا ثمّ استعمل عامّا "، ج 1 ، ص 429 ، علي عبد الواحد وافي ، : علم اللّغة ، ص ، 320 .

[2])- ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدّلالة ، ص 244 .

[3])- ينظر: الخطيب الإسكافي ، أبو عبد الله محمّد بن عبد الله (ت 421 هـ) ، مبادئ اللّغة مع شرح أبياته ، دراسة و تحقيق عبد المجيد دياب ، دار الفضيلة ، القاهرة ، مصر . ص 51 .

[4])- ملاحظة: كلمة " العَجِيُّ " وردت في كتاب مبادئ اللّغة " العَجَمِيُّ " و هو خطأ ، إذ ورد في اللّسان العَجَمِيّ خلافه عربيّ ، و العجَمِيّ مُبهَمُ الكلام و لا يُتَبيَّنُ كلامُه ، بينما " العَجِيُّ " في البهائم مثلُ اليتيم في النّاس ، و " العَجِيُّ " من النّاس الذي يفقِدُ أمَّهُ ، و هو المقصود في هذا المقام ، م 4 ، ج 32 ، ص 2825 ، 2826 ، مادّة (عجم) ، م 4 ، ج 32 ، ص 2831 ، مادّة (عجا).

في معنى الوصول إلى الميناء ، و قد اتّسع نطاق استعمالها الآن ، حيث أصبحت تدلّ على كلّ وصول سواء أكان ذلك على القدم أم بأيّة وسيلة أخرى من وسائل الانتقال ، و قد استقرّ معناها على هذا المعنى . [1]، و من ذلك في اللّغة الفرنسية كلمة " **panier** " و أصل معناها سلّة الخبز و هي مشتقّة من " **pain** " و هو الخبز ثمّ غدا معناها السّلّة مطلقا . [2]

و من باب التّعميم : أسماء الأعلام التي اشتهرت بوصفٍ معيَّنٍ ، فتحوَّلت دلالتُها من الاسميَّة إلى الوصفيَّةِ ، فحاتم تطلق على وصف كلّ كريم مضياف ، و قيصر على وصفِ كلِّ عظيم أو طاغيةٍ ، و عرقوب على وصف كلِّ مخادع قليل الوفاء ...إلخ . [3]

و يمكن تفسير توسيع المعنى على أنّه نتيجة إسقاط لبعض الملامح التّمييزية للّفظ ، فالطّفل مثلا الذي يستخدم كلمة " عمّ " مع كلِّ رجلٍ ، قد أسقط الملامح التّمييزية للّفظ ؛ كالقرابة ، و اكتفى بملامح الذّكورة و البلوغ . [4]

ثانيا : تخصيص الدّلالة :

1/ مفهوم تخصيص الدّلالة :

---

[1])- ينظر: ستيفن أولمان ، دور الكلمة في اللّغة ، ص 162 ، إبراهيم أنيس ، دلالة الألفاظ ، ص 155- 156 . محمّد المبارك ، فقه اللّغة و خصائص العربيّة ، ص 219 .

[2])- ينظر: محمّد المبارك ، المرجع نفسه ، ص 219 .

[3])- ينظر: إبراهيم أنيس ، دلالة الألفاظ ، ص 155 .

[4])- ينظر: أحمد مختار عمر ، علم الدّلالة ، ص 245 .

يقصد بتخصيص الدّلالة تحويل الدّلالة من المعنى الكلّي إلى المعنى الجزئي ، أو تضييق مجال استعمالها ، أو تقليل عدد المعاني التي تدلُّ عليها ، أي أنّ الكلمة أصبحت بالتَّخصيصِ دالَّةً على بعض ما كانت تدلُّ عليه من قبل . [1] ، و هو الخروج بالمعنى من معنى عام إلى معنى خاصّ . [2]

2/ مرادفات مصطلح تخصيص الدّلالة :

لمصطلح تخصيص الدّلالة تسميات أخرى ، منها : تخصيص المعنى العام [3] ، **و تخصيص المعنى** [4] ، **و تضييق المعنى** [5] ، **و تقليص الدّلالة .** [6] [7]

3/ أمثلة توضيحيّة عن تخصيص الدّلالة :

من أمثلة التّخصيص الدّلاليّ ، و قد تمّت الإشارة إليها آنفا أيضا [8] ، ما يلي :

---

[1])- ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدّلالة ، ص 245 ، إبراهيم أنيس ، دلالة الألفاظ ، ص 152 .

[2])- ينظر: بالمر، علم الدّلالة إطار جديد ، ص 24

[3])- ينظر: عبد الغفّار حامد هلال ، علم اللّغة بين القديم و الحديث ، ص 227 .

[4])- ينظر: فندريس ، اللّغة ، ص 256، . محمود السّعران ، علم اللّغة ، مقدّمة للقارئ العربي ، ص 283 ، محمّد المبارك ، فقه اللّغة و خصائص العربيّة ، ص 219 ،

[5])- ينظر: فندريس ، اللّغة ، ص 256، ستيفن أولمان ، دور الكلمة في اللّغة ، ص 162 ، بالمر، علم الدّلالة إطار جديد ، ص 24 ، أحمد مختار عمر، علم الدّلالة ، ص 245 .

[6])- ينظر: فايز الدّاية ، علم الدّلالة العربي ، النّظرية و التّطبيق . ص 311 .

[7])- استعمل فايز الدّاية ، مصطلح تخصيص الدّلالة أو التّخصيص الدّلاليّ إلى جانب مصطلح تقليص الدّلالة . ص 311 .

[8])- تمّت الإشارة إلى هذا الموضوع في عنصريّ ، أسباب و عوامل التّطوّر الدّلاليّ (العوامل اللّغويّة) و التّطوّر الدّلاليّ في الفكر التّراثي العربي القديم .

* **الحَجُّ** : معناه في الأصل قصد الشّيء و الاتّجاه إليه ، ثمّ خصّص استعماله في قصد البيت الحرام حتىّ أصبح مدلوله الحقيقي مقصورا على هذه الشّعيرة .

* **السَّبتُ** : معناه في اللّغة الدّهر، ثمّ خصّ في الاستعمال لغةً بأحد أيام الأسبوع ، [1] .

* **المؤمِنُ** : عرفت من الأمان و الإيمان هو التّصديق ،ثمّ زادت الشّريعة شرائط و أوصافا بها سُميَّ المؤمن بالإطلاق مؤمنا .

***الصَّلاةُ** : و كان معناها في الأصل الدّعاء ، ثم خصّص استعمالها في الإسلام في العبادة المعروفة لاشتمالها على مظهر من مظاهر الدّعاء .

***الصَّومُ** : كانت تعني قبل الإسلام مجرّد الإمساك ، و منه تسمية الصَّمت صوما ؛ لأنَّه إمساك عن الكلام ، ثم خُصِّصت دلالتُها ، فصارت تدلُّ على شعيرة الصَّومِ ، وزاد الإسلام فيه النِّية وحظرُ الأكلِ و المباشرةِ و غيرهما من شرائع الصَّومِ . [2]

و من ذلك في اللّغة الإنجليزيّة أيضا كلمة " **poison** " و معناها في الأصل الجرعة من أيّ سائل ، ثمّ اقتصرت على الجرعة من السّمّ فقط .[3]، و كذلك كلمة" **meat**" التي كانت تعني في الإنجليزية مجرّد الطّعام ، و لكنّها خصّصت دلالتها الآن في التّعبير عن اللّحم . [4]

---

[1])- ينظر: السّيوطي ، المزهر في علوم اللّغة ، الفصل الثّاني "في العام المخصوص "، ج 1 ، ص 427 ، علي عبد الواحد وافي ، علم اللّغة ، ص ، 320 .

[2])- ينظر: ابن فارس ، الصّاحبي ، "باب الأسباب الإسلاميّة " ، ص 78 ...85 . علي عبد الواحد وافي ، علم اللّغة ، ص ، 319- 320 .

[3])- ينظر: ستيفن أولمان ، دور الكلمة في اللّغة ، ص 162 ، أحمد مختار عمر، علم الدّلالة ، ص 246 .

[4])- ينظر: إبراهيم أنيس ، دلالة الألفاظ ، ص 154

و إذا كان التّعميم فسّر على أنّه نتيجة إسقاط لبعض الملامح التّمييزيّة للفظ ، فعلى العكس من ذلك فإنَّ التَّخصيصَ هو نتيجةُ إضافةِ بعضِ الملامحِ التّمييزيَّةِ للّفظِ ، فكلّما زادت الملامح لشيء ما قلّ عدد أفراده .

(1)

[1])- ينظر: أحمد مختارعمر، علم الدّلالة ، ص 246 .

المحاضرة العاشرة: رقيّ المعنى و انحطاطه

المحاضرة العاشرة : رقيّ المعنى و انحطاطه

توطئة :

تطوّر الكلمات ما هو إلاّ انعكاس لتغيّر الفرد ، فكما يتعرّض الفرد لتغيّرات شتّى في مختلف مجالات حياته ، تتغيّر أيضا المفردات التي يستعملها ، فقد تسمو بسموّ فكره ، و قد تنحطّ بانحطاطه ، فاللّغة مرآة عاكسة لما يختلج في نفسه و فكره و مجتمعه ، و في ضوء هذا الطّرح ، سيتمّ مناقشة هذا الموضوع وفق العناصر الآتية : مفهوم رقيّ الدّلالة و انحطاطها ، مرادفات مصطلحيّ رقيّ الدّلالة و انحطاطها ، أمثلة توضيحيّة عن رقيّ الدّلالة و انحطاطها .

أوّلا : <u>رقي الدّلالة</u> :

1/ مفهوم رقيّ الدّلالة :

يقصد برقيّ الدّلالة ما يصيب دلالات الكلمات من الرّفعة أو الشّرف أو القوّة بعد أن كانت تدلُّ على معانٍ هيّنة أو وضعيّة أو ضعيفة نسبيّا .[1]

2/ مرادفات مصطلح رقيّ الدّلالة :

لمصطلح رقيّ الدّلالة تسميات أخرى ، منها : **التّغيّر المتسامي** [2] ، **و رقيّ المعنى** [3] ، **و سموّ الدّلالة .** [4]

3/ أمثلة توضيحيّة عن رقيّ الدّلالة :

---

[1])- ينظر: محمود السّعران ، علم اللّغة ، مقدّمة للقارئ العربي . 282-283 . إبراهيم أنيس ، دلالة الألفاظ، ص 158 . عبد الغفار حامد هلال ، علم اللّغة بين القديم و الحديث ، ص 233 .

[2])- ينظر: محمود السّعران ، علم اللّغة ، مقدّمة للقارئ العربي . 282 .

[3])- ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدّلالة ، ص 248 .

4)- ينظر: عبد الغفار حامد هلال ، علم اللّغة بين القديم و الحديث ، ص 233 .

من أمثلة الكلمات التي ارتقت دلالتها ما يلي :

***المَجْدُ :** و هي كلمة استخدمت في الماضي للدّلالة على امتلاء بطن الدّابة من العلف ، و تحوّلت الآن إلى الدَّلالة على معنى الرّقيّ و السُّموّ و العلوّ و الرِّفعةِ .[1]

***باشا :** وهي من الألفاظ الأعجميّة في الأصل ، و هي جزء من كلمة " البشمقدار" تعني عامل حذاء السّلطان [2] ، أي أنَّ كلمة باشا تعني **"الحذَّاء "**، و تعني كلمة " باشي" في اللّغة الفارسية رئيس الخدم ، وهي من اللّغة التّركيّة **" باش "** [3] ،و لا شكَّ أنَّ من يعمل نعل السّلطان سيتاح له أن يلتقيه ، و من الممكن أن يتاح له أن يطلب بعض الحاجات منه ، ومن المتوقَّع أن تُلبىَّ بعض طلباته ، و بعد هذا ارتقت مكانة الكلمة ، بسبب النّفوذ الذي يتمتّع به الباشا ، و لقد صارت الكلمة اليوم تطلق على أصحاب المناصب الرّفيعة ، ممَّا يعني أنَّها ارتقت بعد انحطاطها . [4]

---

[1])- ينظر: ابن دريد ، جمهرة اللّغة ، " باب الاستعارات " ج 3 ، ص 433 ، السّيوطي ، المزهر في علوم اللّغة و أنواعها ، الفصل الثّالث " فيما وضع في الأصل خاصّا ثم استعمل عامّا " ج 1، ص 431 ، علي عبد الواحد وافي ، علم اللّغة ، ص317- 321 .

[2])- ينظر: عقيد خالد حمّودي العزّاوي ، عماد بن خليفة الدّايني البعقوبي ، الدلّالة و المعنى ، دراسة تطبيقيّة ، دار الماجد ، دار العصماء ، دمشق ، سورية ، ط1 ، 1435هـ- 2014م . ص 194 ، جرجي زيدان ، اللّغة العربية كائن حي ، " الألفاظ الدّخيلة في عهد التّدهور " حيث قال : البشمقدار: يحمل نعل السّلطان ، ص 64 .

[3])- ينظر: حسين مجيب المصري ، المعجم الفارسي العربي الجامع ، المكتبة الإنجلو المصريّة ، القاهرة ، 1984م . ص 49 ، عقيد خالد حمّودي العزّاوي ، عماد بن خليفة الدّايني البعقوبي ، الدلّالة و المعنى ، دراسة تطبيقيّة ، دار الماجد ، دار العصماء ، دمشق ، سورية ، ط1 ، 1435هـ- 2014م . ص 194 .

[4])- ينظر: عقيد خالد حمّودي العزّاوي ، عماد بن خليفة الدّايني البعقوبي ، الدلّالة و المعنى ، دراسة تطبيقيّة ، ص 194 .

***العَفِشُ :** و هي كلمة كانت تعني " رُذَالِ المتاعِ " ،ففي نوادر العرب : "هؤلاءِ عُفاشةٌ من النَّاس بالضَّمِّ ، وهُمْ : مَنْ لا خيرَ فيهم ، و يقولون : هو من العَفِشِ النَّفِشِ لرُذالِ المَتاعِ [1] ، **و من** هنا يتبيَّنُ أنَّ الكلمة ارتقت بعد انحطاطها ، حيث كانت تعني رذال المتاع و سقطه ، و أصبحت الآن تطلق على الأثاث الغالي ، و منها سمّي جهاز العروس و أثاثها الغالي بهذا الاسم . [2]

* **مارشال :** و هي كلمة كانت تعني خادم الاسطبل ، و أصبحت الآن تطلق على رتبةٍ عسكريَّةٍ مرموقةٍ . [3]

ثانيا : <u>انحطاط الدّلالة</u> :

1/ مفهوم انحطاط الدّلالة :

يراد بانحطاط الدّلالة ما يصيب دلالات الكلمات من الانهيار و الضّعف و دنوّ المرتبة بعدما كانت رفيعة و قوّية وذات منزلة ، فنراها تفقد شيئا من أثرها في الأذهان أو تفقد مكانتها بين الألفاظ التي تنال من المجتمع الاحترام و التّقدير. [4]

2/ مرادفات مصطلح انحطاط الدّلالة :

---

[1])- الزّبيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس ، ج 17 ، ص 270 ، مادّة (عفش).

[2])- ينظر: إبراهيم أنيس ، دلالة الألفاظ ، ص 158 .

[3])- ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدّلالة ، ص 248 ، إبراهيم أنيس ، دلالة الألفاظ ، ص 158 .

[4])- ينظر: إبراهيم أنيس ، دلالة الألفاظ، ص156 . محمود السّعران ، علم اللّغة ، مقدّمة للقارئ العربي . 280-281 . عبد الغفار حامد هلال ، علم اللّغة بين القديم و الحديث ، ص 234 .

لمصطلح انحطاط الدّلالة تسميات أخرى ، منها : التّغيّر الانحطاطي أو الخافض .[1] **و انحطاط المعنى** [2].

3/ أمثلة توضيحيّة عن انحطاط الدّلالة :

من أمثلة الكلمات التي انحطّت دلالتها ما يلي :

***الكُرْسيُّ** : و هي كلمة استعملها القرآن الكريم بمعنى العرش ، و ذلك في قوله تعالى : ﴿ **يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالَارْضَ** ﴾ **[البقرة : 254]** ، و أصبحت الآن تطلق على عدّة استعمالات ، منها : كرسيّ السّفرة ، كرسيّ المطبخ ...إلخ [3]

* **الحَاجِبُ** : و هي كلمة كانت تعني في الدّولة العربيّة الأندلسيّة رئيس الوزراء و أصبحت تطلق اليوم على الحارس أو الخادم .[4]

***البُهلولُ** : كانت تعني في الشّعر العربي القديم الرّجل الكريم الصّفات ، ثم انحطّت دلالتها فصارت اليوم تعني الرّجل المعتوه الذي لا يدرك نتائج فعله .[5]

---

1)- ينظر: محمود السّعران ، علم اللّغة ، مقدّمة للقارئ العربي . 280 .

2)- ينظر: أحمد مختار عمر ، علم الدّلالة ، ص 248 .

3)- ينظر: إبراهيم أنيس ، دلالة الألفاظ ، ص 156-157 .

4)- ينظر: إبراهيم أنيس ، دلالة الألفاظ ، ص 157 ، رمضان عبد التّوّاب : لحن العامة و التّطوّر اللّغوي ، ص 63 ، عُودة ، خليل أبو عُودة ، التّطوّر الدّلاليّ بين لغة الشّعر الجاهلي و لغة القرآن الكريم ، ص 54 .

5)- ينظر: عُودة ، خليل أبو عُودة ، التّطوّر الدّلاليّ بين لغة الشّعر الجاهلي و لغة القرآن الكريم ، ص 54 . أحمد مختار عمر بمساعدة فريق عمل ، معجم اللّغة العربيّة المعاصرة ، م 1 ، ص 256 ، مادّة (بهلل) .

*" و **الغَانيَةُ** " كانت تعني قديما المرأة الجميلة التي استغنت بجمالها عن الزّينة [1] ، و هي الآن المرأة السّاقطة [2] .

[1])- ينظر : ابن الإمام التّونُسيّ ، الجُمانة في إزالة الرَّطانة ، بحث في لغة التّخاطب في الأندلس و تونس ، باب ما يضعونه غير موضعه ، مهّد له و حقّقه و علّق عليه حسن حسني عبد الوهّاب ، دار المقتبس ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1435هـ - 2014م ، ص 86 ، رمضان عبد التّوّاب ، لحن العامّة و التّطوّر اللّغويّ ، ص 324 ، أحمد مختار عمر بمساعدة فريق عمل ، معجم اللّغة العربيّة المعاصرة ، م2 ، ص 1647 ، مادّة (غني)

[2])- ينظر : عُودة ، خليل أبو عُودة ، التّطوّر الدّلاليّ بين لغة الشّعر الجاهلي و لغة القرآن الكريم ، ص 54 ، أحمد مختار عمر بمساعدة فريق عمل ، معجم اللّغة العربيّة المعاصرة ، م2 ، ص 1647 ، مادّة (غني) .

المحاضرة الحادية عشرة : نقل المعنى

المحاضرة الحادية عشرة : نقل المعنى

1/ مفهوم انتقال المعنى :

يكون الانتقال عندما يتعادل المعنيان ، أو إذا كان لا يختلفان من جهة العمومِ و الخصوص، أي أنَّ المعنى الجديدَ ليس أخصّ من المعنى القديمِ ، و لا أعمَّ منه ، بل هو مساوٍ له . [1]

2/ مرادفات مصطلح انتقال المعنى :

لمصطلح انتقال المعنى استعمالات أخرى ، منها ، **تغيّر مجال الاستعمال** [2] ، و قد فضّل بعض اللّغويين ، أمثال **بلومفيلد و بالمر** ذكر طرائق انتقال المعنى ، ممثّلة في الاستعارة و الكناية و المجاز المرسل ، دون ذكرها ضمن إطارها العام و هو انتقال المعنى .[3]

3/ الفرق بين مظهر الانتقال و مظهريّ التّعميم والتّخصيص :

يتجلّى الفرق بين مظهر الانتقال و مظهريّ التّعميم والتّخصيص في أنّ المعنى القديم أوسع أو أضيق من المعنى الجديد في هذين المظهرين ، غير أنّه في مظهر انتقال الدّلالة يكون المعنى القديم و الجديد متساويين ، وقد ذهب بعض الباحثين المحدثين إلى أنّ الفرق بين مظهر الانتقال والمظهرين الآخرين من مظاهر التّطوّر الدّلالي يتمثّل في أنّ هذين المظهرين يتمّان عادة بصورة غير شعوريّة، أمّا هذا المظهر أي "الانتقال" ، فإنّه يتمّ بصورة قصديّة لغرض أدبيّ غالبا. [4]

والحقيقة أنّ نقل المعنى كثيرا ما يتمّ لغير داعٍ إبداعيّ أو أدبيّ ؛ كالحاجة مثلاً ، إذ يرى **إبراهيم أنيس** أنّ النّاس قد ينحرفون عادة باللّفظ من مجاله المألوف إلى آخر غير مألوف حين تعوزهم الحاجة في التّعبير، وتتزاحم

---

[1])- ينظر: فندريس ، اللّغة ، ص 256 ، أحمد مختار عمر ، علم الدّلالة ، ص 247 .

[2])- ينظر: إبراهيم أنيس ، دلالة الألفاظ ، ص 160 ، أحمد مختار عمر ، علم الدّلالة ، ص 247 .

[3])- ينظر: بالمر ، علم الدّلالة إطار جديد ، ص ، 24- 25 .

[4])- ينظر: أحمد مختار عمر ، علم الدّلالة ، ص 247 .

المعاني في أذهانهم أو التّجارب في حياتهم، ثم لا يسعفهم ما ادّخروه من ألفاظ، وما تعلّموه من كلمات، فهنا قد يلجؤون إلى تلك الذّخيرة اللّفظيّة المألوفة، مستعينين بها على التّعبير عن تجاربهم الجديدة لأدنى ملابسة أو مشابهة أو علاقة بين القديم والجديد ، و لا تقتصر هذه الظّاهرة على الكبير فقط ، بل يلجأ إليها الطّفل الصّغير أيضا . [1]

4/ أنواع انتقال المعنى :

ميَّز اللّغويون بين نوعين من انتقال المعنى ، وقام هذا التّمييز على أساس نوع العلاقة بين المعنيين، وهما : انتقال المعنى لعلاقة المشابهة بين المدلولَيْن ، وهو ما يعرف بـ "الاستعارة"، و انتقال المعنى لعلاقة غير المشابهة بين المدلولين ، وهو ما يعرف بـ "المجاز المرسل . [2]

أ/ انتقال المعنى لعلاقة المشابهة ، وذلك يكون في الاستعارة، التي هي عبارة عن تشبيه حذف منه أحد طرفيه ؛ المشبّه أو المشبّه به . [3]، يقول **ستيفن أولمان** موضّحا هذا النّوع : « إنّنا حين نتحدّث عن "عين الإبرة" نكون قد استعملنا اللّفظ الدّال على عين الإنسان استعمالاً مجازيًّا ، أمّا الذي سوّغ لنا ذلك فهو شدّة التّشابه بين هذا العضو والثّقب الذي ينفذ الخيطُ من خلاله . » [4]

و يذكر **أولمان** من النّماذج الشّائعة للاستعارات استخدام الكلمات ذات المعاني المادّية المحسوسة للدّلالة على المعاني المجرّدة، كما في قولهم : جَسَّمَ المشكلة، وعَقَّدَ المسألة، ورَكَّزَ الفكرة ، كما يذكر أيضا نوعا آخر

---

[1])- ينظر: إبراهيم أنيس ، دلالة الألفاظ ، ص 130 .

[2])- ينظر: ستيفن أولمان ، دور الكلمة في اللّغة ، ص 164 ....170 ، محمّد محمّد داود ، العربيّة و علم اللّغة الحديث ، ص 113 .

[3])- ينظر: محمّد أحمد قاسم ، محي الدّين ديب ، علوم البلاغة (البديع و البيان و المعاني) ، المؤسّسة الحديثة للكتاب ، طرابلس ، لبنان ، ط1 ، 2003 م ، ص 193 .

[4])- ينظر: ستيفن أولمان ، دور الكلمة في اللّغة ، ص 165 .

من الاستعارة يعتمد على التّشابه في الشّعور نحو جانبيّ الاستعارة، وفي نوع الإحساس بها، أكثر من اعتماده على التّشابه في الصّفات الجوهريّة ، ومن الأمثلة على ذلك قولهم : تحيّة عطرة، واستقبال بارد ، ولون دافئ، وصوت حلو ، فهنا يوجد الإحساس بأنّ هناك تشابها بين الدّفء و بين لون معيّن من الألوان، وتشابها بين المذاق الحلو وبين الصّفات الجميلة للصّوت. [1]

و الاستعارة من سنن العرب في كلامها ، وقد حفل بها و بغيرها من ألوان المجاز شعرهم و نثرهم ، **يقول ابن جنّي (ت 392ه)** : « اعلم أنّ أكثر اللّغة مع تأمّله مجاز لا حقيقة . » [2] ، و يقول **ابن فارس (ت395ه)** : « ومن سنن العرب : الاستعارة، وهو أن يضعوا الكلمة للشّيء مستعارة من موضع آخر، فيقولون : **"انشقّت عصاهم"** ، إذا تفرّقوا، وذلك يكون للعصا ولا يكون للقوم، ويقولون : كشفت عن ساقها الحرب ... . » [3] ، و يلحظ **عبد القاهر الجرجاني (ت 471 ه)** النّقل الدّلالي في الاستعارة، **وذلك** عندما ينقل اللّفظ من مجال استعماله الأوّل إلى مجال آخر ، فيقول : « اعلم أنّ الاستعارة في الجملة أن يكون لفظ الأصل في الوضع اللّغويّ معروفا تدلّ الشّواهد على أنّه اختصّ به حين وضع، ثم يستعمله الشّاعر أو غير الشّاعر في غير ذلك الأصل، وينقله إليه نقلًا غير لازم، فيكون هناك كالعاريّة. » [4]

و ليس المقصود في هذا المقام هو التّعرّض للاستعارة من الوجهة البلاغيّة التي هي مجال اختصاص الدّرس البلاغي ، و إنّما المقصود توضيح أنّ الاستعارة مظهر من مظاهر انتقال الدّلالة القائمة على المشابهة بين

---

[1])- ينظر: ستيفن أولمان ، دور الكلمة في اللّغة ، ص 166- 167 .

[2])- ابن جنّي ، أبو الفتح عثمان بن جنّي (ت 392ه) ، الخصائص ، تحقيق محمّد علي النّجّار ، دار الكتب المصريّة ، المكتبة العلميّة ، ج 2 ، ص 447.

[3])- ابن فارس ، الصّاحبي ، ص 334 .

[4])- عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة في علم البيان ، تصحيح محمّد عبده ، تعليق محمّد رشيد رضا ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1409 ه – 1988 م ، ص 22 .

المدلولين ، و من أمثلة ذلك : استعمال أهل الأندلس كلمة القلادة في معنى الحزام و هي ما يحيط بالعنق ، و بين المدلولين تشابه ، فالحزام يحيط بالوسط كما تحيط القلادة بالعنق . [1]

ب/ انتقال مجال الدّلالة لغير علاقة المشابهة بين المدلولين، وهو "المجاز المرسل"، وقد سمّي هذا المجاز مرسلا لإطلاقه من قيد المشابهة .[2]

فمن ذلك كلمة (bureau : مكتب) التي كانت تطلق في الأصل على نوع من نسج الصّوف الغليظ المسمّى **étoff de bure**،ثمّ أطلقت على قطعة الأثاث التي تغطّى بهذا النّسج ، [3] ، ليدلّ معناها اليوم على المكتب الذي يجلس إليه الإنسان و يكتب عليه أو المصلحة الحكوميّة، أو المكان الذي تدار منه الأعمال ، فهنا لا توجد علاقة مشابهة بين المدلولين ، ولكن بينهما علاقة من نوع آخر هي العلاقة المكانيّة ، فالمكتب الذي نكتب عليه يوضع عادة في الأماكن التي تدار منه الأعمال، فالفكرتان مرتبطتان مع بعضهما في ذهن المتكلّم، أو هما تنتميان إلى مجالٍ عقليَ واحد . [4]

---

[1])- ينظر: عبد العزيز مطر، لحن العامة في ضوء الدّراسات اللّغوية الحديثة ، ص 285 .

[2])- ينظر: الخطيب القزويني ، جلال الدّين محمّد بن عبد الرّحمن بن عمر بن أحمد بن محمّد (ت 739هـ) ، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني و البيان و البديع ، تحقيق إبراهيم شمس الدّين ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1424هـ - 2003م،ص205 ، محمّد أحمد قاسم ، محيي الدّين ديب ، علوم البلاغة (البديع و البيان و المعاني) ، ص 215- 216 .

[3])- ينظر: فندريس : اللّغة ، ص 254 .

[4])- ينظر: ستيفن أولمن ، دور الكلمة في اللّغة ، ص 169- 170 .

فالمجاز المرسل يعدّ طريقة من طرائق التّغيّر الدّلاليّ و له أثر كبير في هذا التّغيّر ، و ليس المقصود في هذا المقام أيضا هو التّعرّض له من الوجهة البلاغيّة التي هي مجال اختصاص الدّرس البلاغي ، و إنّما المقصود هو توضيح أنّه مظهر من مظاهر انتقال الدّلالة لغير علاقة المشابهة بين المدلولين .

و للمجاز المرسل علاقات كثيرة ، أهمّها : السّببية ، و المسببيّة ، و الحاليّة ، و المحلّية ، و المجاورة ، و الزّمانيّة و المكانيّة ، والجزئيّة ، والكلّية ، و الآليّة واعتبار ما كان وما يكون و غير ذلك . [1]

و من هذا المنطلق يمكن تسجيل بعض الألفاظ التي انتقلت دلالاتها من معنى قديم إلى معنى حديث بسبب هذه العلاقات ، منها :

[1])- ينظر: ، محمّد أحمد قاسم ، محي الدّين ديب ، علوم البلاغة (البديع و البيان و المعاني) ، ص 217- 218 ، محمّد المبارك ، فقه اللّغة و خصائص العربيّة ، ص 220-221 . ستيفن أولمان ، دور الكلمة في اللّغة ، ص 170 .

-انتقال دلالة كلمة "**الظّعينة** " و التي كانت تعني في الأصل المرأة في الهودج أو معنى البعير إلى معنى الهودج نفسه و ذلك لعلاقة المكانيّة . [1].[2]، و استعمال "**المَلّة** " بمعنى الخبز في قولهم أطعمَهُ مَلَّةً ، و المَلَّةُ في الأصل : الرّمَادُ الحارُّ، و هي موضع الخبزة فسمّوا الخبزة باسم موضعها لعلاقة المكانيّة أيضا .[3]

-انتقال دلالة كلمة "**العقيقة** "و التي كانت تعني في الأصل الشّعر الذي يخرج على الولد عند خروجه من بطن أمّه إلى الذّبيحة التي تنحر عند حلق ذلك الشّعر ، و ذلك للعلاقة **الزّمانية** . [4]

---

[1])- ابن دريد ، جمهرة اللّغة ، " باب الاستعارات " ج 3 ، ص 432 ، السّيوطي ، المزهر في علوم اللّغة و أنواعها ، الفصل الثّالث " فيما وضع في الأصل خاصّا ثم استعمل عامّا " ج 1، ص 429 ، 430 ، علي عبد الواحد وافي ، علم اللّغة ، ص 316 ، عبد الغفّار حامد هلال ، علم اللّغة بين القدماء و المحدثين ، ص 231 .

[2])- وضع السّيوطي هذا المثال (الظّعينة) و غيره من الألفاظ ضمن الفصل الثّالث المعنون " فيما وضع في الأصل خاصّا ثم استعمل عامّا " ج 1، ص 429 ، 430 ، أي عدّه ضمن الألفاظ التي عمّمت دلالتها ، و هي الألفاظ نفسها التي أشار إليها ابن دريد في كتابه الجمهرة ، " باب الاستعارات " ج 3 ، ص 432 – 434 ، غير أنّ علي عبد الواحد وافي في كتابه علم اللّغة و عبد الغفّار حامد هلال في كتابه علم اللّغة بين القدماء و المحدثين و غيرهما من المحدثين ضمّنوها ضمن هذا الباب و ضمن انتقال الدّلالة لعلاقة المجاورة المكانيّة أيضا ، و هذا ما يحيلنا إلى القول إنّ هذه المظاهر تتداخل فيما بينها ، فما يكون عامّا قد يصبح خاصّا و العكس ، و ما يكون عامّا أو خاصّا هو في حقيقته انتقال لعلاقة من العلاقات ، و الحكم نفسه بالنّسبة لمثالي : العقيقة و الوغى .

[3])- ينظر: الزّمخشري ، أساس البلاغة ، ج 2 ، ص 228 ، مادّة (ملل) .

[4])- ابن دريد ، جمهرة اللّغة ، " باب الاستعارات " ج 3 ، ص 432 -433 ، السّيوطي ، المزهر في علوم اللّغة و أنواعها ، الفصل الثّالث " فيما وضع في الأصل خاصّا ثم استعمل عامّا " ج 1، ص 429 ، 431 ، علي عبد الواحد وافي ، علم اللّغة ، ص 316 -317 ، عبد الغفّار حامد هلال ، علم اللّغة بين القدماء و المحدثين ، ص 231 .

- انتقال دلالة **"الوغى "** من اختلاط الأصوات في الحرب إلى الدّلالة على الحرب نفسها لعلاقة السّببية [1] ، لأنّ الحرب سبب في اختلاط الأصوات ، و إطلاق لفظة **(اليد)** على النّعمة، لأنّ النّعمة تصدر عنها ، فالعلاقة هنا سببيّة أيضا . [2]

-إطلاق اللّسان على اللّغة من قبيل إطلاق اسم الأداة و الآلة على وظيفتها ، فالعلاقة هنا آليّة ، لأنّ اللّسان آلتها . [3]

-إطلاق الضّاد على العربيّة في لغة الضّاد، فالعلاقة جزئيّة .

-انتقال دلالة كلمة **"الشّنب"** التي كانت تعني في الأصل ماء و رِقَّة تجري على الثّغر و قيل ماءٌ و رِقَّةٌ و بَرْدٌ و عذوبَةٌ في الفم ، و قيل في الأسنان ، و قيل حَدٌّ في الأسنان أو نُقَطٌ بِيْضٌ فيها ... [4] و قيل رِقَّة الثّغر و صفاؤه و بَرْده [5] ، و هي في الاستعمال الحديث تعني : **"الشّارب"** [6] ، و ذلك لعلاقة المجاورة بين الثّغر و الشّارب .

5/ بعض مظاهر التّطوّر الدّلاليّ التي تتّصل بمظهر انتقال الدّلالة :

---

[1]- ابن دريد ، جمهرة اللّغة ، " باب الاستعارات " ج 3 ، ص 432 ، السّيوطي ، المزهر في علوم اللّغة و أنواعها ، الفصل الثّالث " فيما وضع في الأصل خاصّا ثم استعمل عامّا " ج 1، ص 429 .

[2]- عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ، ص 343 .

[3]- ستيفن أولمان ، دور الكلمة في اللّغة ، ص 170 . محمّد محمّد داود ، العربيّة و علم اللّغة الحديث 216 .

[4]- ينظر: الزّبيدي ، تاج العروس ، ج 3 ، ص 157 ، مادّة (شنب) .

[5]- ينظر: الزّمخشري ، أساس البلاغة ، ج 1 ، ص ، 523 مادّة ، (شنب) .

[6]- ينظر: إبراهيم أنيس ، دلالة الألفاظ ، ص 126 ، أحمد مختار عمر ، علم الدّلالة ، ص 248 .

من مظاهر التّطوّر الدّلاليّ التي تتّصل بمظهر انتقال الدّلالة هو انتقال الدّلالة من الدّلالة الحسّيّة إلى الدّلالة المجرّدة أو انتقالها من الدّلالة المجرّدة إلى الحسّية ، و هو مظهر يتجلّى فيه تطوّر معاني الألفاظ بوضوح : و فيما يلي توضيح لذلك :

أ/ الانتقال من الدّلالة الحسّيّة إلى الدّلالة المجرّدة :

يكاد يتّفق الباحثون في نشأة الدّلالة على أنّها بدأت بالمحسوسات ثم تطوّرت إلى الدّلالات المجرّدة بحكم تطوّر العقل الإنساني ورقيّه ، فكلّما ارتقى التّفكير العقلي عند الإنسان جنح إلى استخراج الدّلالات المجرّدة وتوليدها والاعتماد عليها في الاستعمال. [1]

وانتقال الدّلالة من المجال المحسوس إلى المجال المجرّد يتمّ عادة بالتّدريج، وقد تظلّ الدّلالتان سائدتين معا زمنا ما، و قد تنزوي الدّلالة المحسوسة وقد تندثر ، و قد تظلّ مستعملة إلى جانب الدّلالة التّجريدية ، و قد تستعمل الدّلالة الحسّيّة للّفظ فلا تثير دهشة أو غرابة، وقد تستعمل الدّلالة المعنويّة، للّفظ ذاته دون دهشة أو غرابة أيضا. [2]

ومن الأمثلة على تطوّر الدّلالة من الحسّيّة الملموسة إلى المعنويّة المجرّدة ما يلي :

***الشّرف :** و هي كلمة انتقلت دلالتها الحسّيّة إلى المعنويّة ، إذ إنّ أصلها في اللّغة المرتفع من الأرض، يقال : علا شرفا من الأرض ، و علوا أشرافا و هو المكان المشرف ، و حلّوا مشارف الأرض، أي : أعاليها، ثم نقلت إلى معنى مجرّد، فقالوا : لفلان شَرَفٌ، و هو علوّ المنزلة، و هو شريف من الأشراف . [3]

---

[1])- ينظر: إبراهيم أنيس ، دلالة الألفاظ ، ص 161 ، أحمد مختار عمر ، علم الدّلالة ، ص 238 .

[2])- ينظر: إبراهيم أنيس ، دلالة الألفاظ ، ص 162 .

[3])- ينظر: الزّمخشري ، أساس البلاغة ، ج 1 ، ص 503 ، مادّة (شرف) .

***المَجْدُ :** و هي كلمة انتقلت من الدّلالة الحسّيّة إلى الدّلالة المعنويّة ، حيث كانت تعني في الأصل امتلاء بطن الدّابة من العلف و هي دلالة حسّيّة ثم انتقلت إلى معنى الكرم و السّموّ و الرّفعة [1] فمن امتلاء بطن الدّابة من العلف إلى امتلاء الإنسان بالخصال الحميدة .

***الغَفُورُ :** أصل معناها السّتر والتّغطية ، وهو معنى حسّي، ثمّ تطوّرت دلالتها في الإسلام إلى معنى الصّفح والتّجاوز عن الذّنوب، وهو أمر معنوي : يقول **الرّازي** (ت 322هـ) في معنى **"الغفور"** : « يُقال غَفُور و غَفَّارٌ و غافِرٌ ثلاث لغات وهي من المغفرة ، و المغفرةُ السَّترُ، كأنّه يستر ذنوب العباد إذا رضي عنهم، فلا يكشفها للخلائق، و يقالُ في الدّعاء : اللّهم تغمّدني بمغفرتك ، أي استُر ذنوبي ، وأصله من غَفَرت الشّيء إذا غطّيته ... . » [2]

* **الزَّكَاةُ** و أصل معناها : النّموّ والزّيادة ،و هو معنى حسّي ، ثمّ استعملت في الإسلام، بمعنى تطهير النّفس، و هو معنى معنوي ، يقول **الرّازي :** « ومن الأسماء ما يجرُّ معنيين، كقولك : الزّكاة، قالوا : هو من النّموّ والزّيادة ، يُقال : زكَا الزّرْعُ ، إذا نمَا وطَالَ وزَادَ ، ويكون من الطّهارة، قال تعالى : ﴿ **قَدَ اَفْلَحَ مَن زَكَّيٰهَا** ﴾ **[الشّمس، 9]**، أي طهّرها . » [3]

ب/ الانتقال من الدّلالة المجرّدة إلى الدّلالة الحسّيّة :

و هو الضّرب الثّاني من ضروب انتقال الدّلالة، وغالبا ما يكون ذلك من أجل توضيح الصّورة الذّهنية، وجعلها أمرا محسوسا يُرَىَ ويُسمَع ويُتذوق ويُلمس ويُشَم، وهذا النّوع من النّقل يكثر في لغة الفنّانين

---

[1])- ينظر: ابن دريد ، جمهرة اللّغة ، " باب الاستعارات " ج 3 ، ص 433 ، السّيوطي ، المزهر في علوم اللّغة و أنواعها ، الفصل الثّالث " فيما وضع في الأصل خاصّا ثم استعمل عامّا " ج 1، ص 431 ، علي عبد الواحد وافي ، علم اللّغة ، ص317- 321 .

[2])- الرّازي ، كتاب الزّينة في الكلمات الإسلاميّة العربيّة ، ج 2 ، ص 267 .

[3])- الرّازي ، كتاب الزّينة في الكلمات الإسلاميّة العربيّة ، ج 1 ، ص 139 ، ابن فارس ، الصّاحبي ، ص 86 .

و الأدباء و الشّعراء ، فنجد المعاني المجرّدة كالحنان والحقد والصّبر والأمل و البخل و الطّموح تصبح أشياء محسوسة نكاد نلمسها ، عند كلّ هؤلاء ، فيزداد تأثّرنا وانفعالنا بتلك الصّورة التي يرسمونها لنا في أذهاننا ، حيث يصبح المجرّد محسوسا ملموسا ، وأوضح ما تكون تلك العمليّة فيما يسمّى بالكنايات الأدبيّة ، كأن يكنّى عن **"الكرم"** بكثرة الرّماد، وعن **"التذلّل"** بإراقة ماء الوجه....إلخ ، فنقل الدّلالة المجرّدة إلى المجال المحسوس ممّا يمهر فيه الأدباء والشّعراء وأصحاب الخيال، وهو كثير الورود في الأدب العربي، وهو الذي يستحقّ أن يسمّى بالمجاز البلاغي. [1]

[1])- ينظر: إبراهيم أنيس ، دلالة الألفاظ ، ص 160- 161 .

المحاضرة الثّانية عشرة : العلاقات الدّلاليّة و التّطوّر الدّلاليّ

المحاضرة الثّانية عشرة : العلاقات الدّلاليّة و التّطوّر الدّلاليّ

توطئة :

تتعدّد أشكال العَلاقة بين اللّفظ والمعنى، ومن هذه الأشكال طبيعة علاقة اللّفظ بمعناه ، أو الدّال بمدلوله ، إذ تكون هذه العلاقة علاقة طبيعيّة مبنيّة على التّلازم الموجود بينهما ، فكلّ لفظ يحيل إلى مدلوله الخاصّ به ، و قد تكون هذه العلاقة علاقة اصطلاحيّة عرفيّة ، إذ إنّ اللّفظ ليس شرطا أن يفيد مدلولا بذاته ، و قد تتجلّى هذه الأشكال في حدوث علاقات دلاليّة ، منها : علاقة التّرادف ، إذ تتمثّل في وجود كلمات يمكن أن تتبادل المواقع مع بعضها دون أن يتغيّر المعنى على الرّغم من اختلاف المكونات الصّوتيّة لهذه الكلمات، حيث إنّ ألفاظا متعددّة تحيل إلى المعنى نفسه ، و يمكن التّبادل بينها في أيّ سياق ، و علاقة المشترك اللّفظيّ ، و تتجلّى في دلالة اللّفظ الواحد على معان متعدّدة ، فالدّال واحد و المدلولات متعدّدة ، و علاقة التّضادّ و تتجلّى في معنيين أحدهما ورود اللّفظ و ضدّه ، و ثانيهما دلالة اللّفظ الواحد على معنيين متضادّين ، يقول **سيبويه (ت 180ه)** ، مقسّما علاقة الألفاظ بالمعاني إلى ثلاثة أقسام ، دون ذكره لطبيعة العلاقة بين اللّفظ و معناه ، و دون إشارته إلى علاقة التّضادّ التي يعدّها البعض جزءا من علاقة المشترك اللّفظيّ : « اعلم أنّ من كلامهم اختلافَ اللّفظين لاختلاف المعنيين ، واختلافَ اللّفظين و المعنى واحدٌ ، و اتّفاقَ اللّفظين و اختلاف المعنيين ، فاختلاف اللّفظين لاختلاف المعنيين هو ، نحو : جلس و ذهَب ، و اختلاف اللّفظين و المعنى واحد ، نحو : ذهَب و انطلَق ، و اتّفاقَ اللّفظين و المعنى مختلِف ، نحو قولك : وجَدتُ عليه من المَوجِدَة ، و وجَدْت إذا أردت وِجْدانَ الضَّالّة، و أشباه هذا كثير. » [1] ، و هذا

1) – سيبويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت180ه) ، الكتاب ، تحقيق و شرح عبد السّلام محمّد هارون ، النّاشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط3 ، 1408ه - 1988م ، ج 1 ، ص 24 .

التّقسيم الذي أشار إليه **سيبويه** هو ما يعرف بالمتباين و التّرادف و المشترك اللّفظي ، و هو تقسيم اعتمده علماء العربيّة بعده ، و جعلوه أساسا لتسميّة مصنّفاتهم ، و بعض أبواب مصنّفاتهم .

و قد حذا **قطرب (ت 206هـ)** حذوه في هذا التّقسيم ، إذ أشار في نصّه إلى العلاقات نفسها ، مضيفا علاقة التّضادّ ، و محاولا تعليل وقوع التّرادف ، يقول : « الكلام في ألفاظه بلغة العرب على ثلاثة أوجه ، فوجه منها ، و هو الأعمّ الأكثر ، اختلاف اللّفظين لاختلاف المعنيين ، وذلك قولك : الرّجل و المرأة ، و اليوم و اللّيلة ، و قام و قعد .... و هذا لا سبيل إلى جمعه وحصره ، لأنّ أكثر الكلام عليه ، و الوجه الثّاني : اختلاف اللّفظين و المعنى متّفق واحد ، وذلك مثل : عَيْر وحمار ، وذئب و سِيْد ، و سَمْسَم و ثعلب ، و أتى وجاء ، وجلس و قعد ، اللّفظان مختلفان و المعنى واحد ، و كأنّهم إنّما أرادوا باختلاف اللّفظين – و إن كان واحدا مجزيا –أن يوسّعوا في كلامهم و ألفاظهم ، كما زاحفوا [1] في أشعارهم ليتوسّعوا في أبنيتها و لا يلزموا أمرا واحدا ، و الوجه الثّالث : أن يتّفق اللّفظ و يختلف المعنى ، فيكون اللّفظ الواحد على معنيين فصاعدا ، وذلك مثل : الأمّة : الرّجل وحده يؤتّم يه والأمّة القامة ، قامة الرّجل ، و الأمّة من الأمم ، و من هذا اللّفظ الواحد الذي يجيء على معنيين فصاعدا ما يكون متضادّا في الشّيء و ضدّه » [2]

وعلى هذا الأساس تعدّدت أشكال العلاقات الدّلاليّة ، و سيتمّ التّعرّض في هذه المحاضرة إلى مجموعة من النّقاط، أهمّها : مفهوم العلاقات الدّلاليّة، العلاقات الدّلاليّة و التّطوّر الدّلاليّ ، و تشمل العلاقة بين

---

1) – زاحفوا : الزّحاف في الشّعر ، أن يسقط بين الحرفين حرف فيزحف أحدهما إلى الآخر و الشّعر مزاحف ، ينظر: ابن جنّي ، الخصائص ،ج 1 ، الهامش ، ص 400

2) – قطرب ، أبو علي محمّد بن المستنير (ت 206هـ) ، كتاب الأضداد ، عنى بتحقيقه و التّقديم له حنّا حدّاد ، النّاشر ، دار العلوم للطّباعة و النّشر ، الرّياض ، المملكة العربيّة السّعوديّة ، ط 1 ، 1405هـ -1984م ، ص 69 ، و ينظر أيضا : السّيوطي ، المزهر في علوم اللّغة و أنواعها ، ج 1 ، ص 401/400 .

الدّوال و المدلولات و التّطوّر الدّلاليّ ، العلاقة بين المشترك اللّفظي و التّطوّر الدّلاليّ ، العلاقة بين التّرادف و التّطوّر الدّلاليّ ، العلاقة بين التّضادّ و التطوّر الدّلاليّ .

أوّلا : مفهوم العلاقات الدّلاليّة :

يطلق مصطلح العلاقات الدّلاليّة على الظّواهر اللّغويّة التي تشرح العلاقة بين الكلمات في اللّغة الواحدة ، و من نواحٍ عدّة ؛ كأن يدلّ اللّفظ الواحد على أكثر من معنى و تُسمّى العلاقة بالمشترك اللّفظي ، أو أنْ يدلَّ أكثر من لفظ على معنى واحدٍ ، و تسمّى العلاقة بالتّرادف ، أو أن يدلَّ اللّفظ الواحد على معنيين متضادّين و تُسمّى العلاقة بالتّضادّ .

و قد عدّت هذه العلاقات في مجملها من نتائج التّطوّر اللّغويّ بصورة عامّة و التّطوّر الدّلاليّ بشكل خاصّ .

ثانيا : العلاقات الدّلاليّة و التّطوّر الدّلاليّ :

أ-العلاقة بين الدّوال و المدلولات و التّطوّر الدّلاليّ

تتجلّى علاقة اللّفظ بمعناه ، أو الدّال بمدلوله ، في كون هذه العلاقة قد تكون طبيعيّة مبنيّة على التّلازم الموجود بينهما ، فكلّ لفظ يحيل إلى مدلوله الخاصّ به ، و قد تكون علاقة اصطلاحيّة عرفيّة ، إذ إنّ اللّفظ ليس شرطا أن يفيد مدلولا بذاته ، و انطلاقا من هذا الطّرح ، فقد يكون التّطوّر الدّلاليّ على مستوى اللّفظ أو الدّال في حدّ ذاته ، و قد يكون التّطورّ حاصلا على مستوى المدلول ،أي في معناه أي أنّ التّطوّر الدّلاليّ لا يقصد به تغيّر معنى اللّفظ فقط ، بل قد يتغيّر اللّفظ في حدّ ذاته ، و ذلك بفعل عوامل و أسباب كثيرة منها الدّاخليّة التي تخصّ اللّغة في حدّ ذاتها ، ومنها الخارجيّة التي تتمثّل في الأسباب الاجتماعيّة و التّاريخيّة و النّفسيّة و غيرها ، فكثير هي الألفاظ التي استبدلت بغيرها نتيجة هذه العوامل ، وكثير هي الألفاظ التي ماتت و لم تعد تستعمل ، و كثير منها أعيد إحياؤها ، وقد تمّت الإشارة إلى هذا الموضوع سابقا ، فالعلاقة

العرفيّة بين الألفاظ ومدلولاتها هي من فرضت هذا التّغيير على مستوى الألفاظ ، أو على مستوى المعاني ، و هذا العرف أو الاصطلاح مردّه إلى المجتمع ، فالمجتمع في تغيّر دائم ، و كذلك الأمر بالنّسبة للّغة ، فهي انعكاس لتطوّره ، و لو كانت العلاقة طبيعيّة و حتميّة لانتفى القول بالتّطوّر الدّلاليّ .

ب- العلاقة بين المشترك اللّفظيّ و التّطوّر الدّلاليّ :

العلاقة بين التّطوّر الدّلاليّ و المشترك اللّفظيّ علاقة تلازميّة ، فقد عدّ المشترك اللّفظيّ مظهرا من مظاهر التّطوّر الدّلاليّ و سببا من أسبابه ، و في الوقت نفسه ، فإنّ التّطوّر الدّلاليّ سبب من أسباب المشترك اللّفظيّ ، سواء كان على مستوى تطوّر الأصوات ، أو على مستوى تطوّر دلالة الألفاظ ، فعلى المستوى الصّوتيّ يظهر ذلك التّحوّل في إحلال صوت مكان صوت آخر ، فيؤدّي ذلك إلى اتّحاد لفظ مع آخر في الصّورة ، و إن كان يختلف معه في المدلول ، مثل : كلمة " " السّغب " التي تحوّلت إلى " التّغب " ، وهو تطوّرٌ صوتيٌّ من السِّين إلى التَّاء أدّى إلى تحوُّلٍ دلاليٍّ من المعنى الأوَّلِ ، وهو " التَّعبُ مع الجوعِ " إلى معاني الدّرن و الهلاك و القحط و الجوع . (1) .

أمّا تطوّر المعاني و تغيّرها مع احتفاظها بأصواتها ، و هو عكس الحالة السّابقة ، فقد يؤدّي ذلك إلى إنتاج كلمات تشترك في الصّورة و تختلف في المعنى ، فالكلمة توضع للدّلالة على معنى معيّن ، ثمّ تتطوّر دلالاتها بفعل عوامل و أسباب كثيرة ، داخليّة متعلّقة باللّغة في حدّ ذاتها ، و خارجيّة و تشمل الأسباب الاجتماعيّة و التّاريخيّة و النّفسيّة و غيرها ، و قد لوحظ ذلك من خلال الأمثلة السّابقة ، حيث إنّ كلّ كلمة تمتلك معنى أصليّا ، و معاني أخرى متطوّرة عنها ، فالأمَّةُ مثلا ، أصل دلالتها هو الصِّنفُ من النّاس و الجماعة ، أمّا بقيّة المعاني الأخرى فقد تعدّ تطوّرا ، و العَيْن ، أصل دلالتها هو العين الباصرة ، أمّا بقيّة المعاني الأخرى

1) – ينظر: السّيوطي ،المزهر في علوم اللّغة ،ج 1، ص 453 . و إبراهيم أنيس : دلالة الألفاظ ، ص 138 – 139 .

فقد تعدّ تطوّرا ، حيث يتجلّى هذا التّطوّر في مظاهر و أشكال ، منها التّعميم و التّخصيص و انتقال الدّلالة .

ج – العلاقة بين التّرادف و التّطوّر الدّلاليّ :

العلاقة بين التّطوّر الدّلاليّ و التّرادف علاقة تلازميّة ، فقد عدّ التّرادف مظهرا من مظاهر التّطوّر الدّلاليّ و سببا من أسبابه ، و في الوقت نفسه ، فإنّ التّطوّر الدّلاليّ سبب من أسباب التّرادف ، سواء كان على مستوى تطوّر الأصوات ، أو على مستوى تطوّر دلالة الألفاظ ، فعلى المستوى الصّوتيّ يظهر ذلك في القلب و الإبدال الذي يحدث للألفاظ ، حيث إنّ إحلال صوت مكان صوت آخر أو تغيير في ترتيبه يؤدّي إلى إنتاج كلمات أخرى تترادف مع الكلمة الأصليّة ، مثل : جذب و جبذ ، و مثل الجَثْل و الجفْل ، فإنّ التّغيير في الأصوات أدّى إلى ترادف الكلمات ، بغضّ النّظر عمّن أخرج هذا السّبب من دائرة أسباب التّرادف و رأى بأنّه توهّم ، فاللّفظة في حقيقة الأمر واحدة ، وقد اختلفت صورها و صيغها لعوارض صوتيّة طرأت عليها ، أمّا على مستوى تطوّر دلالات الألفاظ ، فيمكن تفسير هذه العلاقة على أنّ من الكلمات ما تشترك معانيها في بعض الأجزاء، وتختلف في البعض الآخر، و لكن بفعل عامل التغيّر الدّلاليّ تصبح تلك الكلمات مترادفة ، لأنّ المعاني لا تبقى على حالة واحدة ، فقد يصبح الخاصّ عامّا أو يصبح العام خاصّا ، فالمعنى المتطوّر يصبح مرادفا للكلمة الأصليّة ، دون الاستغناء عن أحدهما ، إذ تبقى الكلمات الأصليّة مستعملة جنبا إلى جنبا مع معانيها المتطوّرة . ومن مثل ذلك كلمة " هلك " في العبريّة لكلّ نوع من الذّهاب ، في حين أنّ معناها في العربيّة قد تحدّد أو خصّص و أصبح مقصورا على نوع واحد من الذّهاب و هو الهلاك ، و قد أدّى مثل هذا التّطوّر إلى التّرادف بين الموت و الهلاك . (1)

1) – ينظر: إبراهيم أنيس ، في اللّهجات العربيّة ، مكتبة الأنجلو المصريّة ، القاهرة ، ط 8 ، 1992 م ، ص 183 ،

و إضافة إلى ذلك ، فإنّ ظاهرة التّرادف عدّت مظهرا من مظاهر التّطوّر الدّلالي و صورة من صوره أيضا ، وذلك لأنّ بعض أسباب وجود المترادفات في اللّغة لا تخرج عن عوامل التّطوّر اللّغويّ ، فاحتكاك لغة ما بغيرها يعدّ سببا رئيسا في عوامل التّطوّر اللّغويّ ، و يعدّ أيضا سببا واضحا لكثرة المترادفات في لغة ما ، ومن ذلك احتكاك لغة قريش باللّهجات العربيّة الأخرى ، فقد نقل إليها طائفة كبيرة من مفردات هذه اللّهجات ، و احتكاك اللّغة العربيّة أيضا بغيرها من اللّغات المجاورة ،كالفارسيّة و الرّوميّة و الحبشيّة ، قد أدخل فيها كثيرا من المفردات التي قد تمثّل مع بعض مفردات اللّغة العربيّة شيئا من التّرادف . [1]

د- العلاقة بين التّضادّ و التّطوّر الدّلاليّ :

العلاقة بين التّضادّ و التّطوّر الدّلاليّ هي أيضا علاقة تكامليّة ، تلازميّة ، حيث إنّ التّضادّ صورة من صور التّطوّر الدّلاليّ و نتيجة من نتائجه ، فعندما تتطوّر دلالة الألفاظ قد ينتج عنها التّضادّ في الألفاظ أو المعاني ، و عدّ التّطوّر الدّلاليّ سببا من أسباب حدوث التّضادّ ، إذ إنّ تطوّر دلالة الألفاظ يؤدّي إلى احتمال وقوع الألفاظ المتضادّة و المعاني المتضادّة ، أمّا بالنّسبة للتّطوّر الصّوتيّ ، فقد تتطوّر أصوات أحد اللّفظين بصورة تجعلها تنطبق على الأخرى تماما ، فيبدو الأمر كما لو كانت كلمة واحدة لها معنيان متضادّان [2]، و مثال ذلك " **نمق**" و "**لَمَق**" اللّذان أصبحا ينطقان على صورة واحدة و هي " **نمق** "، و دلالة " **نمق** " هي الكتابة ، و " **لَمَق**" هي المحو ، و أصبح " **نمق**" يطلق على الكتابة ومحوها . [3]

1) – ينظر: عودة خليل أبو عودة ، التّطوّر الدّلالي في لغة الشّعر و القرآن الكريم ، ص 58 ، علي عبد الواحد وافي ، فقه اللّغة ، ص 167.

2) – ينظر: رمضان عبد التّوّاب ، رمضان عبد التّوّاب ، فصول في فقه العربيّة ، مكتبة الخانجي للطّباعة و النّشر و التّوزيع ، القاهرة ، ط 6، 1420هـ - 1999م ، ص 351 .

3) – ينظر: الأنباري ، الأضداد ، ص 35 ، السّيوطي ، المزهر في علوم اللّغة و أنواعها ، ج1 ، ص 396.

المحاضرة الثّالثة عشرة :: العلاقة بين الدّوال و المدلولات

المحاضرة الثّالثة عشرة : العلاقة بين الدّوال و المدلولات

توطئة :

تتكوّن اللّغة في مجملها من عنصرين رئيسين ؛ هما اللّفظ و المعنى ، فاللّفظ بصورة عامّة هو الدّالّ و المعنى هو المدلول ، فقد يكون الدّال واحدا و المدلولات متعدّدة ، و قد يكون الدّال واحدا أيضا و المدلولات تحمل في ثناياها معاني متضادّة ، و قد يكون الدّال متعدّدا و المدلولات واحدة ، فعلاقة اللّفظ بالمعنى أو الدّال بالمدلول تتشكّل ضمن هذه العلاقات ، فهل هذه العلاقة الموجودة بين اللّفظ و المعنى أو الدّالّ و المدلول هي علاقة طبيعيّة و ضروريّة ، بحيث إنّ كلّ دالّ يفيد مدلولا معيّنا ؟ ، أم أنّ هذه العلاقة اعتباطيّة ، و ليس شرطا أن يرتبط دالّ بمدلول معيّن ؟

و في ضوء هذا الطّرح ، فإنّه سيتمّ مناقشة هذا الموضوع على هذا النّحو : موقف الهنود من العلاقة بين الدّال بالمدلول ، موقف اليونانيين من هذه العلاقة ، موقف اللّغويين العرب القدماء من هذه العلاقة ، موقف اللّغويين المحدثين من هذه العلاقة .

أوّلا : موقف الهنود من العلاقة بين الدّال والمدلول :

اهتم اللّغويون قديما وحديثا بظاهرة علاقة الدّال بالمدلول ، و لم يقتصر القول فيها على العرب وحدهم بل إنّ هذه الظّاهرة مثّلت اهتمام الهنود و اليونانيين ، و إن كانت هذه الظّاهرة استرعت اهتمام الهنود قبل أن تسترعي اهتمام اليونانيين [1] ، و قد ذهب الهنود في إثبات هذه العلاقة و نفيها مذاهب متعدّدة :

1) - ينظر: أحمد مختار عمر، البحث اللّغويّ عند الهنود و أثره على اللّغويين العرب ، دار الثّقافة ، بيروت ، لبنان ، 1972م ، ص 101 ، أحمد مختار عمر، علم الدّلالة ، ص 18 .

أ-المذهب الأوّل : يرفض فكرة التّباين بين اللّفظ و المعنى ، قائلا : إنّ كلّ شيء يُتصوّر مقترنا بالوحدة الكلاميّة الخاصّة به أو الدّالّة عليه ، و لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر ، و على هذا فنحن نعتبر الكلمة عنصرا من العناصر المكوّنة للشّيء تماما ، كما نعتبر الطّين السّبب المادّي أو الرّئيسي لكلّ المواد التّرابيّة ، فكما أنّ تصوّر الطّين مشترك في كلّ إدراكات الأشياء التي يُعرف أنّها معمولة من الطّين ، مثل: الإناء و الصّحن و القدر و نحوها ، فكذلك تصوُّر الوحدة الكلاميّة . "

ب -المذهب الثّاني : يصرّح بأنّ العلاقة بين اللّفظ ومعناه علاقة قديمة و فطريّة أو طبيعيّة ، و ربّما كان أصحاب هذا الرّأي هم الذين يرون أنّ النّشأة الأولى للّغة قامت على أساس محاكاة الأصوات الموجودة في الطّبيعة .

ج-المذهب الثّالث : يرى أنّ العلاقة بين اللّفظ و المعنى علاقة ضروريّة ، و هي شبيهة بالعلاقة اللّزوميّة بين النّار و الدّخان ، و قد تنتفي هذه العلاقة في بعض الأحيان ، ككلمة البقرة مثلا ، التي لا وجود لصلة بين لفظها و معناها ، و هي علاقة اصطلاحيّة أو عرفيّة .

د-المذهب الرّابع : يرفض وجود العلاقة بين الألفاظ و المعاني ، كما ينكر وجود العلاقة الطّبيعيّة بينهما و يعتبر أنّ أيّ محاولة من هذا النّوع تعسّفا وتجاوزا للحدّ المعقول ، كما يرى أنّ الصّلة بينهما مجرّد علاقة حادثة مرتجلة ، ولكن طبقا لإرادة إلهيّة . [1]

ثانيا: موقف اليونانيين من العلاقة بين الدّالّ و المدلول :

1) - ينظر: أحمد مختار عمر، البحث اللّغويّ عند الهنود ، ص 102..104 ، أحمد مختار عمر، علم الدّلالة ، ص 18-19 .

انقسم اليونانيون في حديثهم عن موضوع العلاقة بين الدّوال و المدلولات فريقين أيضا :

أ- **الفريق الأوّل :** يرى بأنّ الصّلة بين اللّفظ و مدلوله طبيعيّة ، ذاتية ، و قد كانت تلك الصّلة واضحة سهلة التّفسير في بدء نشأتها ، ثمّ تطوّرت الألفاظ ، و لم يعد من اليسير توضيح تلك الصّلة أو إيجاد تعليل أو تفسير لها ، و يلحظ هذا الاتّجاه في التّفكير فيما يبديه أفلاطون في محاوراته عن أستاذه سقراط .

ب – **الفريق الثّاني :** يرى بعدم وجود الصّلة الطبيعيّة بين الدّوال و مدلولاتها ، و أنّ هذه الصّلة لا تعدو أن تكون عرفيّة اصطلاحيّة تواضع عليها النّاس ، و يمثّل هذا الفريق أرسطو . [1]

ثالثا: موقف علماء اللّغة العرب القدماء من العلاقة بين الدّال و المدلول :

تحدّث علماء اللّغة العربيّة القدماء أيضا عن العلاقة بين اللّفظ و المعنى أو ما يطلق عليه في الدّراسات الحديثة بالعلاقة بين الدّال و المدلول ، و انقسموا أيضا فريقين ، و سنختصر استشهادنا في هذا المقام على أكثر اللّغويين إسهاما في الحديث عن هذه العلاقة ، و فيما يلي توضيح لأهمّ آرائهم :

أ – **الفريق الأوّل :** يرى هذا الفريق بالعلاقة الطبيعيّة الذاتيّة بين الألفاظ و مدلولاتها ، فمتى ذُكر اللّفظ فُهم المعنى ، و أشهر من عرف عنهم هذا الرّأي من مفكّريّ العرب **عبّاد بن سليمان الصّيمريّ المعتزليّ** ، إذ كان يرى أنّ بين اللّفظ و مدلوله مناسبة طبيعيّة حاملة للواضع على أن يضع ، و إلاّ كان تخصيص الاسم المعيّن بالمسمّى المعيّن ترجيحا من غير مرجّحٍ [2] ، يقول السّيوطي : « و كان بعض من يرى رأيه ، يقول : إنّه يعرف مناسبة الألفاظ لمعانيها ، فسُئلَ ما مسمّى " **اذغاغ** " و هو بالفارسيّة الحجر ، فقال : أجد فيه

1) - ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدّلالة ، ص 18 ، إبراهيم أنيس ، دلالة الألفاظ ، ص 63

2) - ينظر: إبراهيم أنيس ، دلالة الألفاظ ، ص 64 .

يبسا شديدا و أراه الحجر » (1) ، فقد استنبط **الصّيمري** معنى كلمة " **اذغاغ**" انطلاقا ممّا توحي به من معنى ، و هو معنى مناسب للّفظ ، فإذا ذكر اللّفظ فهم المعنى ، نظرا لوجود مناسبة طبيعيّة بينهما ، و قد قوبل هذا الرّأي بالرّفض ، لأنّ المسألة نسبيّة ، إذ لا يمكن تعميمها على جميع الألفاظ ، يقول **السّيوطي** : « و أنكر الجمهور هذه المقالة ، و قال : لو ثبت ما قاله لاهتدى كلّ إنسان إلى كلّ لغة ، و لما صحّ وضع اللّفظ للضدّين ، كالقَرْءِ للحيض و الطّهر ، و الجَوْن للأبيض و الأسود .» [2] ، و يربط كثير من اللّغويين العرب في مؤلّفاتهم بين الألفاظ و مدلولاتها ربطا وثيقا يكاد يشبه الصّلة الطّبيعيّة أو الذّاتيّة اعتزازا بتلك الألفاظ العربيّة و إعجابا بها و حرصا على الكشف عن أسرارها [3] ، فقد أكّد **سيبويه** هذه الصّلة في بعض نصوصه ، يقول : « و من المصادر التي جاءت على مثال واحد حين تقاربت المعاني قولك : النَّزَوانُ و النَّقَزَانُ و القَفَزَانُ ، وإنّما هذه الأشياءُ في زعزعةِ البدن و اهتزازه في ارتفاعٍ ، و مثلُه : العَسَلانُ و الرَّتكانُ ....ومثلُ هذا الغَلَيَانُ ؛ لأنّه زعزعةٌ وتحرّكٌ ، ومثلُه الغَثَيانُ ، لأنّه تجَيُّشُ نَفسِه و تثوُّرٌ ، ومثله الخَطرانُ و اللّمعانُ ، لأنّ هذا اضطراب و تحرّكٌ ... » [4] ، **فسيبويه** يؤكّد في هذا النّصّ مسألة مناسبة الأبنية لمعانيها ، فالألفاظ التي وردت على بناء " **فَعَلان**" دلّت على معنى واحد و هو الاضطراب و الحركة ، و اشتراكها في بناء واحد أدّى إلى الاشتراك في دلالاتها أيضا .

أمّا **ابن جنّي** ، فقد أسهب في تأكيد هذه العلاقة ، إذ مثّل لها بأمثلة كثيرة ، و ذلك في أبواب عدّة من كتابه ، أهمّها :

---

1) - السّيوطي ، المزهر في علوم اللّغة و أنواعها ، ج 1 ، ص 47 ، إبراهيم أنيس ، دلالة الألفاظ ، ص 64 .
2) - السّيوطي ، المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 48 .
3) - ينظر : إبراهيم أنيس ، دلالة الألفاظ ، ص 64 .
4) - سيبويه ، الكتاب ، ج4 ، ص 14 .

1- باب في تلاقي المعاني على اختلاف الأصول و المباني : إذ تحدّث فيه عن الكلمات المترادفة ، فالمعنى الواحد له أسماء كثيرة ، و السّبب في ذلك يعود إلى أنّ أصل كلّ اسم منها يحيل إلى معنى و ذلك المعنى يحيل إلى معنى صاحبه ، أي أنّها تشترك في أصل المعنى ، و من مثل ذلك كلمات الطّبيعة و الغريزة و الضّريبة التي تشترك في المعنى نفسه ، بسبب علاقة أصل معناها بالمعنى الذي تحيل إليه ، فكلّها تشترك في أصل واحد و هو ثبات الصّورة ، فالطّبيعة من طبعت الشّيء أي قرّرته على أمر ثَبُت عليه كما يُطبع الشّيء كالدّرهم و الدّينار ، فتلزمه أشكاله فلا يمكنه انصرافه عنها و لا انتقاله ، و الغريزة من غَرزت ، و قد قيل لها طبيعة ، لأنّ طبْعَ الدّرهم و نحوهِ ضربٌ من وَسْمه و تغريزه بالآلة التي تُثبتُ عليه الصّورة ، و الضّريبة ، و ذلك أنّ الطّبعَ لا بدّ معه من الضّرب لتثبت له الصّورة المُرادةُ . [1]

2- باب تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني : حيث قسّم هذا التّصاقب إلى ثلاثة أقسام ، و كلّها تؤدّي إلى التّقارب في المعنى ، و هي :

أ-التّصاقب في أصل الكلمات ، و منها تصاقب الأصلين الثّلاثيين ، مثل **ضَيْطار** و **ضَيّاط** ، فكلاهما من أصل ثلاثيّ ، فالأوّل من (ض ط ر) ، و الثّاني من (ض ي ط) ، ممّا أدّى إلى اشتراكهما في المعنى ، و هو معنى الضّخم الجَنبين العظيم الاِسْت . [2]

ب- التّصاقب في تقليب الأصول (التّقديم و التّأخير) ، مثل : (ك ل م) و (ك م ل) و (م ك ل) أدّى إلى اشتراكها في المعنى .

---

1) - ابن جنّي ، الخصائص ، ج 2 ، ص ، 113 - 114 .

2) - ينظر: ابن منظور ، لسان العرب ، م 4 ، ج 29 ، ص 2586 ، مادّة(ض ط ر) ، ص 2624 ، مادّة (ض ي ط) .

ب-التّصاقب في مخارج الحروف ، فتقارب مخارج الحروف يؤدّي إلى تقاربها في المعنى ، مثل : تقارب مخرجيّ الهمزة و الهاء في كلمتيّ الأزّ و الهزّ أدّى إلى تقاربهما في المعنى . [1].

3- " باب إمساس الألفاظ أشباه المعاني "، حيث وضّح فيه مناسبة الألفاظ لمعانيها ، إذ جعل هذه المناسبة بين البناء و معناه ، و بين الصّوت و حدثه ، و بين الصّوت و معناه ، فمن أمثلة المناسبة بين البناء و معناه يذكر أنّ صيغة " **الفَعَلان** " تفيد الاضطراب و الحركة ، مثل: **الغَليان** و **الفَوران** ، و **النَّقزَانُ** [2] و **الغثَيان** ، و صيغة " **فَعْللة** " تفيد التّكرير ، مثل : **الزَّعْزعَة** ، و **القَلْقَلة** ، و **الصَّلْصَلة** ، و **القَعقعة** و غيرها ، و صيغة " **الفَعَلى** " تفيد السّرعة ، نحو: **البَشَكَى** [3] ، و **الجَمَزى** [4] ، و **الوَلَقَى** [5] [6]، إضافة إلى ذلك ، فإنّ هذه المناسبة تتجلّى أيضا في كون أنّ المصادر التي ترد على بناء واحد تشترك في المعنى ، فالاشتراك في المبنى يؤدّي إلى الاشتراك في المعنى ، أمّا عن مناسبة الحروف لصوت الحدث و مناسبة الصّوت للمعنى ، فيمكن إجمالها في هذه النّصوص ، حيث يقول : « فأمّا مقابلةُ الألفاظِ بما يُشَاكِلُ أصواتَها من الأحداثِ فبابٌ عظيمٌ واسعٌ ونهجٌ متلئِبٌّ عند عارفيه مأمومٌ ، وذلك أنَّهم كثيرا ما يجعلون أصواتَ الحروفِ على سَمْتِ الأحداثِ المعبَّرِ بها عنها ، فيعدّلونَها بها و يحتذونَها عليها ، و ذلك أكثرُ

---

1) - ينظر: ابن جنّي ، الخصائص ، ج 2 ، ص 145...152

2) – النَّقَزُ و النّقَزَانُ : كالوثَبَانِ صُعُدًا في مكانٍ واحِدٍ ، و نقَزَ : وثَبَ صُعُدًا ، ينظر لسان العرب ، م 6، ج 50 ، ص 4521 ، مادّة (نقز) .

3) - البَشْكُ في السَّيرِ : سُرعةُ نقلِ القوائمِ ، و امْرَأةٌ بَشَكَى اليدين و بشَكَى العمَلِ : خفيفةُ اليَدَينِ في العملِ سَريعَتُهمَا و ناقةٌ بَشَكَى : خفيفةُ المشيِ و الرَّوْحِ ، و قد بشَكَتْ ، أي : أسرعتْ ، تَبشُكُ بَشْكًا ، ينظر : لسان العرب ، م 1 ، ج 4 ، ص 290 ، مادّة (بشك) .

4) - جَمَز : أي : أَسْرَعَ هاربًا من القَتْلِ ، و قيل : حمارٌ وثّابٌ سريعٌ ، ينظر لسان العرب ، م 1، ج 8 ، ص 677 ، مادّة (جمز)

5) - الوَلْقُ : السَّيرُ السَّهْلُ السَّريعُ ، و يقال : جَاءتِ الإبِلُ تَلِقُ ، أي : تُسْرِعُ ، و وَلَقَ في سَيرِهِ وَلْقًا : أسْرَعَ ، و ناقةٌ وَلَقَى : سَرِيعَةٌ ، ينظر لسان العرب ، م6 ، ج 54 ، ص 4918 ، مادّة (ولق) .

6) - ينظر: ابن جنّي ، الخصائص ، ج2 ، ص 152-153 .

ممَّا نُقَدّرُه و أضعافُ ما نستشعِرُه ، من ذلك قولهم خَضم و قَضم ، فالخَضْمُ لأكل الرَّطْبِ ؛ كالبِطِّيخِ و القِثَّاءِ ، و ما كان نحوَهُمَا من المأكولِ الرَّطْبِ ، و القَضْمُ للصُّلبِ اليابس ، نحو : قضِمَتِ الدَّابةُ شعيرَها ونحو ذلك ...فاختاروا الخاءَ لرخاوتِها للرَّطْبِ و القافَ لصلابتِها لليابس حذوًا لمسموع الأصواتِ على محسوسِ الأحداثِ ..... » [1] ، و في نصّ آخر ، يقول : « فإنّ كثيرا من هذه اللّغة وجدته مضاهيا بأجراس حروفه أصوات الأفعال التي عبّر بها عنها ، ألا تراهم قالوا " قضم " في اليابس ، و خضم " في الرَّطْبِ ، و ذلك لقوّة القاف و ضعف الخاء ، فجعلوا الصّوتَ الأقوى للفعل الأقوى و الصّوتَ الأضعفَ للفعل الأضعفِ . » [2]

و في نصّ آخر ، يقول أيضا : « ومن ذلك قولهم : صعِدَ و سعِدَ، فجعلوا الصّاد؛ لأنّها أقوى لما فيه أثر مشَاهدٌ يُرى ، و هو الصُّعود في الجبلِ و الحائطِ و نحو ذلك ، و جعلوا السّين لضَعْفِهَا لما لا يَظهرُ ، و لا يُشاهدُ حِسًّا ....فجعلوا الصّادَ لقوّتها مع ما يُشَاهدُ من الأفعال المعالجَة المتجشَّمةِ و جعلوا السِّينَ لضَعفها فيما تعرفُه النّفسُ ، و إنْ لم ترهُ العينُ ... » [3]

فالمتبيّن من هذه النّصوص أنّه قرن كلّ حدث بما يناسبه من صوت " فـ " خضم " جعلت للدّلالة على أكل الرّطب ، وقد توافق معناها مع صفتي الرّخاوة و الهمس المميّزتين لصوت الخاء ، و " قضم " جعلت للدّلالة على أكل اليابس ، و قد توافق معناها مع صفتي الشّدّة و الجهر المميّزتين لصوت القاف ، و كذلك الأمر بالنّسبة لصوتي الصّاد و السّين ، فهما مناسبان للحدثين المعبّرين عنهما ، فالصّاد جعلت للدّلالة على الصّعود إلى الجبل و قد توافق معناها مع صفات الإطباق و الاستعلاء و التّفخيم المميّزة لها ، و هي صفات

1) - ابن جنّي ، الخصائص ، ج2 ، ص 157-158 .
2) – ابن جني ، المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 65 . .
3) - ابن جنّي ، المصدر نفسه ، ج2 ، ص 161 .

تحيل إلى معنى القوّة ، و السّين جعلت للدّلالة على ما تعرفه النّفس من أحاسيس لا تُرى بالعين ، و قد توافق معناها مع صفات الهمس و الرّقة و الانفتاح و الاستفال المميّزة لها ، و هي صفات تحيل إلى معنى الضعف، و بذلك يكون الصّدّ أقوى من السّدّ ، إذ خصّص الصّدّ للجبل و نحوه ، و خصّص السّدّ للباب ، و ثقب الكُوز و رأس القارورة و نحوهما ، فكلّ مناسب لما وضع له .

و قد صنّف أيضا **ابن فارس** معجمه مقاييس اللّغة ، و تلمّس فيه الصّلات التي تربط بين الألفاظ و مدلولاتها ، معتمدا على الكلمات التي تشترك في أصولها سواء أكانت ثنائية أم ثلاثيّة مع ذكر تقلّباتها .[1]

ب- الفريق الثّاني : يرى هذا الفريق على عكس ما ذهب إليه الفريق الأوّل أنّ العلاقة بين اللّفظ ومدلوله علاقة عرفيّة اصطلاحيّة ، و من أبرز علماء اللّغة الذين حاولوا تأكيد هذه العلاقة العرفيّة **عبد القاهر الجرجاني(ت 471هـ أو 474هـ)** ، حيث يقول في أحد نصوصه : « و ذلك أنّ "نظم الحروف " هو توالها في النّطق ، و ليس نظمها بمقتضى عن معنى ....فلو أنّ واضع اللّغة كان قد قال " ربض" مكان " ضرب " لما كان في ذلك ما يؤدّي إلى فساد . » [2] ، و في هذا النّصّ إشارة واضحة إلى عدم ارتباط لفظ ما بمدلول معيّن ، و إنّما هذا الارتباط منشأه العلاقة الاصطلاحيّة ، إذ لو أنّ واضع اللّغة اختار فيما سبق وضع اللّفظ نفسه لمدلول آخر لارتبط بذلك المدلول دون لبس .

خامسا : موقف اللّغويين المحدثين من العلاقة بين الدّال والمدلول :

مثّلت مسألة علاقة الدّوال بالمدلولات اهتمام اللّغويين المحدثين العرب و الغربيين على حدّ سواء ، و فيما يلي توضيح لبعض آرائهم :

---

1) - ينظر: إبراهيم أنيس ، دلالة الألفاظ ، ص 67 .

2) - الجرجاني ، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرّحمن بن محمّد (ت 471هـ أو 474هـ) ، دلائل الإعجاز ، قرأه و علّق عليه أبو فهر محمود محمّد شاكر ، مكتبة الخانجي ، مطبعة المدني ، ص 49 .

أ-آراء اللّغويين الغربيين :

ظلّ الدّارسون في الجامعات الأوروبيّة ينتصرون لفكرة الصّلة بين الأصوات و المدلولات حتّى أواخر القرن التّاسع عشر ، و من بين هؤلاء ، **ألكسندر همبلت (ت 1835م)** ، إذ كان يؤكّد وجود هذه العلاقة و إن كان يرى أنّها تبدو أحيانا غامضة و ذلك بسبب تطوّر أصوات الكلمات و دلالاتها . [1] ، و لم تلق هذه الفكرة قبولا من قبل بعض معاصريه ، و من بينهم " **مدفيج " (ت 1842م)** الذي يرى بأنّ كثيرا من الكلمات التي لا تتّضح فيها هذه الصّلة . [2]، أمّا **جسبرسن** فيؤكّد هو الآخر العلاقة بين الألفاظ و دلالاتها ، لكنّه يحذّر من المغالاة فيها ، إذ إنّ هذه العلاقة لا تكاد تطّرد في لغة من اللّغات ، و أنّ بعض الكلمات تفقد هذه الصّلة على مرّ الأيّام ، في حين تتّضح هذه العلاقة في بعض الكلمات بعدما كانت لا تلحظ فيها ، و على هذا الأساس يوضّح بعض الأمثلة التي يلحظ فيها و ضوح الصّلة بين الألفاظ و دلالاتها ، منها :

أ-الألفاظ التي تعدّ بمثابة الصّدى لأصوات الطّبيعة ، أو ما يعرف بـ **Onomatoopeia** ، و هي ظاهرة واضحة في كلّ اللّغات ، و من أمثلتها في العربيّة : الحفيف و الخرير و الزّفير و غيرها .

ب-الألفاظ التي تعبّر عن الصّوت الطّبيعيّ ، قد تنتقل و تصبح معبّرة عن مصدر هذا الصّوت ، و من أمثلة ذلك أنّ **الصّفع** كلمة بدأت فيما يبدو بمثابة صدى لوقع اليد على الوجه .

ج-ترتبط الألفاظ بدلالاتها في بعض الحالات النّفسيّة ،كالكلمات التي تعبّر عن الغضب و النّفور و الكره ، كما ترتبط بحجم الأشياء أو أبعادها ، فقد لوحظ أنّ " الكسرة " وما يتفرّع عنها من "ياء المدّ "

---

1) - ينظر: إبراهيم أنيس ، من أسرار اللّغة ، مكتبة الأنجلو المصريّة ، ط6 ، 1978 م ، ص 128- 129 ، دلالة الألفاظ ، ص68 .

2) - ينظر: إبراهيم أنيس ، من أسرار اللّغة ، ص 129، دلالة الألفاظ ، ص68 .

ترمز في كثير من اللّغات إلى صغر الحجم ، أو قرب المسافة ، ففي العربيّة مثلا نجد أنّ الياء هي علامة التّصغير ، و أنّ الكسرة علامة التّأنيث . [1]

د-تتّضح هذه العلاقة أيضا في أنّ الزّيادة في المبنى دليل على الزّيادة في المعنى ، فكسر و كسّر فعلان وردا على صيغتين مختلفتين ، و هذا الاختلاف أدّى إلى الاختلاف في دلالتهما ، فالتّضعيف في الصّيغة زاد في دلالتها . [2]

أمّا في القرن العشرين ، فقد تغيّرت النّظرة إلى هذه العلاقة ، بل أخذت مسارا مغايرا لما كانت عليه من قبل ، إذ رأى اللّغويون بأنّ العلاقة بين الدّالّ و المدلول علاقة اعتباطيّة ، و كان زعيم هذه الرّؤية اللّغوي السّويسري **" فرديناند دي سوسير"** ، حيث يرى أنّ العلاقة التي تربط الدّال بالمدلول هي علاقة اعتباطيّة ، إذ لا ترتبط فكرة " الأخت " **" sister "** بأيّة علاقة داخليّة بتعاقب الأصوات s-o-r التي تقوم بوظيفة الدّال في اللّغة الفرنسيّة ، إذ يمكن التّعبير عن هذه الفكرة باستخدام أيّ تعاقب صوتيّ آخر [3] ، و قد تبنّى هذه الفكرة مجموعة من اللّغويين ، أبرزهم **"ستيفن أولمان"** ، حيث يقول : « و إذا ضيّقنا دائرة المشكلة ، ونظرنا إلى النّقطة الأساسيّة فيها ، قلنا أن نسأل : لماذا وكيف كانت الأصوات " تفّاحة " تعني هذا الشّيء بالذّات و لا تعني شيئا آخر ؟ أو لماذا و كيف تعني أيّ شيء على الإطلاق ؟ ، من الواضح أنّه ليست هناك علاقة طبيعيّة بين الصّيغة و المعنى في حالتنا هذه ، إذ إنّ المرء لا يعجز فقط عن إدراك كنه هذه العلاقة

1) - ينظر : إبراهيم أنيس ، دلالة الألفاظ ، ص70.

2) - ينظر : إبراهيم أنيس ، المرجع نفسه ، ص70.

3) - فردينان دي سوسور، علم اللّغة العام ، ترجمة يوئيل يوسف عزيز ، مراجعة النّصّ العربيّ مالك يوسف المطلبي ، سلسلة كتب شهريّة تصدر عن دار آفاق عربيّة ، بغداد ، 1985م ، ص86- 87 ، و ينظر أيضا :
Ferdinand de saussure, Cours de linguistique Générale, publié pare: Charle Bally et Albert sechehaye avec la collaboration de Albert riedlinger, payot , paris, 1971 , l'arbitraire du signe , p127.

، بل إنّه -على فرض وجود علاقة خفيّة هناك - ، لن ندري كيف يفسّر تنوّع الأسماء الموضوعة لهذا الشّيء نفسه ، و تباين هذه الأسماء في لغات مختلفة . » [1] ، و يذهب" **سابير** " هو الآخر مذهب القائلين بعدم وجود مناسبة طبيعيّة بين اللّفظ و مدلوله ، حيث يذكر أنّ تلك الكلمات التي تبدو أنّها تقليد للطّبيعة ، مثل : " **To caw** " ، " **To mew** "، " **Whipporwill** " ليست بأيّ معنى من المعاني أصواتا طبيعيّة أنتجها الإنسان ، إنّها من خلق العقل الإنسانيّ ، ومن تخيّله ، كأيّ شيءٍ أخر في اللّغة . [2]

ب-آراء اللّغويين العرب المحدثين :

انقسم اللّغويون العرب المحدثون في مسألة العلاقة بين اللّفظ و المعنى فريقين أيضا ، فريق يثبتها ، و فريق ينكرها ،متأثّرين في ذلك بآراء علماء العرب القدماء و الغربيين ، فمن اللّغويين المحدثين الذين يرون أنّ الصّلة بين الألفاظ ومدلولاتها صلة طبيعيّة ، **علي عبد الواحد وافي** ، إذ يرى أنّ بعض الأوزان في اللّغة العربيّة ترتبط بمعان خاصّة ، والألفاظ التي ترد على بناء واحد لها دلالات مشتركة . [3] ،

و قد أعجب **صبحي الصّالح** إعجابا شديدا بما ذهب إليه **ابن جنّي** من العلاقة بين اللّفظ و مدلوله ، يقول : « فقد أكّد هذا العالم الجليل المتأخّر إذن **[المتأخّر السّيوطي]** بعد استيعابه مؤلّفات اللّغويين السّابقين التي فقد منها الكثير أنّ أهل اللّغة بوجه عام و العربيّة بوجه خاصّ ، قد كانوا يُطبقون على ثبوت المناسبة الطّبيعيّة بين الألفاظ و المعاني ،و بذلك تلاق مع ابن جنّي على صعيد واحدٍ ، فكان لابدّ لنا من الاقتناع بهذه الظّاهرة اللّغويّة التي تعدّ فتحا مبينا في فقه اللّغات عامّة .» [4]

---

1) - ستيفن أولمان ، دور الكلمة في اللّغة ، ص 23-24 .

2) - ينظر: عبده الرّاجحي ، فقه اللّغة في الكتب العربيّة ، دار النّهضة العربيّة ، بيروت ، 1392هـ -1972م ، ص69.

3) - ينظر: علي عبد الواحد وافي ، فقه اللّغة ، نهضة مصر للطّباعة و النّشر و التّوزيع ، ط3 ، 2004م ، ص 166...171 .

4) – صبحي الصّالح ، دراسات في فقه اللّغة ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، 2009م ،ص 151.

.

و في موطن آخر يستفيض في الحديث عن المناسبة الطّبيعيّة بين الصّوت ومدلوله ، و يرى أنّ للحرف قيمة تعبيريّة موحيّة ، فيقول : « أمّا الذي نريد الآن بيانه ، فهو ما لاحظه علماؤنا من مناسبة حروف العربيّة لمعانيها ، و ما لمحوه في الحرف العربي من القيمة التّعبيريّة الموحيّة ، إذ لم يعنِهِمْ من كلّ حرف أنّه صوت ، و إنّما عناهم من صوت هذا الحرف أنّه معبّر عن غرض ، و أنّ الكلمة العربيّة مركّبة من هذه المادّ الصّوتيّة التي يمكن حلّ أجزائها إلى مجموعة من الأحرف الدّوال المعبّرة ، فكلّ حرف منها يستقلّ ببيان معنى خاصّ ، مادام يستقلّ بإحداث صوت معيّن ، و كلّ حرف له ظلّ و إشعاع ، إذ كان لكلّ حرف صدى و إيقاعٌ ... » [1] ، أي أنّ للصّوت في اللّغة العربيّة قيمة تعبيريّة مستوحاة من الصّوت نفسه ، فكلّ صوت له طبيعة تختلف عن الصّوت الآخر ، و لهذه الطّبيعة أثر في تحديد المعنى ، فالصّوت الأقوى يستعمل في التّعبير عن معنى القوّة ، و الصّوت الأضعف يستخدم في التّعبير عن معنى الضّعف.

و في الإطار نفسه ألحّ بعض المحدثين على غرار **صبحي الصّالح** على القيمة التّعبيريّة للصّوت التي تُستوحى من خصائص الصّوت نفسه ، **فمحمّد المبارك** من خلال عنوان أفرده لهذا الموضوع تحت مسمّى " القيمة التّعبيريّة للحرف الواحد في العربيّة " يرى أنّ للحرف قيمة دلاليّة و وظيفيّة في تكوين المعنى و تحديده ، و هي خاصيّة أظهر و أوضح في اللّغة العربيّة مقارنة مع اللّغات الأخرى . (2) ، و يمثّل لذلك بمجموعة من الأمثلة ، منها :

*حرف الغين في المواد الآتيّة و ما يتبعها و يشتقّ منها يدلّ على الاستتار و الغيبة و الخفاء ، نحو : غاب ، غار ، غاض ، غال ، غمد ، غمر ، غمز ، غمض ، غمط ....

*حرف النّون في المواد الآتيّة و المجموعات الآتيّة و تدلّ على الظّهور و البروز ، نحو : نفث ، نفخ ، نبت ، نزع ، نشأ ، نما ....

---

1) – صبحي الصالح ، دراسات في فقه اللّغة ، ص 142 . .

2) – ينظر: محمّد المبارك ، فقه اللّغة و خصائص العربيّة ، ص 101... 105 .

*حرف القاف في الأصول و المجموعات الآتيّة ، و تتضمّن معنى الاصطدام أو الانفصال ، و تقترن بحدوث صوت شديد تصوّره القاف في شدّتها ، نحو : قدّ ،، قطع ، ...

* حرف السّين في الأصول و المجموعات الآتيّة ، و تدلّ على اللّيونة و السهولة ، نحو : سهل ، سلم ، سلس ، سال ، سار ، ساح ، ساق ... [1]، و يؤكّد **إبراهيم أنيس** في أحد أقواله عدم وجود الصّلة بين الدّوال ومدلولاتها ، يقول : « و لا شكّ أنّ الذين ينكرون الصّلة بين الأصوات و المدلولات هم أقرب الفريقين إلى فهم الطّبيعة اللّغويّة ، فهم الذين يجرّدون الظّواهر اللّغويّة من كلّ غموض ، و لا يرون فيها أمورا سحريّة فوق المدارك و الأذهان ، كما يحاول القدماء أن يظهروها لنا » (2) ، و يقول في موطن آخر : « فالألفاظ لا تعدو في حقيقتها أن تكون بمثابة الرّموز عن الدّلالات ، كلّ لفظ يصلح أن يتّخذ للتّعبير عن أيّ معنى من المعاني ، فما يسمّى " بالشّجرة " يمكن أن يسمّى بأيّ لفظ متى اصطلح النّاس عليه و تواضعوا على استعماله ، فليس ما في لفظ " الشّجرة " ما يوحي بفروعها و جذورها و أوراقها وخضرتها (3)، و الذي لا يمكن إغفاله في هذا المقام هو أنّ **إبراهيم أنيس** يمكن أن يكون له رأيان في هذه المسألة ، ويستشّف هذا الأمر من خلال تصريحه في أحد نصوصه بعرفيّة العلاقة بين الألفاظ و دلالاتها ، و تصريحه في مواطن أخرى بمناسبة الألفاظ لمعانيها ، أي أنّه كان معتدلا في نظرته لهذه العلاقة ، يقول : « ونحن حين نتّخذ طريقا معتدلا بين هؤلاء و هؤلاء ندرك كلّ الإدراك أنّ في اللّغة معاني تتطلّب أصواتا خاصّة ، و أنّ هناك من المدلولات ما تسارع اللّغة للتّعبير عنه بألفاظ معيّنة ، و ربّما كان من العسير حصر تلك المجالات اللّغويّة التي نلحظ فيها وثوق الصّلة بين الأصوات و المدلولات . » [4] ، ويعدّ **تمّام حسّان** أيضا من الذين أكّدوا العلاقة العرفيّة بين الكلمة ومعناها ، لأنّ المسمّى الواحد تختلف أسماؤه من لغة إلى أخرى ، فالرّجل في العربيّة يقابله

---

1) – ينظر : محمّد المبارك ، المرجع السّابق ، ص 104 .

2) - إبراهيم أنيس ، من أسرار اللّغة ، ص 129 .

3) - إبراهيم أنيس ، دلالة الألفاظ ، ص 72 .

4) - إبراهيم أنيس ، من أسرار اللّغة ، ص 129 .

بالإنجليزيّة man ، و يقابله بالفرنسيّة l'homme، و هذا دليل على عرفيّة العلاقة .[1] ، كما يرى **عبده الرّاجحي** هو الآخر باعتباطيّة العلاقة بين اللّفظ ومدلوله ، و يتّضح ذلك من خلال تعليقه على رأي **ابن جنّي و صبحي الصّالح** ، حيث يقول : « غير أنّ اقتناع ابن جنّي بهذا الرّأي و إعجاب الدّكتور صبحي الصّالح به ، لا يمنع من التّأكيد على "أنّ أهل اللّغة بوجه عام " يُطْبقون على رفضه و يرون أنّه ليس هناك مناسبة بين اللّفظ و مدلوله و لا علاقة بين الرّمز و الشّيء الذي يرمز إليه ، فكلمة الرّجل" **The man"** ، و **"L'homme** و **" der mann"** " تدلّ على الرّجل في العربيّة و الإنجليزيّة و الفرنسيّة و الألمانيّة دون أن يكون هناك تناسب بين أيّ صوت من أصوات هذا الرّمز و بين المسمّى الذي يدلّ عليه ، بل إنّ التّعبيرات قد تكون صادرة عن انفعال معيّن ،كالتّعبير عن الجوع مثلا لا تحتوي على أيّة مناسبة بين اللّفظ و المدلول ، فأنت تقول في العربيّة " أنا جائع " و في الإنجليزيّة " Iam hungry " و في الفرنسيّة" jai faim " ، و في الألمانيّة" Es hungert mich " ، فأيّ هذه الأصوات دليل على الجوع . » (2)

و في ختام طرح أفكار الدّارسين و اللّغويين – قدماء و محدثين - حول مسألة علاقة الدّوال بمدلولاتها ، يمكن القول إنّه ينبغي علينا أن نقف موقف وسط من هذه القضيّة ، فممّا لا شكّ فيه أنّ الألفاظ تحمل في ثناياها خصائص تعبيريّة تجعلها ملائمة لمدلولاتها ، و على الرّغم من ذلك ، فلا يمكن المغالاة في هذه الفكرة إلى درجة تمجيدها و جعلها قانونا عامّا ، فكثير هي الألفاظ التي لا علاقة بين خصائصها و بين المعاني التي تحيل إليها ، و من ثمّة تفرض علينا التّسليم بفكرة الاعتباطيّة بين الدّوال ومدلولاتها ، لكن دون المبالغة فيها أيضا ، لأنّ نفي هذه العلاقة يعدّ إلغاءً للعلاقة الواضحة بين كثير من الألفاظ و مدلولاتها ، و إلغاءً لطبيعة اللّغة في حدّ ذاتها.

---

1) - ينظر: تمّام حسّان ، اللّغة العربيّة معناها ومبناها ، ص 318 .

2) - عبده الرّاجحي ، فقه اللّغة في الكتب العربيّة ، ص 68 -69.

المحاضرة الرّابعة عشرة : علاقة المشترك اللّفظيّ

المحاضرة الرّابعة عشر: علاقة المشترك اللّفظي

توطئة :

لو قيس منطق اللّغة بمنطق العقل لوجب أن يكون للّفظ الواحد سوى معنى واحد ، و ألاّ يكون للمعنى الواحد سوى لفظ واحد أيضا ، و لكن منطق اللّغة خاصّ نوعا ما في كثير من الأحيان و على قدر كبير من الغرابة ، و يظهر ذلك جليّا في مجال الألفاظ و دلالاتها ، حيث تجعل للّفظ الواحد أكثر من معنى ، و للمعنى الواحد أكثر من لفظ ، و على هذا الأساس فإنّه إذا اشتركت المعاني المتعدّدة في لفظ واحد سمّي ذلك اشتراكا ، و إذا تعدّدت الكلمات للمعنى الواحد سمّي ترادفا (1)، و سيتمّ التّعرّض في هذه المحاضرة إلى موضوع المشترك اللّفظيّ ، حيث سيتمّ مناقشة مجموعة من النّقاط، وهي : مفهوم المشترك اللّفظيّ ، موقف علماء اللّغة القدماء والمحدثين من الاشتراك، أمثلة تطبيقيّة عن المشترك اللّفظي ، أسباب وقوع الاشتراك ، أنواع المشترك اللّفظي .

أوّلا : مفهوم المشترك اللّفظيّ :

أ- لغة : المشترك اللّفظيّ مصدر ميميّ مصوغ من الفعل غير الثّلاثيّ " اشترك "، و مادّته المعجميّة (شرك) ، وهو بمعنى المشاركة ، يقول **ابن منظور :** « الشِّرْكَةُ والشَّرِكَةُ سَواءٌ : مُخالطَةُ الشَّريكين، يقال: اشْتَرَكْنا بمعنى: تَشارَكنا، وقد اشترك الرَّجُلان، وتَشارَكا وشارَك أَحدُهما الآخرَ... وشاركْتُ فُلانًا: صِرْتُ شريكَه، واشْتركنا وتَشَارَكْنا في كذا، وشَرِكْتُه في البيع والميراث... قال: ورأَيتُ فلانًا مُشْتَرَكًا، إذا كان يُحَدِّثُ نَفْسَه أنَّ رأْيَهُ مُشْتَرَكٌ ليسَ بواحدٍ . » (2)

1) - ينظر: محمّد الأنطاكي ، دراسات في فقه اللّغة ، ص 307 .

2) - ابن منظور ، لسان العرب ، م 4، ج 25 ، ص 2248، 2249 ، مادّة (شرك)

ب–اصطلاحا : أطلق المشترك اللّفظي في مفهومه العامّ على احتمال اللّفظة لمعنيين أو أكثر ، يقول **الشّريف الجرجاني (ت 816هـ)** : « ما وُضع لمعنى كثير بوضع كثير ؛ كالعين لاشتراكه بين المعاني . » (1) ، أمّا عند علماء الأصول ، فهو : « اللّفظ الواحد الدّال على معنيين مختلفين ، فأكثر دلالة على السّواء عند أهل تلك اللّغة » (2) ، أي أنَّ المعنيين متساويان عند الوضع لأوّل مرّة ، دون أن يكون معنى أولى من معنى آخر ، و لم يخرج تعريف المحدثين للمشترك اللّفظيّ عن هذا الإطار الذي رسمه له القدماء ، فقد عرّف بأنّه دلالة الكلمة الواحدة على أكثر من معنى واحد . (3) ، وهو تعدّد المعاني للّفظ الواحد . (4)

و يتبيّن من خلال المفهومين اللّغويّ و الاصطلاحيّ للمشترك اللّفظيّ أنّ هناك علاقة بين المفهومين ، فالمفهوم اللّغويّ يدور حول المشاركة و التّشارك و هو معنى يخدم المفهوم الاصطلاحيّ ، فالمشترك اللّفظيّ هو اشتراك معان متعدّدة في لفظ واحد .

و قد أطلق اللّغويون العرب القدماء عليه أكثر من تسمية ، و من التّسميات التي أطلقت عليه **" ما اتّفق لفظه و اختلف معناه "** (5)، و **" الوجوه "** ، و هي تسمية خاصّة بألفاظ المشترك اللّفظيّ في القرآن الكريم

---

1) – الشّريف الجرجاني ، علي بن محمّد السّيّد (ت 816هـ) ، معجم التّعريفات ، قاموس لمصطلحات و تعريفات علم الفقه و اللّغة و الفلسفة و المنطِق و التّصوّف و النّحو و الصّرف و العروض و البلاغة ، تحقيق و دراسة محمّد صدّيق المنشاوي ، دار الفضيلة ، القاهرة ، ص 180 .

2) - السّيوطي ، المزهر في علوم اللّغة و أنواعها ، ج 1 ، ص 369 .

3) - ينظر: إبراهيم أنيس ، في اللّهجات العربيّة ،ص 192 .

4) - ينظر: محمّد الأنطاكي ، محمّد الأنطاكي ، دراسات في فقه اللّغة ، دار الشّرق العربي ، بيروت ، ط 4 ، ص 307 .

5) - ينظر ، مثلا : ما اتّفق لفظه و اختلف معناه لأبي العَمَيْثَل الأعرابيّ ، ما اتّفق لفظه و اختلف معناه من القرآن المجيد للمبرَّد .

، و قد كانت تقترن بتسمية أخرى و هي " **النّظائر** " وهي تسمية خاصّة بالتّرادف (1) و كان **سيبويه** من الأوائل الذين أشاروا إلى هذه الظّاهرة ، وذلك في قوله : « اعلم أنّ من كلامهم اختلافَ اللّفظين لاختلاف المعنيين ، واختلافَ اللّفظين و المعنى واحدٌ ، و اتّفاقَ اللّفظين و اختلاف المعنيين ، فاختلاف اللّفظين لاختلاف المعنيين هو ، نحو : جلس و ذهَب ، و اختلاف اللّفظين و المعنى واحد ، نحو : ذهَب و انطلَق ، و اتّفاقَ اللّفظين و المعنى مختلِف ، نحو قولك : وجَدتُ عليه من المَوجِدَة و وجَدْت إذا أردت وِجْدانَ الضَّالّة، و أشباه هذا كثير . » [2] ، و تابعه **ابن قتيبة (ت 276هـ)** [3] ، و **ابن فارس** (4) ، و **الرّاغب الأصفهاني** (5) ، وغيرهم من اللّغويين الذين أكّدوا وجوده في العربيّة و إن كان هناك من اللّغويين القدماء الذين ضيّقوا مفهومه ، **كابن ابن دُرُسْتَوَيْه ، أبو محمد عبد الله بن جعفر (ت 330هـ)** (6) ، إذ عدّ بعض الألفاظ ليست من المشترك اللّفظي ، لأنّ معنى اللّفظ واحد و بقيّة المعاني الأخرى مجاز ، مثل: كلمة الهلال التي يعبّر بها عن هلال السّماء ، و عن حديدة الصّيد التي تشبه في شكلها الهلال ، و عن قلامة الظّفر التي تشبه

---

1) - ينظر ، مثلا : الوجوه و النّظائر في القرآن العظيم لمقاتل بن سليمان البلخي (ت 150هـ) ، تحقيق حاتم صالح الضّامن ، أو الوجوه و النّظائر في القرآن الكريم لمقاتل بن سليمان البلخي ، تحقيق سليمان بن صالح القرعاوي ، إصلاح الوجوه و النّظائر في القرآن الكريم لأبي عبد اللّه بن محمّد الدّامغاني (ت 487هـ) .

2) – سيبويه ، الكتاب ، ج 1 ، ص 24 .

3) - ابن قتيبة ، أبو محمّد عبد اللّه بن مسلم (ت 276هـ) ، تأويل مشكل القرآن ، شرحه و نشره السّيّد أحمد صقر ، المكتبة العلميّة ، 1393هـ - 1973م ، " باب اللّفظ الواحد للمعاني المختلفة " ص 439 .

4) - ابن فارس : الصّاحبي ، ص 114 .

5) - ينظر: الرّاغب الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ، ج2 ، ص 460...462 .

6) - ينظر ، إبراهيم أنيس دلالة الألفاظ ، ص 214، أحمد مختار عمر ، علم الدّلالة ، ص 156 ، محمّد الأنطاكي ، دراسات في فقه اللّغة ، ص 309.

في شكلها الهلال ، وعن هلال النّعل الذي يشبه في شكله الهلال ، فالمعنى واحد في كلّ هذا ، و بقيّة الاستعمالات الأخرى مجاز ، على أساس المشابهة في الشّكل ، فالمشترك اللّفظيّ الحقيقيّ يكون حين لا تلمح أيّ صلة بين المعنيين (1) ، إلاّ أنَّ الأكثريّة تذهب إلى أنّه شيء واقع في اللّغة ، و ذلك لأنّ المعاني غير متناهية و الألفاظ متناهية .(2)

أمّا المحدثون ، فقد أولوا عنايتهم الكبيرة أيضا بهذه الظّاهرة اللّغويّة التي تتميّز بها جلّ اللّغات ، لاسيما اللّغة العربيّة ، إذ لا يكاد يخلو كتاب لهم في فقه اللّغة أو علم اللّغة أو علم الدّلالة من تناوله لهذه الظّاهرة ، من حيث تحديد مفهومها و أسبابها و نتائجها و أنواعها و ذكر بعض الأمثلة التي تثبتها ، و قد انصبّ اهتمامهم أيضا على إبراز دور السّياق في تحديد دلالات الكلمات ، إذ عادة ما نجد المعاني المتوالية للكلمة الواحدة يكون مردّها إلى تعدّد السّياق الذي ترد فيه الكلمات ، و هنا يكمن الإشكال ؛ هل تصنّف هذه المعاني ضمن المشترك اللّفظيّ ، أم ضمن تعدّد المعنى ؟ إضافة إلى مناقشة مسألة المجاز التي لاقت أيضا اهتماما من قبلهم يطرح إشكالا آخر ، و هو هل تعدّد المعاني للكلمة الواحدة يعدّ مشتركا لفظيّا أم أنّ الكلمة لها معنى أصليّ و بقية المعاني الأخرى تعدّ مجازا ، و كيف يمكن التّفريق بين المعنى الحقيقيّ و المعنى المجازيّ في ضوء غموض الحدود التي تفصل بينهما ؟

ثانيا : أمثلة عن المشترك اللّفظيّ :

1/العَمُّ : و من معانيها :

أ-العَمُّ : أخو الأب .

1) - ينظر ، إبراهيم أنيس دلالة الألفاظ ، ص 214، أحمد مختار عمر ، علم الدّلالة ، ص 156-157 ، محمّد الأنطاكي ، دراسات في فقه اللّغة ، ص 309.

2) - ينظر: السّيوطي ، المزهر في علوم اللّغة ، ج 1 ، ص 369 .

ب-العَمُّ : الجمع الكثير.

2-النَّوَى : و من معانيها :

أ-النَّوى: الدّارُ ،

ب-النَّوى : النّيَّة ،

ج-النَّوى : البُعْدُ

3- الهِلالُ : ومن معانيها :

أ-الهِلالُ : هلال السّماء ،

ب-الهِلالُ: هلال الصّيد

ج-الهِلالُ: هلالُ النّعل ، و هو الذُّؤابَةُ .

د-الهِلالُ : القطعَةُ من الغبار

هـ -الهِلالُ : هلالُ الإصبع : المطيف بالظّفر.

و-الهِلالُ : باقي الماء في الحوض .

ز-الهلالُ : الجَمَلُ الذي قد أكثر الضِّراب حتى هزَلَ .

4--العَيْنُ : و ترد على معان منها :

أ-العَيْنُ : النَّقدُ من الدّراهم .

ب- العَيْنُ : مطر أيّام لا يُقلعُ .

ج- العَيْنُ : عين الإنسان التي ينظر بها .

د- العَيْنُ : عينُ البئر و هو مخرج مائها .

هـ-العَيْنُ : القناة التي تعمل حتّى يظهر ماؤها ....

د العَيْنُ : عَيْنُ الميزان و هو ألاّ يستوي .

و- العَيْنُ : عين الدّابّة و الرّجل و هو الرّجلُ نفسه .... .(1)

ومن أمثلة المشترك اللّفظيّ في القرآن الكريم :

1- الأُمَّةُ : و ترد على عدّة معان ، منها :

أ-الأمَّةُ : الصِّنفُ من النّاس و الجماعة ، كقوله تعالى : ﴿ **كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً** ﴾[**البقرة : 211**] ، أي : صنفا واحدا في الضّلال ، و قوله عزّو جلّ : ﴿ **إِلَّآ أُمَمٌ اَمْثَالُكُمْ** ﴾ [**الأنعام : 39**] ، **أي : أصناف.**

ب-الأمّةُ : الحين ، كقوله تعالى : ﴿ **وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ** ﴾[**يوسف : 45**]، و كقوله : ﴿ **وَلَئِنَ اَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ** ﴾[**هود : 8**]، أي سنين معدودة .

1) - ينظر: السّيوطي ، المزهر في علوم اللّغة ، ج 1 ، ص 371...375 .

ج-الأَمَّةُ : الإمام و الرّبّانيّ ، كقوله تعالى : ﴿ اِنَّ إِبْرٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِّلهِ حَنِيفاً ﴾[النّحل : 120]، أي : إماما يقتدي به النّاس و من تبعه أمّة .

د-الأُمَّةُ : جماعة العلماء ، كقوله جلّ و علا : **﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمُ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَي اَلْخَيْرِ ﴾[آل عمران: 104]، أي** يعلمون .

هـ-الأَمَّةُ : الدّين : ، قال تعالى : ﴿ بَلْ قَالُوٓاْإِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا على أُمَّةٍ ﴾[الزّخرف : 21]، أي : على دين .

(1)

2-<u>أَبٌّ :</u> و قد وردت في قوله تعالى : **﴿ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبّاً وَعِنَباً وَقَضْباً وَزَيْتُوناً وَنَخْلا وَحَدَآئِقَ غُلْباً وَفٰكِهَةً وَأَبّاً ﴾[عبس : 27-31]**، بمعان مختلفة ، وهي :

أ-أَبٌّ : ما ترعاه الأنعام من عشب و نبات .

ب-أَبٌّ : ما تنبت الأرض ممّا يأكل النّاس .

ج-أَبٌّ : التّين . (2)

ثالثا : أسباب وقوع المشترك اللّفظي :

عدّ المشترك اللّفظي صورة بارزة من صور التّطوّر اللّغويّ ، إذ لا يعقل أن يكون لفظ واحد قد وضع للعديد من المعاني ابتداء ،و قد أسهمت أسباب كثيرة في وقوعه ، و فيما يلي توضيح لأهمّها :

1) - ينظر: ابن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن ، 1973م ، ص 445-446 .

2) - ينظر: أحمد مختار عمر: الاشتراك و التّضاد في القرآن الكريم دراسة إحصائيّة ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط1 ، 1432هـ -2003م ، ص 17 .

***اختلاف اللّهجات** ، حيث تختلف القبائل في استعمال لفظ ما للدّلالة على معان مختلفة ، مثل : كلمة "السَّرحان" التي تعني الأسد في لهجة هذيل ، و الذّئب عند عامة العرب (1) .

***التّطوّر الصّوتي** : وهو تطوّر ينتج عنه اتّحاد لفظ مع آخر في الصّورة و إن كان يختلف معه في المدلول ، مثل : كلمة " **السَّغْب** " التي تحوّلت إلى " التَّغَب " ، وهو تطوّرٌ صوتيٌّ من السِّين إلى التَّاء أدّى إلى تحوُّلٍ دلاليٍّ من المعنى الأوَّلِ ، وهو " التَّعبُ مع الجوعِ " إلى معنى آخر و هو الوسخ و الدَّرَن و الهلاك في الدّين و الدّنيا ، ثمّ إلى معان أخرى ، و هي القحط و الجوع أيضا . (2) .

***تطوّر المعاني و تغيّرها مع احتفاظها بأصواتها** ، و هو عكس الحالة السّابقة ، ممّا يؤدّي إلى إنتاج كلمات تشترك في الصّورة و تختلف في المعنى ، فالكلمة توضع للدّلالة على معنى معيّن ، ثمّ تتطوّر دلالاتها بفعل عوامل و أسباب كثيرة ، داخليّة متعلّقة باللّغة في حدّ ذاتها ، و خارجيّة و تشمل الأسباب الاجتماعيّة و التّاريخيّة و النّفسيّة و غيرها ، و قد لوحظ من خلال الأمثلة السّابقة أنّ كلّ كلمة لها معنى أصليّ و قد تعدّ المعاني الأخرى متطوّرة عنها ، فالأمَّةُ مثلا ، أصل دلالتها هو الصِّنفُ من النّاس و الجماعة ، أمّا بقيّة المعاني الأخرى فقد تعدّ تطوّرا ، حيث يتجلّى هذا التّطوّر في مظاهر و أشكال ، منها التّعميم و التّخصيص و انتقال الدّلالة .

* **الاستعمال المجازي** ، وهو انتقال الكلمة من معناها الأصلي إلى معنى آخر مجازيّ ، مثل : كلمة " العَين " ومعناها الحاسّة المبصرة ، ثمّ انتقلت عن طريق المجاز إلى دلالتها على معان أخرى ، مثل : عين الجيش

1) - ينظر: أحمد مختار عمر: علم الدّلالة ، ص 159 .

2) – السّيوطي : المزهر في علوم اللّغة ،ج 1، ص 453 . و إبراهيم أنيس : دلالة الألفاظ ، ص 138 – 139 .

أو الجاسوس ، الذّهب في كونه أفضل الجواهر ، الأعيان أفاضل القوم ، منبع الماء ، الإصابة بالعين و الحسد ، النقد من الدراهم ، مطر أيّام لا يقلع ، عين الميزان .... إلخ (1) .

***الاستعارة من اللّغات الأخرى** ، و هو استعارة كلمة من لغة أخرى تماثل صورتها كلمة أخرى فيها ، و إن اختلف معناهما ، و من مثل ذلك كلمة " الحبّ" في العربيّة ، فهي بمعنى الوِداد ، و هو حبّ الشّيء ، و هي أيضا بمعنى الجَرَّة التي يجعل فيها الماء ، و المعنى الأوّل عربيّ أصيل ، أمّا المعنى الثّاني فيها فمستعار من الفارسيّة . (2)

رابعا : أنواع المشترك اللّفظي :

ميّز المحدثون بين أربعة أنواع من الاشتراك ، و هي :

1/ وجود معنى مركزيّ للّفظ تدور حوله عدّة معان فرعيّة أو هامشيّة ، فالمعنى المركزيّ هو المعنى الأساسي للكلمة ، و هو المعنى الذي تندرج تحته معان ثانويّة (جزئيّة) أخرى و المعنى الهامشي هو المعنى الإضافي للكلمة ، مثل : رأيت هلال اللّيلة ، فلان لا يبصر هلال حذائه ، و لا يقطع هلال أصابعه ، فالمعنى المركزي هو الهلال بشكله المعروف و البقيّة ذوات معان هامشيّة .

1) – ينظر: أبو العَمَيْثل الأعرابيّ (ت 240هـ) ، كتاب المأثور من اللّغة ، ما اتّفق لفظه و اختلف معناه ، تحقيق محمّد عبد القادر أحمد ، مكتبة النّهضة العربيّة ، القاهرة ، ط1 ، 1408هـ - 1988م ، ص 36 ، 63 ، الرّاغب الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ، ج2 ، ص 460...462 ، مادة (عين) ، السّيوطي ، المزهر في علوم اللّغة و أنواعها ، ج1 ، ص 372...375 .

2) – ينظر: رمضان عبد التّوّاب ، فصول في فقه العربيّة ، ص 331.

2/ تعدّد المعنى نتيجة لاستعمال اللّفظ في مواقف مختلفة ، مثل : كلمة الصّرف ، نحو: يحبّ طلبتنا علم النّحو و يكرهون دراسة علم الصّرف ، تهتمّ هيئات البلديّة بالصّرف كثيرا في برنامج هذه السّنة ، تكاد لا تخلو أيّ مدينة من سوق الصّرف هذه الأيام .

3/ دلالة الكلمة الواحدة على أكثر من معنى نتيجة لتطوّر في جانب المعنى ، و قد عدّ من باب تعدّد المعنى أو تغيّر المعنى لا من المشترك .

4/ و جود كلمتين يدلّ كلّ واحد منهما على معنى ، و قد اتّحدت صورة الكلمتين نتيجة تطوّر في جانب النّطق أو تشابه صوتي. [1]

1) – ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدّلالة ، ص 163.

المحاضرة الخامسة عشرة : علاقة التّرادف

المحاضرة الخامسة عشرة : علاقة التّرادف :

توطئة:

تعدّ ظاهرة التّرادف من الظّواهر اللّغويّة البارزة في معظم اللّغات، إذ لم تكن هذه الظّاهرة مقصورة على العربيّة وحدها دون سائر اللّغات ، بل إنّ الواقع المشاهد أنّ كلّ لغة تشتمل على بعض تلك الكلمات المترادفة .[1]

و اللّغة العربيّة من اللّغات التي برزت فيها هذه الظّاهرة بشكل لافت، بل إنّها صارت سمة لها لا تفارقها، و قد تنبّه إلى هذا الأمر علماء اللّغة القدماء، إذ أفردوا لها مصنّفات و أبوابا تتناول هذه الظّاهرة في شكلها النّظريّ و التّطبيقيّ معلّلين سبب وجود هذه الظّاهرة، و لم تخل أيضا كتب علماء اللّغة المحدثين من تناول هذه الظّاهرة، إذ لم يكتفوا فقط بإيراد الكلمات المترادفة، بل وسّعوا في طرح قضايا هذه الظّاهرة، متناولين إيّاها بمناهج حديثة .

و سيتمّ التّعرّض في هذه المحاضرة إلى مجموعة من النّقاط، أهمّها: مفهوم التّرادف، أمثلة توضيحيّة عن التّرادف ، موقف علماء اللّغة القدماء والمحدثين من التّرادف، أسباب وقوع التّرادف، أنواع التّرادف.

أوّلا : مفهوم التّرادف :

أ- لغة :

التَّرادُفُ في اللّغة مصدر قياسيّ مشتقّ من الفعل غير الثّلاثيّ " ترادَفَ " ومادّته المعجميّة " ردف "، و هو بمعنى التّتابع ، يقول **ابن منظور** : « ردف ، الرِّدْفُ : ما تبِعَ الشّيءُ ، و كلُّ شَيءٍ تبِعَ شَيْئًا ، فهو رِدْفُه ، و إذا تتابعَ شَيءٌ خَلْفَ شيءٍ ، فهو التَّرادُفُ ، و الجمع الرُّدَافى .....، و يقال جاءَ القومُ رُدافىَ ، أي بعضُهُمْ يتبَعُ بعضًا .....، و في حديث بدرٍ: "**فأمَدَّهُمْ اللهُ بِأَلْفٍ من المَلائكَةِ مُرْدِفِيْنَ** " ، أي مُتَتَابعين ، يَرْدَفُ بَعضُهُم

---

1) –إبراهيم أنيس ، في اللّهجات العربيّة ، ص 178 .

بعضًا ....، و ترَادفَ الشَّيءُ : تبِعَ بعضُه بعْضًا ، و التَّرادفُ : التَّتابُعُ ، ....،و أرْدَفَ الشَّيءَ بالشَّيءِ و أردَفَهُ عليه أتْبَعَهُ عليه ....، و ورَدِفَ الرَّجُلُ و أرْدَفَهُ : رَكِبَ خَلْفَهُ و ارتدَفَهُ خَلْفَهُ على الدَّابةِ ....،قال **الزّجّاج** : يقال : رَدِفْتُ الرَّجُلَ ، إذا رَكِبْتُ خلفَهُ و أرْدَفْتُهُ أرْكَبْتُهُ خَلْفِي ، ....، **الزّجّاج في قوله تعالى** : ﴿ **بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ** ﴾ ، معناه : يأتون فِرْقَةً بعد فِرْقةٍ ، و قال **الفرّاء** مُرْدِفينَ : متتابعينَ ، و قال مُرْدَفينَ فُعِلَ بِهِمْ ..... » [1] .

ب-اصطلاحا :

تعدّدت تعريفات علماء اللّغة القدماء و المحدثين حول مفهوم التّرادف لاختلافهم حول حقيقة هذه الظّاهرة اللّغويّة ، ومن أهمّ تعريفات القدماء ، ما ذكره **السّيوطي نقلا عن فخر الدّين الرّازي** ، في قوله « هو الألفاظ المفردة الدّالّة على شيء واحد باعتبارٍ واحدٍ ، قال : و احترزنا بالإفراد عن الاسم و الحدّ ، فليسا مترادفين ، و بوَحدة الاعتبار عن المتباينين ، كالسّيف و الصّارم ، فإنّهما دلاّ على شيءٍ واحدٍ ، لكن باعتبارين : أحدهما على الذّات و الآخر على الصّفة ، و الفرق بينه و بين التّوكيد أنّ أحد المترادفين يفيد_ما أفاده الآخر ، كالإنسان و البشر ، و في التّوكيد يفيد الثّاني تقوية الأوّل ، و الفرق بينه و بين التّابع أنّ التّابع وحده لا يفيد شيئا ، كقولنا : عَطْشَان ، نَطْشَان .... . » (2)

ويتبيّن لنا من هذا التّعريف أنّ **الرّازي** يعترف بالتّرادف ، غير أنّه يقيّده ببعض الاحترازات ، حيث يبعد جانبًا متّصلاً بالتّرادف ، كالاسم و مفهومه ، فهما ليسا مترادفين ، والسّيف والصّارم، فإنّهما دلاّ على شيء واحد لكن باعتبارين : أحدهما على الذّات والآخر على الصّفة ، والتّوكيد ، حيث يفيد الثّاني تقوية الأوّل، والتّابع الّذي لا يفيد شيئًا ، فهو من باب التّغيير الصّوتيّ ، كقولهم : عطْشَان نطْشَان .

---

1) – ينظر: ابن منظور ، لسان العرب ، م 3 ، ج 18 ، ص 1625 – 1626 ، مادّة (ردف) .

2) – السّيوطي ، المزهر في علوم اللّغة و أنواعها ، ج 1/ 402 – 403 .

و قال عنه **الشّريف الجرجاني** : « هو توالي الألفاظ المفردة الدّالّة على شيء واحد باعتبار واحد . » [1]

و يمكن أن نلحظ العلاقة الموجودة بين المعنى اللّغويّ للتّرادف و المعنى الاصطلاحيّ له ، ذلك أنّ المعنى اللّغويّ للتّرادف و الممثّل في التّتابع ، و هو المعنى المركزيّ له ، إضافة إلى بعض المعاني الأخرى المتجلّيّة في تتابُعِ شَيءٍ خَلْفَ شَيءٍ ، و الرُّكوب خلفَ الآخَرِ ، يتقاطع مع مفهومه الاصطلاحيّ الممثّل في تتابع الكلمات و توالها و دلالتها على معنى واحد في الوقت نفسه ، يقول **الشّريف الجرجاني** : « المترادف ما كان معناه واحدا و أسماؤه كثيرة ، و هو ضدّ المشترك أخذا من التّرادف الذي هو ركوب أحد خلف آخر ، كأنّ المعنى مركوب و اللّفظين راكبان عليه ، كاللّيث و الأسد . » (2)

و لم يكن تعريف المحدثين بعيدا عن تعريف القدماء ، فقد ذكروا أنّه عبارة عن ألفاظ متّحدة المعنى و قابلة للتّبادل فيما بينها ، في أيّ سياق [3] ، أو هو إطلاق عدّة ألفاظ على مدلول واحد . [4]

بيد أنّ بعض المحدثين جعلوا للتّرادف شروطا يجب توافرها ليُحكم بوجوده ، وهي : الاتّفاق في المعنى اتّفاقا تامّا ، و الاتّحاد في البيئة اللّغويّة و في العصر ، و ألاّ يكون في أحد اللّفظين تطوّر صوتيّ ،مثل : الجَثْل و الجَفْل بمعنى النّمل . [5]

---

1) – الشّريف الجرجاني ، معجم التّعريفات ، ص 50 .

2) – الشّريف الجرجاني ، المصدر نفسه ، ص 167.

3) – ستيفن أولمان ، دور الكلمة في اللّغة ، ص 97 ، رمضان عبد التّوّاب ، فصول في فقه العربيّة ، ص 309.

4) – أحمد مختار عمر ، علم الدّلالة ، ص 145 ، ستيفن أولمان ، دور الكلمة في اللّغة ، ص 97 ، محمّد الأنطاكي ، دراسات في فقه اللّغة ، ص 314 .

5) – ينظر ، رمضان عبد التوّاب ، فصول في فقه العربيّة ، ص 322 – 323 .

ثانيا : أمثلة عن التّرادف :

أ- فَصْلٌ : السُّرُوْرُ و الجَذَلُ :

-السُّرُوْرُ ، و الحُبُوْرُ ، و الجَذَلُ ، و الغِبْطَةُ ، و البَهَجُ ، و الفَرَحُ ، والارْتِيَاحُ ، و الاغْتِبَاطُ ، و الاسْتِبْشارُ.

ب- فَصْلٌ : مَدَحَهُ و أَطْرَاهُ :

-مَدَحَهُ ، و قرَّظَه ، وزَكَّاه ، ومجَّدَهُ .

ج-فَصْلٌ : أخْفَى و سَتَرَ:

-أَخْفَى ، و سَتَرَ ، و أَجَنَّ ، و أَكَنَّ ، وطَوَى ، و أَبْطَن ، و أَضَمَّ ، و غَطَّى ، و كَتَمَ ، و كَفَرَ ، و أَسَرَّ.

د-فَصْلٌ : الخَوْفُ والوَجَلُ :

-الخَوْفُ ، و الوَجَلُ ، و الذُّعْرُ ، و الرُّعْبُ ، و الرَّوْعُ ، و الفَزَعُ ، و النَّخَبُ ، و الخَشْيَةُ ، و الفَرَقُ ، و الوَجِيْبُ ، و الهَيْبَةُ ، و الوَهَلُ ، و الرَّجَاءُ ، و الإشْفَاقُ ، و الحِذْرُ. [1]

و من أمثلة ذلك في القرآن العظيم :

أ- فَضَّلَ ، آثَرَ

-قال تعالى : ﴿ قَالُواْ تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا ﴾ [يوسف : 91] ،﴿ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ [البقرة : 46]

---

1) – ينظر ، الرُّمَّاني ، أبو الحسن علي بن عيسى (ت 384هـ) ، الألفاظ المترادفة المتقاربة المعنى ، جقّقها ، و قدّم لها ، و علّق عليها فتح الله صالح علي المصري ، دار الوفاء للطّباعة و النّشر والتّوزيع ، المنصورة ، ط1 ، 1407هـ - 1987م ، ص 52 - 53 - 57--59 .

ب- حضر ، جاء

-قال تعالى : ﴿ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ [البقرة : 179] ، ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ ﴾ [المؤمنون : 100]

ج- بَعَثَ ، أَرْسَلَ :

-قال تعالى : ﴿ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا ﴾ [آل عمران : 164] ، ﴿ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾ [المؤمنون : 32]

د- أَقْسَمَ ، حَلَفَ :

-قال تعالى : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ﴾ [الأنعام : 110] ، ﴿ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ ﴾ [النّساء : 61] .[1]

ثالثا : موقف علماء اللّغة من التّرادف

1- موقف علماء اللّغة القدماء :

انقسم علماء اللّغة القدماء بشأن هذه الظّاهرة اللّغويّة إلى قسمين ؛ فريق يثبتها و فريق ينكرها ، و فيما يلي توضيح لذلك :

أ / مثبتو التّرادف : أكّد كثير من علماء اللّغة القدماء وجود ظاهرة التّرادف في اللّغة العربيّة ، و من بين المثبتين لها **سيبويه (ت 180هـ)** ، حيث قسّم علاقة الألفاظ بالمعاني إلى ثلاثة أقسام ، يقول : « اعلم أنّ من كلامهم اختلافَ اللّفظين لاختلاف المعنيين ، واختلافَ اللّفظين و المعنى واحدٌ ، و اتّفاقَ اللّفظين و اختلاف المعنيين ، فاختلاف اللّفظين لاختلاف المعنيين هو ، نحو : جلس و ذهَب ، و اختلاف

1) – ينظر ، إبراهيم أنيس ، في اللّهجات العربيّة ، ص 180 ، صبحي الصّالح ، دراسات في فقه اللّغة ، ص 299-300.

اللّفظين و المعنى واحد ، نحو : ذهَب و انطلَق ، و اتّفاقَ اللّفظين و المعنى مختلِف ، نحو قولك : وجَدتُ عليه من المَوجِدَة ، و وجَدْت إذا أردت وِجْدانَ الضَّالّة، و أشباه هذا كثير . » [1] ، و هذا التّقسيم الذي أشار إليه **سيبويه** ، هو ما يعرف بالمتباين و التّرادف و المشترك اللّفظي ، و هو تقسيم اعتمده علماء العربيّة بعده ، و جعلوه أساسا لتسميّة مصنّفاتهم ، و بعض أبواب مصنّفاتهم .

و لم يكتف **قطرب (ت 206هـ)** بالإشارة إلى ظاهرة التّرادف فقط ، بل حاول أن يعلّل و قوعها ، يقول : « ....و الوجه الثّاني : اختلاف اللّفظين و المعنى متّفق واحد ، وذلك مثل : عَيْر وحمار ، وذئب و سِيْد ، و سَمْسَم و ثعلب ، و أتى وجاء ، وجلس و قعد ، اللّفظان مختلفان و المعنى واحد ، و كأنّهم إنّما أرادوا باختلاف اللّفظين – و إن كان واحدا مجزيا –أن يوسّعوا في كلامهم و ألفاظهم ، كما زاحفوا [2] في أشعارهم ليتوسّعوا في أبنيتها و لا يلزموا أمرا واحدا . » [3]

و قد ألّف **الأصمعي (ت 217هـ)** أيضا كتابا أسماه **" ما اختلفت ألفاظه و اتّفقت معانيه "** ، يوضّح فيه الكلمات المترادفة ، يقول : « يُقال : طمح فلانٌ في السَّوْم ، إذا استسَام أكثر ممّا يساوي و تشحَّى في السَّوْمَ ، و أبْعَط ، و شَحطَ في السَّوْم ، كلُّ ذلك : تباعد ...و يُقالُ : قد كَثُر ولدُ فلانٍ ، و قد أَتَقَ و نَتَقَ ، و هو ناتِقٌ

---

1) – سيبويه ، الكتاب ، ج 1 ، ص 24 .

2) – زاحفوا : الزّحاف في الشّعر ، أن يسقط بين الحرفين حرف فيزحف أحدهما إلى الآخر و الشّعر مزاحف ، ينظر : ابن جنّي ، الخصائص ،ج 1 ، الهامش ، ص 400

3) – قطرب ، كتاب الأضداد ، ص 69 ، و ينظر أيضا : السّيوطي ، المزهر في علوم اللّغة و أنواعها ، ج 1 ، ص 401/400 .

، هذا كلُّه سَواءٌ ، و امْرأَةٌ ناتِقٌ ، إذا كثُر ولدُها .... » [1] ، كما أفرد **أبو عبيد (ت 224هـ)** جزءا من كتابه الغريب المصنّف لهذه الألفاظ أسماه " **كتاب الأسماء المختلفة للشّيء الواحد** " و عرض فيه للعديد من الكلمات المترادفة ، [2] ، و قد جعل **المبرّد (ت 286هـ)** تقسيم سيبويه من خصائص كلام العرب ، و مثّل لاختلاف اللّفظين و المعنى واحد بظننت وحسبت ، و قعدت و جلست ، و ذِراع و ساعد ، و أنف و مَرْسِن ، و ذلك في كتابه المسمّى " **ما اتّفق لفظه و اختلف معناه من القرآن المجيد** " [3]

كما عقد أيضا **كراع النّمل بن الحسن الهُنائي (310هـ)** في كتابه " **المنتخب** " أبوابا كثيرة عنى فيها بالمترادفات ، و من أمثلة ذلك ، " **باب الطّول** " ، و **باب " القصر"** ، حيث يقال للرَّجُل الطّويل : الشَّرْعَبُ ، و الشّوْقَبُ، و الصَّلْهبُ ، و الشّوْذنُ ، و الصَّقْعَبُ ، و الشّرْجَبُ ، و السّلْهَبُ ، و الجَسْرَبُ و السَّلِبُ ، و القَسِيْبُ ....و غيرها ، و يقال للرّجل القصير : الحَبْتَرُ ، و الجَيْدَرُ ، و البُهْتُرُ ، و البُحْتُرُ و الحَنْبَلُ ، و المُجَذَّرُ ، و الجَأْنَبُ ، و المُزَلَّمُ ، و المُتَآزِفُ .....و غيرها [4] ، كما عقد أيضا بابا بعنوان " **باب إعادة المعنى إذا**

---

1) – الأصمعي ، عبد الملك بن قريب (ت 217هـ) ، ما اختلفت ألفاظه و اتّفقت معانيه ، تحقيق و شرح و تعليق ماجد حسن الذّهبي ، دار الفكر للطّباعة و التّوزيع و النّشر ، دمشق ، سوريّة ، ط1 ، 1406 هـ 1986م ، ص 36-35 .

2) – ينظر: أبو عبيد القاسم بن سلاّم (ت 224هـ) ، الغريب المصنّف ، تحقيق محمّد المختار العبيدي ، دار مصر للطّباعة ، القاهرة ، ط3 ، 1416هـ - 1996م ، " كتاب الأسماء المختلفة للشّيء الواحد " ، ج 3 ، ص 711 .

3) – ينظر: المبرّد ، أبو العبّاس محمّد بن يزيد (ت 285هـ) ، ما اتّفق لفظه و اختلف معناه من القرآن المجيد ، عناية عبد العزيز الميمني الرّاجكوتي الأثريّ ، المطبعة السّلفيّة ومكتبتها ، القاهرة ، 1350هـ ، ص 2 .

4) – ينظر: كُراع النّمل ، أبو الحسن علي بن الحسن الهُنائي (ت 310هـ) ، المنتخَب من غريب كلام العرب ، تحقيق محمّد بن أحمد العُمريّ ، معهد البحوث العلميّة و إحياء التّراث الإسلاميّ ، مركز إحياء التّراث الإسلاميّ ، مكّة المكرّمة ، المملكة العربيّة السّعوديّة ، ط1 ، 1409هـ - 1989م ، " باب الطّول " و " باب القصر" ، ج 1 ص 164...160 .

اختلف اللّفظان " ، إذ ذكر فيه أيضا بعض الأمثلة عن المترادفات ، منها : قوله تعالى : ﴿ **لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجاً وَ لَآ أَمْتاً** ﴾ **[طه : 104]** ، و **الأمْتُ أيضا العِوَجُ** ، و **قوله عزّ و جلّ** أيضا : ﴿ **ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ** ﴾ **[المدثّر : 22]** ، و قوله **جلّ و علا** أيضا : ﴿ **قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيَ إِلَى ٱللَّهِ** ﴾ **[يوسف : 86]** [1]

و في خضمّ تناول **محمّد بن القاسم الأنباري (ت 328هـ)** الأضداد و المشترك اللّفظي يتعرّض أيضا لظاهرة التّرادف ، حيث يقول : « و أكثر كلامهم يأتي على ضربين آخرين ،أحدهما أن يقع اللّفظان المختلفان على المعنيين المختلفين ، كقولك : الرّجل و المرأة ، و الجمل و النّاقة ، و اليوم و اللّيلة ، و قام و قعد ، و تكلّم و سكت ، و هذا هو الكثير الذي لا يُحاط به ، و الضّرب الآخر أن يقع اللّفظان المختلفان على المعنى الواحد ، كقولك : البُرُّ و الحنْطةُ ، و العَيرُ و الحمارُ ، و الذّئبُ و السِّيدُ ، و جلس و قعد ، وذهب ومضى . » [2]

و يُذكر أنّ **ابن خالويه (ت 370هـ)** كان يفتخر بأنّه يحفظ للسّيف خمسين اسما [3] ، كما أنّه ألّف كتابا في **أسماء الأسد** و آخر في **أسماء الجنّة** ، وقد جمع في الأوّل خمسمائة اسم ، و في الثّاني مائتي اسم [4]

---

1) – ينظر: كُراع النّمل ، المنتخَب من غريب كلام العرب ، " باب إعادة المعنى إذا اختلف اللّفظان " ، ج 2 ، ص 622- 623 .

2) – الأنباري ، محمّد بن القاسم (ت 328هـ) ، كتاب الأضداد ، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصريّة ، صيدا ، بيروت ، 1407هـ - 1987 م ، ص 6-7 ، السّيوطي ، المزهر في علوم اللّغة و أنواعها ، ج 1 ، ص 399 .

3) – ينظر: السّيوطي ، المزهر في علوم اللّغة و أنواعها ، ج 1 ، ص 405 ، إبراهيم أنيس ، في اللّهجات العربيّة ، ص 176 ، أحمد مختار عمر ، علم الدّلالة ، ص 216-217 .

4) – ينظر: السّيوطي ، المزهر في علوم اللّغة و أنواعها ، ج 1 ، ص 407 ، أحمد مختار عمر ، علم الدّلالة ، ص 217 .

أمّا **ابن جنّي (ت 392هـ)** ،فقد تحدّث في كتابه الخصائص عن هذه الظّاهرة تحت عنوان " **باب في تلاقي المعاني على اختلاف الأصول و المباني** " ، و مثّل لها بالخليقة و السّجيّة و الطّبيعة و النَّحيتة و الغريزة و السّليقة و الضَّريبة و السّجيحة . [1]

و قد ألّف أيضا **الفيروزآبادي (ت 817هـ)** كتابا بعنوان " **الرّوض المسلوف فيما له اسمان إلى ألوف** " ، كما ألّف أيضا كتابا أسماه " **ترقيق الأسل لتصفيق العسل** " ، حيث أورد لها ثمانين اسما و مع ذلك لم يستوفها كلّها ، بل فاته منها اثنان ، **أوّلهما** الصَّرْخدِيّ الذي ذكره القالي في أماليه و **ثانيهما** السَّعابيب الذي ذكره الزّجّاج في أماليه أيضا . [2]

و الملاحظ على ما تمّ ذكره سابقا من مصنّفات للعلماء القدماء الذين يثبتون من خلالها وجود ظاهرة التّرادف في اللّغة العربيّة ، أنّ علماء اللّغة القدماء لم يستعملوا مصطلح التّرادف كعنوان لهذه المصنّفات أو أبوابها ، بل استعملوا تسميات أخرى لها ، و هي تشير في عناوينها إلى المفهوم العام للتّرادف وهو اختلاف اللّفظ و اتّفاق المعنى ، أمّا المؤلِّف الذي أشار بوضوح إلى التّرادف ، حيث جعله عنوانا صريحا لكتابه فهو كتاب " **الألفاظ المترادفة المتقاربة المعنى " لأبي الحسين علي بن عيسى الرّماني (ت 384هـ)** ، و قد اشتمل الكتاب على مائة و اثنين و أربعين فصلا ، كلّ فصل يندرج تحته عدد من الألفاظ المترادفة المتقاربة المعنى .

و قد عدّ أيضا **ابن فارس (ت 395هـ)** من أقدم من أطلقوا اسم التّرادف على هذه الظّاهرة ، وذلك في كتابه " الصّاحبي " [3]

---

1) – ينظر: ابن جنّي ، الخصائص ، ج 2 ، ص 113 - 118 ، أحمد مختار عمر، علم الدّلالة ، ص 215 .

2) – السّيوطي ، المزهر في علوم اللّغة ، ج 1 ، ص 407 ...409 ، أحمد مختار عمر، علم الدّلالة ، ص 217 .

3) – ابن فارس ، الصّاحبي،" الأسماء كيف تقع على المسمّيات " ، ص 114 . باب أجناس الكلام في الاتّفاق و الافتراق " ، ص 327 ، أحمد مختار عمر، علم الدّلالة ، ص 216 .

و يبدو أنّ مثبتيّ التّرادف كانوا فريقين ، فالفريق الأوّل وسّع في مفهوم التّرادف ، إذ لم يقيّد حدوثه بأيّ قيد ، و الفريق الثّاني يقيّد التّرادف و يضع له شروطا تحدّ من كثرة وقوعه [1] ، و يمثّل الفريق الأخير

الفخر الرّازي الذي كان يضع شروطا للتّرادف ، منها : قصر التّرادف على ما يتطابق فيه المعنيان دون أدنى تفاوت ، فليس من التّرادف عنده السّيف و الصّارم ؛ لأنّ في الثّاني زيادة في المعنى ، و منهم أيضا **الأصفهاني** الذي يضع هو الآخر شرطا للتّرادف و هو انتماء الكلمتين إلى لهجة واحدة فالتّرادف الحقيقيّ هو ما يوجد في اللّهجة الواحدة ، أمّا ما كان من لهجتين فليس من التّرادف (2) .

و يعتمد علماء اللّغة القدماء أثناء إثباتهم لظاهرة التّرادف على حجّج ، أهمّها :

- قابليّة التّبادل بين الألفاظ المترادفة ، إذ لو كان لكلّ لفظة معنى مغاير للّفظة المرادفة لها لما استطعنا أن نحدث هذا التّبادل بينهما دون حرج ، يقول **أبو هلال العسكري (ت 395)** عن أهل اللّغة الذين يثبتون التّرادف : « ...لأنّهم إذا أرادوا أن يفسّروا اللّب قالوا : " هو العقل " ، أو الجُرْحُ ، قالوا : " هو الكَسْبُ " ، أو السَّكْبُ ، قالوا : " هو الصَّبُّ ، وهذا يدلّ على أنّ اللّبَّ و العقلَ عندهم سواء ، و كذلك الجُرحُ و الكَسْبُ و الصَّبُّ و ما أشبه ذلك ... » [3]

- إمكانيّة التّعبير عن المعنى الواحد بعدّة ألفاظ ، إذ لوكان لكلّ لفظة معنى غير الأخرى لما أمكن أن يعبّر عن شيء بغير لفظه ، و هو ما نقله **ابن فارس** عن مثبتي التّرادف ، و هو قولهم : « لو كان لكلّ لفظة معنى غير

---

1) – ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدّلالة ، ص 217 .

2) – ينظر أحمد مختار عمر: علم الدّلالة ، ص 218 ، إبراهيم أنيس : في اللّهجات العربيّة ، ص 176 .

3) – أبو هلال العسكري ، الحسن بن عبد اللّه بن سهل بن سعيد (ت 395 هـ) ، الفروق في اللّغة ، تحقيق جمال عبدالغني مدغمش ، مؤسّسة الرّسالة ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1422هـ - 2002م ، ص 17 ، أحمد مختار عمر، علم الدّلالة ، ص 216 .

معنى الأخرى لما أمكن أن يعبّر عن شيء بغير عبارته ، و ذلك أنّا نقول في " لاريبَ فيه " : " لا شكَّ فيه " ، فلو كان " الرّيبُ " غيرَ " الشَّكّ " لكانت العبارةُ عن معنى الرّيب بالشّكّ خطأً ، فلمّا عُبّر عن هذا بهذا عُلم أنّ المعنى واحد . » [1]

2- **منكرو التّرادف** : حاول فريق من علماء اللّغة القدماء أيضا إنكار ظاهرة التّرادف و عدم الاعتداد بها ، و من المنكرين لها : **ابن الأعرابيّ أبو عبد اللّه محمّد بن زياد (ت 231هـ) ، أبو العبّاس أحمد بن يحي ثعلب (ت 291) ، ابن دُرُسْتَوَيْه ، أبو محمد عبد الله بن جعفر (ت 330هـ) ، أبو علي الفارسي (ت 377هـ) ، ابن فارس (ت 395هـ) ، أبو هلال العسكري (ت 395هـ) ، و غيرهم** ، يقول **ابن الأعرابيّ** : « كلّ حرفين أوقَعَتْهُما العرب على معنى واحدٍ ؛ في كلّ واحد منهما معنى ليس في صاحبه ، ربّما عرفناه فأخبرْنا به ، و ربّما غمُض علينا ، فلم نُلزِم العرب جهلَه » [2] ، و يقول أيضا : « الأسماءُ كلُّها لعلّةٍ ،خصَّت العرب ما خصّت ، منها من العلل ما نعلمه ، و منها ما نجهله » [3] ، فالواضح من خلال نصيّ **ابن الأعرابيّ** أنّه ينكر وجود هذه الظّاهرة ، بل إنّه لا يعتدّ بما قيل إنّه من التّرادف .

و يقول **ابن دُرُسْتَوَيْه** : « و لا يكون " **فَعَلَ**" و " **أَفْعَلَ** " بمعنى واحد ، كما لم يكونا على بناء واحد ، إلاّ أن يجيء ذلك في لغتين مختلفتين ، فأمّا من لغة واحدة ، فمحال أن يختلف اللّفظان ، و المعنى واحد ، كما يظنّ كثير من النّحويين و اللّغويين ، و إنّما سمعوا العرب تتكلّم بذلك على طباعها ....و لم يعرف السّامعون

---

1) – ابن فارس ، الصّاحبي ، ص115 ، السّيوطي ، المزهر في علوم اللّغة ، ج 1 ، ص 404 ، أحمد مختار عمر ، علم الدّلالة ، ص 216 .

2) – الأنباري ، كتاب الأضداد ، ص 7 ، السّيوطي ، المزهر في علوم اللّغة و أنواعها ، ج 1 ، ص 400/399 .

3) – الأنباري ، كتاب الأضداد ، ص 7 ، السّيوطي ، المزهر في علوم اللّغة و أنواعها ، ج 1 ، ص 404 .

تلك العلّة فيه و الفروق ، فظنّوا أنّهما بمعنى واحد ....و ليس يجيء شيء من هذا الباب إلاّ على لغتين متباينتين ، كما بيّنّا ، أو يكون على معنيين مختلفين ، أو تشبيه شيءٍ بشيءٍ ...» (1)

و يرى **أبو علي الفارسي** أنّ ما عدّ ترادفا ، هو ليس بترادف في حقيقة الأمر ، و إنّما هو من قبيل الصّفات لا أكثر ، فقد رُويَ عنه أنّه قال : كنت بمجلس سيف الدّولة بحلب و بالحضرة جماعة من أهل اللّغة ، و فيهم ابن خالويه ، فقال ابن خالويه : أحفظ للسّيف خمسين اسما ، فتبسّم أبو علي ، و قال : ما أحفظ له إلاّ اسما واحدا ، و هو السّيف ، قال ابن خالويه : ، فأين المهنَّد والصَّارمُ ، وكذا و كذا؟، فقال أبو علي : هذه صفات . » (2) ،

و يتحدّث **ابن فارس (ت 395هـ)** أيضا عن التّرادف موضّحا آراء مثبتيه و منكريه و حجج كلّ منهم، مع توضيحه لمذهبه ، تحت باب أسماه **" الأسماء كيف تقع على المسمّيات "** يقول : « يسمّى الشّيئان المختلفان بالاسمين المختلفين ، و ذلك أكثر الكلام ، كرجل و فَرَس ، و تُسمّى الأشياء الكثيرة بالاسم الواحد ،نحو : " عين الماء " و " عين المال" و" عين السّحاب " ، و يسمّى الشّيء الواحد بالأسماء المختلفة ، نحو : السّيف و المهنّد و الحسام، و مذهبنا أنّ كلّ صفة منها فمعناها غير معنى الأخرى ، و قد خالف في ذلك قوم ، فزعموا أنّها و إن اختلفت ألفاظها فإنّها ترجع إلى معنى واحد ، فذلك قولنا: سَيْفٌ و عَضْبٌ و حُسَامٌ »[3] ، و يقول أيضا : « و قال آخرون : ليس منها اسم و لا صفة إلاّ و معناه غيرُ معنى الآخر ، قالوا : و كذلك الأفعال ،

---

1) – ابن دُرُسْتَوَيْه ، أبو محمد عبد الله بن جعفر (ت 330هـ) ، تصحيح الفصيح و شرحه ، تحقيق محمّد بدوي المختون ، مراجعة رمضان عبد التّوّاب ، وزارة الأوقاف ، المجلس الأعلى للشّؤون الإسلاميّة ، القاهرة ، ص 70 ، و ينظر: السّيوطي ، المزهر في علوم اللّغة و أنواعها ، ج1 ، ص 386 .

2) – ينظر السّيوطي ، المزهر في علوم اللّغة و أنواعها ، ج 1 ، ص 405 ، إبراهيم أنيس ، في اللّهجات العربيّة ، ص 176 .

3) – ابن فارس ، الصّاحبي ،" الأسماء كيف تقع على المسمّيات " ، ص 114 .

نحو: مضى و ذهب و انطلق ، و قعد و جلس ، و رقد و نام و هجع ، قالوا : ففي " قعدَ" معنى ليس في " جلس" ، و كذلك القول فيما سواه ، و بهذا نقول ، و هو مذهب شيخنا أبي العبّاس أحمد بن يحي بن ثعلب . » [1] ، و على هذا الأساس يفرّق بين القعود و الجلوس، فيقول : « و نحن نقول : إنّ في " قعد " معنى ليس في " جلس " ، ألا ترى أنّا نقول : " قام " ثمّ قعد " و أخذه المقيمُ والمقْعِدُ ، و " قعدتِ المرأة عن الحيض "، و نقول لناس من الخوارج : " قَعَدٌ" ، ثمّ تقول : " كان مضطجعا فجلس "، فيكون القعود عن قيام ، و الجلوس عن حالة هي دون الجلوس ؛ لأنّ " الجَلْسَ : المرتفع " فالجلوس ارتفاع عمّا هو دونه ، وعلى هذا يجري الباب كلُّه . » (2)

و يذكر ذلك أيضا عند حديثه عن **أجناس الكلام في الاتّفاق و الافتراق** ، حيث يقول : « ...و منه اختلاف اللّفظ و اتّفاق المعنى ، كقولنا : سَيْفٌ و عَضْبٌ ، و ليثٌ و أسَدٌ على **" مذهبنا "** في أنّ كلّ واحد منها فيه ما ليس في الآخر من معنى و فائدة . » [3]

و يفرّق **أبو هلال العسكري** في كتابه **" الفروق في اللّغة "** بين الألفاظ المترادفة ، و يرى أنَّ كلَّ لفظ له دلالة خاصّة به قد تتشابه في نسبتها إلى حقل دلاليٍّ واحدٍ ، و لكن هذا لا يعني تطابقا تامّا في معناها و يمثّل لذلك بمجموعة من الألفاظ ، منها : الفرق بين " **المدح و الثّناء** " ، إذ يرى أنّ الثّناء مدح مكرَّرٌ ، من قولك ثَنَيتُ الخيطَ ، إذا جعلته طاقين ، و ثَنَّيتُهُ –بالتّشديد –إذا أضفْتُ إليه خيطا آخر ، و منه قوله تعالى : ﴿ **سَبْعًا من المثَاني** ﴾ **[الحجر : 87]** ، يعني سورة الحمد ، لأنّها تُكرَّر في كلّ ركعةٍ .... » [4] ،

---

1) – ابن فارس ، الصّاحبي ، ص 114- 115 .

2) – ابن فارس ، الصّاحبي ، ص 116، السّيوطي ، المزهر في علوم اللّغة و أنواعها ، ج 1 ، ص 404 .

3) – ابن فارس ، الصّاحبي ، باب أجناس الكلام في الاتّفاق و الافتراق " ، ص 327 .

4) – أبو هلال العسكري ، الفروق في اللّغة ، ص 62-63 .

و الفرق أيضا بين " **المدح و الإطراء** " ، إذ يرى أنّ الإطْراء هو المدحُ في الوجه ، و منهم قولهم : " الإطْراء يُورِثُ الغَفْلةَ " يريدون المدح في الوجه ، و المدحُ يكون مُواجهةً و غيْرَ مُواجهةٍ . (1) ، و يفرّق أيضا بين " **القَطِّ و القَدِّ** " ، حيث إنّ القَطَّ هو القطعُ عرضًا ، و منه قَطُّ القلم ، و المقَطُّ –بفتح الميم – موضع القَطِّ من رأس القلم ، و يكون مصدرا و مكانا ، و المِقَطُّ –بكسر الميم –ما يُقَطُّ عليه ، و القَدُّ القَطْعُ طولا ، و كلّ شيءٍ قطعته طولا ، فقد قَدَدْتَهُ . (2)

و لعلّ هؤلاء الذين أنكروا ورود التّرادف قد كانت حججهم في ذلك أنّ هناك فروقا بين الألفاظ ، فحتّى ولو بدت مترادفة ، فإنّها تتضمّن فروقا طفيفة ، سواء كانت فروقا متعلّقة بدلالات الكلمات أو بصفاتها و هو ما يحيل إلى فكرة عدم إنكارهم لظاهرة التّرادف في حقيقة الأمر ، و إنّما إنكار لعدم وجود التّطابق التّامّ بين المترادفات .

2 - موقف المحدثين :

أ- آراء علماء اللّغة المحدثين العرب :

تباينت آراء علماء اللّغة المحدثين أيضا حول حقيقة وقوع التّرادف في اللّغة ، شأنهم في ذلك شأن علماء اللّغة القدماء ، غير أنّ نظرتهم إلى هذه الظّاهرة تختلف نوعا ما عن نظرة علماء اللّغة القدماء إذ إنّ معظم اللّغويين أكّدوا وجود التّرادف في اللّغة ، غير أنّ التّرادف المقصود في نظرهم هو التّرادف غير التّامّ ، أو شبه التّرادف ، و ليس التّرادف المطلق ، إذ لا وجود للتّرادف المطلق في نظرهم .

و من المحدثين الذين ناقشوا قضيّة ظاهرة التّرادف في اللّغة العربيّة، **إبراهيم أنيس** إذ تعرّض أثناء طرحه لمختلف العلاقات الدّلاليّة ، لعلاقة التّرادف ، فذكر آراء علماء العربيّة و وضّح وجهة نظرهم في ذلك ،

---

1) – أبو هلال العسكري ، الفروق في اللّغة ، ص 63 .

2) – أبو هلال العسكري ، المصدر نفسه ، ص 284 .

مستعينا بأدلّة كلّ فريق منهم .[1] ، كما تحدّث أيضا عن أدلّة المحدثين حول التّرادف ، إذ عدّوا التّرادف سمة تختصّ بها أيّ لغة من لغات البشر، بل إنّ الواقع المشاهد أنّ كلّ لغة تشتمل على بعض تلك الكلمات المترادفة .[2] ، بالإضافة إلى ذلك ، فقد وضّح الشّروط التي وضعها المحدثون من علماء اللّغات لتحقُّق هذه الظّاهرة، وهذه الشّروط ، هي :

- الاتّفاق في المعنى بين الكلمتين اتّفاقًا تامًّا على الأقلّ في ذهن الكثرة الغالبة لأفراد البيئة الواحدة .

- الاتّحاد في البيئة اللّغويّة، أي أن تكون الكلمتان تنتميان إلى لهجة واحدة أو مجموعة منسجمة من اللّهجات.

-الاتّحاد في العصر بالنّظر إلى المترادفات في فترة خاصّة أو زمن معيّن .

- ألاّ يكون أحد اللّفظين نتيجة تطوّر صوتي للّفظ الآخر . [3]

و قد رأى **إبراهيم أنيس** أنّ هذه الشّروط إذا طبّقت على اللّغة العربيّة ، فإنّ التّرادف لا يكاد يوجد في اللّهجات العربيّة ، و إنّما يبدو في اللّغة النّموذجيّة المثاليّة الأدبيّة لغة قريش التي نزل بها القرآن الكريم ، و قد عاب على المفسّرين مغالاتهم في التماس فروق بين الألفاظ المترادفة ، و ساق بعض الآيات الكريمة المبرهنة على وقوع التّرادف في القرآن الكريم . [4] ، و إضافة إلى ذلك فقد تعرّض أيضا لأهمّ الأسباب التي ولّدت التّرادف في كلمات العربيّة و لدى علماء العربيّة ، إذ لخّصها فيما يأتي:

أ – إيثار بعض القبائل لكلمات خاصّة تشيع بينها وتكاد تكون مجهولة في القبائل الأخرى.

---

1) –ينظر: إبراهيم أنيس ، في اللّهجات العربيّة ، ص 174..178 .

2) – ينظر: إبراهيم أنيس ، المرجع نفسه ، ص 178 .

3) – ينظر: إبراهيم أنيس ، المرجع نفسه ، ص 178- 179 .

4) – ينظر: إبراهيم أنيس ، في اللّهجات العربيّة ، ص 179 – 180 .

ب – استعارة كلمات من لهجة من اللّهجات أو لغة من اللّغات بسبب الغزو ، أو الهجرات ، أو الاحتكاك بين القبائل فيصبح للمعنى الواحد أكثر من كلمة واحدة .

ج – هناك صفات تفقد عنصر الوصفيّة مع مرور الزّمن وتصبح أسماء، لا يلحظ الكاتب أو الشّاعر ما كانت عليه فيؤدّي هذا إلى التّرادف.

د- من الكلمات ما تشترك معانيها في بعض الأجزاء ، وتختلف في البعض الآخر، و لكن بفعل عامل التّغيّر الدّلاليّ تصبح تلك الكلمات مترادفة ، لأنّ المعاني لا تبقى على حالة واحدة ، فقد يصبح الخاصّ عاما أو يصبح العامّ خاصّا ، فالمعنى المتطوّر يصبح مرادفا للكلمة الأصليّة ،دون الاستغناء عن أحدهما ، إذ تبقى الكلمات الأصليّة مستعملة جنبا إلى جنبا مع معانيها المتطوّرة .

هـ- تُولّد المجازات المنسيّة نوعًا من التّرادف في اللّغات، فقد تستعمل بعض الكلمات استعمالا مجازيًّا، يطول العهد عليه فيصبح حقيقة ، حيث تبقى الكلمات المستعملة بمعانيها الأصليّة الحقيقيّة جنبا إلى جنب مع تلك التي أخذت معانيها عن طريق المجاز.[1]

و يعدّ **صبحي الصّالح** التّرادف من عوامل اتّساع العربيّة في التّعبير، إذ يقسّم استعمال اللّغة في العربيّة على نوعين ؛ مهجور قد يستعمل ، و مستعمل قد يهجر ، و يعدّ هذين النّوعين من الاستعمال مزيّة للعربيّة (2) ، و لم يكن **صبحي الصّالح** مبالغا في الإقرار بوجود التّرادف كما ذهب إليه بعض علماء العربيّة ، و لم يكن منكرا له أيضا ، بل اتّخذ موقفا معتدلا ، و هو الإقرار بالتّرادف شرط أن يكون بين لغتين مختلفتين ، عكس ما ذهب إليه **إبراهيم أنيس** حيث اشترط لتحقّق التّرادف اتّحاد البيئة و العصر يقول : « ولسنا نريد بهذا أن ننكر مع أحمد بن فارس وقوع التّرادف ، بل نؤثر أن نعتدل في رأينا ، فلا ضَير علينا إذن أن نأخذ

1) – ينظر: إبراهيم أنيس ، في اللّهجات العربيّة ، ص 181...184 .

2) – ينظر: صبحي الصّالح ، دراسات في فقه اللّغة ، ص 292- 293 .

بمذهب من يقول في شأن التّرادف ، و ينبغي أن يُحمّل كلام من منعه على منعه في لغة واحدة ، فأمّا في لغتين فلا ينكره عاقل . » (1)

و يؤكّد إمكانيّة التّعبير عن شيء واحد بلفظين مختلفين مادامت البيئتان اللّغويتان متباينتين بعد ذكره لقصّة "وثب و قعد " التي تذكرها كتب الأدب ، فيقول : « وواضح أنّنا لا نقصد من هذه القصّة أن نجري وراء المبالغين في التّرادف ، فنهوّل كما هوّلوا ، و نزعم التّرادف المطلق بين مئات الأسماء و عشراتها لمسمّى واحد ، فإنّنا من قبل و من بعد أمام قصّة ستظلّ مهما تُجمع عليها كتب الأدب قصّة ، و لكن مصدر احتجاجنا بها يعود إلى أنّ الذين وضعوها –إن كانت موضوعة –إنّما استشعروا فيها إمكان التّعبير عن شيء واحد بلفظين مختلفين مادامت البيئتان اللّغويتان متباينتين ، و لو صدر لفظ " وثب و قعد " بمعنى واحد عن قبيلة واحدة و في بيئة لغويّة واحدة ، لما كان ثمّة احتمال للتّرادف بين اللّفظين . » (2)

و في موطن آخر يعترف بوجود التّرادف في القرآن العظيم ، و يستدلّ في ذلك بمجموعة من الكلمات وردت في آيات قرآنيّة ، و هي مترادفة ، نحو : أقسم و حلف ، و بعث و أرسل ، و فضّل وآثر ، غير أنّه يقرّ في نهاية المطاف بوجود الفروق بين المترادفات و هو دليل على ثراء اللّغة ، يقول : « وهكذا لم نجد مناصّا من التّسليم بوجود التّرادف و لا مفرّ ا من الاعتراف بالفروق بين المترادفات ، لكن هذه –على ما يبدو لنا – تُنوسيت فيما بعد و أصبح من حقّ اللّغة التي ضمّنتها إليها أن تعتبرها ملكا لها و دليلا على ثرائها و كثرة مترادفاتها . » [3]

و قد تعرّض **رمضان عبد التّوّاب** أيضا لآراء علماء العربيّة حول وجود التّرادف و عدم وجوده ، حيث رأى أنّ بعض علماء العربيّة بالغوا في جَمع الألفاظ المترادفة و حشْدِ بينها طائفة كبيرة لا تمّت إلى التّرادف

---

1) – صبحي الصّالح ، دراسات في فقه اللّغة ، ص 299 .

2) – صبحي الصّالح ، المرجع نفسه ، ص 300 – 301 .

3) – صبحي الصّالح ، المرجع نفسه ، ص 300 .

الحقيقيّ بصلة ، و قد أدّت هذه المبالغة في رأيه إلى ظهور طائفة أخرى تعارض هذا الاتّجاه و ترفض ظاهرة التّرادف .[1] ، و قد خلص في ذلك إلى أنّه لا يصحّ إنكار التّرادف إنكارا تامّا حتّى و إن كانت هناك فروقا بين الألفاظ المترادفة أحيانا ، بل يجب الاعتراف به .[2] ،

و قد عالج **أحمد مختار عمر** مسألة التّرادف و أفاض في مناقشتها ، حيث تعرّض بالتّفصيل إلى آراء علماء العربيّة حول هذه المسألة (3) ، ثمّ تطرّق إلى موقف المحدثين أيضا منها ، إذ نبّه إلى أنّ الخلاف الذي وقع بين القدماء حول هذه المسألة هو نفسه الخلاف الذي وقع بين المحدثين ، غير أنّ القضيّة عند المحدثين كانت أكثر تشعّبا و أكثر إثارة للجدل لارتباطها من ناحيّة بتعريف المعنى ، حيث يحدّد تعريف المعنى عند كلّ نظريّة من النّظريات الدّلاليّة على نحو يختلف عن الأخرى ، و من ناحيّة أخرى بنوع المعنى المقصود ، حيث قسّم المعنى إلى أنواع عدّة منها : المعنى الأساسيّ ، الإضافي ، الأسلوبي ، النّفسي و الإيحائي . (4)

و بعد استفاضة **أحمد مختارعمر** في الحديث عن قضيّة التّرادف عند المحدثين يخلص إلى مجموعة من النّقاط ، و هي :

أ- **التّرادف التّام غير موجود** ؛ إذ يتمثّل التّرادف التّامّ في تبادل اللّفظين في جميع السّياقات، وفي مستوى واحد، وفترة زمنية واحدة، وعند جماعة لغويّة واحدة، و هذا لا يتحقّق على الإطلاق ، وعلى هذا الأساس فلا تَرادُف بين "حامل وحبلى" ، فالأولى راقية مؤدّبة والثّانية مبتذلة.

ب-التّرادف موجود ، إذا تمّ التّسليم بفكرة أنّ مفهوم التّرادف هو التّطابق في المعنى الأساسيّ دون سائر المعاني ، و تمّ الاكتفاء بإمكانيّة التّبادل بين اللّفظين في بعض السّياقات ، أو تمّ النّظر إلى اللّفظين في لغتين

---

1) – ينظر: رمضان عبد التّوّاب ، فصول في فقه العربيّة ، ص 310- 311 .

2) – ينظر: رمضان عبد التّوّاب ، المرجع نفسه ، ص 315- 316 ،

3) – ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدّلالة ، ص 215 ...219 .

4) – ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدّلالة ، ص 220، و ينظر: أيضا الهامش من الصّفحة نفسها .

مختلفتين ، أو في أكثر من فترة زمنيّة واحدة ، أو أكثر من بيئة لغويّة ، و يمكن التّمثيل لذلك بكلمتي " وصل و جاء " اللّتين تنتظمان مع كلمات ، مثل : القطار ، محمّد ، الخطاب ، و لكنّهما تستقلّان في سياقات أخرى ، فنقول : وصل من سفر ، و لا نقول : جاء ، و نقول جاء الرّبيع .

ج – **التّرادف موجود** ، بالنّسبة للكلمات التي تتقارب كثيرا و نعجز عن بيان الفرق الدّقيق في المعنى بينها ، كما في " يثِب ويقفز" ، و " يجري ويعدو " ، و " مضيء ومنير" ، " عام ، حول ، سنة "

د-التّرادف متحقّق أو موجود عند أصحاب النّظريّة التّحليليّة الذين يعرّفونه بأنّه اشتراك اللّفظين في مجموع السّمات التّمييزيّة الأساسيّة ، فكلمتا **" أب" و " والد"** مترادفتان ، لاشتراكهما في المكوّنات الأساسيّة .

هـ-**التّرادف موجود** في الكلمات الخاليّة من المعاني الإضافيّة أو الإيحائيّة لذلك يسهل التّبادل بينها دون حرج ، مثل كلمات وراء ، خلف ، أمام ، قدّام ، غرفة ، حجرة (1)

فأحمد مختار يقرّ بوجود التّرادف ، و لكنّه يقصد التّرادف غير التّام ، و ليس التّرادف التّام ، لأنّ التّرادف التّام نادر الوجود ، و تحقّق التّرادف في نظره مرهون ببعض الشّروط و في ضوء بعض المناهج لا غير.

و يشير **عودة خليل أبو عودة** إلى ظاهرة التّرادف معدّا إيّاها مظهرا من مظاهر التّطوّر الدّلالي و صورة من صوره أيضا ، حيث إنّ بعض أسباب وجود المترادفات في اللّغة لا تخرج عن عوامل التّطوّر اللّغويّ ، فاحتكاك لغة ما بغيرها يعدّ سببا رئيسا في عوامل التّطوّر اللّغويّ ، و يعدّ أيضا سببا واضحا لكثرة المترادفات في لغة ما ، ومن ذلك احتكاك لغة قريش باللّهجات العربيّة الأخرى ، فقد نقل إليها طائفة كبيرة من مفردات

---

1) –أحمد مختار عمر ، علم الدّلالة ، ص 227...231 .

هذه اللّهجات ، و احتكاك اللّغة العربيّة أيضا بغيرها من اللّغات المجاورة ،كالفارسيّة و الرّوميّة و الحبشيّة ، قد أدخل فيها كثيرا من المفردات التي قد تمثّل مع بعض مفردات اللّغة العربيّة شيئا من التّرادف . (1)

و يستخلص من خلال ما تمّ ذكره حول آراء علماء اللّغة العرب و الباحثين المحدثين حول ظاهرة التّرادف أنّهم كانوا أكثر ميلا لإثبات هذه الظّاهرة على غرار إنكارها ، غير أنّ إثباتها و الاعتراف بوجودها كان من منطلق الاعتراف بالتّرادف غير التّامّ أو شبه التّرادف ، إذ لا وجود للتّرادف المطلق في حقيقة الأمر ، و لعلّ هذا الاستنتاج يتوافق مع ما خلص إليه **محمود حجازي** أثناء حديثه عن التّرادف ، حيث يرى أنّ التّرادف عند أكثر اللّغويين المعاصرين تقاربا دلاليّا و ليس مطابقة دلاليّة كاملة .(2)

ب-آراء علماء اللّغة الأوربيين :

لم تخرج آراء اللّغويين الغربيين حول مسألة التّرادف عن آراء علماء اللّغة العرب المحدثين ، إذ الإشكال ليس في وقوع التّرادف و عدم و قوعه ، و إنّما الإشكال يتجلّى في هل هناك ترادف تامّ أم لا ؟ ، إذ يرى أغلبيّة اللّغويين بأنّه لا وجود للتّرادف التّامّ أو الكامل ، يقول **بلومفيلد** : « إنّنا لا ندّعي أنّ كلّ كلمة من كلمات التّرادف تؤدّي معنى ثانيّا مختلفا عن الأخرى ، و مادامت الكلمات مختلفة صوتيّا، فلا بدّ أن تكون معانيها مختلفة كذلك ، و على هذا فنحن في اختصار نرى أنّه لا يوجد ترادف حقيقيّ . » (3) ، **فبلومفيلد** يرى أنّه لا وجود للتّرادف التّامّ ، فإذا اختلفت الكلمات صوتيّا وجب اختلافها في المعنى .

---

1) –عودة خليل أبو عودة ، التّطوّر الدّلالي في لغة الشّعر و لغة القرآن الكريم ، ص 58 .

2) –محمود حجازي ، مدخل إلى علم اللّغة ، ص 148 .

3) – أحمد مختار عمر ، علم الدّلالة ، ص 224 .

و يقول **هاريس harris** موضّحا رأي **بلومفيلد** : « إنّه في إطار اللّغة الواحدة لا يوجد ترادف ، فالاختلاف الصّوتيّ لا بدّ أن يصحبه اختلاف في المعنى ، فكلّ كلمة من الكلمات الآتية تختلف عن الأخرى في بعض ملامح المعنى الأساسيّة أو الإضافيّة **speedy-rapid-swift-fast,quick .... »** [1]

و يقول **جورج George. FH** مؤكّدا عدم وجود التّرادف التّام ، إذ إنّ وجوده ينفي وجود كلمتين مترادفتين في آن واحد : «**إذا** كانت كلمتان مترادفتين من جميع النّواحي ما كان هناك سبب في وجود الكلمتين معا . » [2]

ويطلق **"أولمان"** على التَّرادف مصطلح "مدلول واحد – ألفاظ عدّة" ، والمترادفات عنده ألفاظ متّحدة المعنى، وقابلة للتّبادل فيما بينها في أيّ سياق[3]، فالتّرادف عنده مشروط بإمكانيّة التّبادل بين الألفاظ المترادفة في أيّ سياق" ، و على هذا الأساس يميّز **أولمان** بين نوعين من التّرادف :

أ – ترادف تامّ، رغم عدم استحالته، نادر الوقوع إلى درجة كبيرة، وحتّى وإن وقع، فإنّه يكون لفترة قصيرة محدودة؛ لأنّه سرعان ما تظهر فروق معنويّة بين الألفاظ المترادفة.

ب– أنصاف أو أشباه مترادفات، ولا يمكن استعمالها في السّياق الواحد دون تمييز بينها، ويعني هذا وجود جانب من المعنى في كلّ لفظ لا يوجد في الآخر، كما أنّ مدلولات المترادفات متشابكة و متداخلة بعضها في بعض، و لا يمكن التّبادل بين الألفاظ المترادفة إلاّ في حدود ضيّقة فقط. (4)

---

1) – أحمد مختار عمر ، علم الدّلالة ، ص 224 .

2) – أحمد مختار عمر ، المرجع نفسه ، ص 225 .

3) – ستيفن أولمان ، دور الكلمة في اللّغة ، ص 97 .

4) – ستيفن أولمان ، دور الكلمة في اللّغة ، ص 98 .

و بهذا نستنتج أيضا أنّ **أولمان** يعترف بالتّرادف في حالة ما إذا تمّ التّبادل بين الألفاظ المترادفة في أيّ سياق أو سياق واحد ، وهذا التّبادل يصعب تحقيقه إلاّ في حدود ضيّقة ، أي أنّه يقرّ بالتّرادف غير التّامّ أو شبه التّرادف .

و يتبيّن من خلال عرض بعض آراء اللّغويين قدماء ومحدثين حول ظاهرة التّرادف في اللّغة أنّه لا ينبغي المغالاة في إثبات وجود هذه الظّاهرة ، حيث يتمّ إثباتها بين الكلمات التي يظهر اتّحادها في المعنى دون مراعاة الفروق الجوهريّة الواضحة بينها ، أو دون مراعاة بأنّها صفات لها ، أو تطوّر صوتيّ لإحداها ، أو أنّ بعضها ينتمي إلى لهجة و ينتمي بعضها الآخر إلى لهجة أخرى ، بل ينبغي إثبات هذه الظّاهرة في حدود التّقارب الدّلاليّ و ليس التّطابق الدّلاليّ التّام ، و في حدود أيضا إمكانيّة استبدال الكلمة بما يرادفها في النّصّ اللّغويّ دون ملامسة الفروق الواضحة بين المترادفات ، كما لا يمكن أيضا إنكار هذه الظّاهرة و تجاهل مزاياها ، و الانسياق وراء وضع الشّروط الدّقيقة لقبول التّرادف ، فهو أمر مستعص بالنّظر إلى خصوصيّة اللّغة ، وخاصّة اللّغة العربيّة ، فمن سماتها التّوسّع ، و هذا التّوسع هو من يفرض عليها صفة التّبادل بين مفرداتها ، حيث تشكّل كلّ مجموعة منها دلالة واحدة ، أو حقلا دلاليّا واحدا .

رابعا : أسباب وقوع لتّرادف :

لا شكّ أنّ البحث في أسباب التّرادف لا سيما التّرادف في اللّغة العربيّة يطرح هو الآخر إشكالا كبيرا، كون هذه الأسباب توسّع دائرة إثبات التّرادف بالنّسبة لمثبتيّ التّرادف دون شروط و تدخله في دائرة التّضييق بالنّسبة لمثبتيّ التّرادف مع تحديد بعض الشّروط ، و تدخله في دائرة التّناقض بالنّسبة لرافضيّ التّرادف التّامّ ، و فيما يلي توضيح لأهمّ الأسباب التي تناولها علماء اللّغة القدماء و المحدثون :

***اختلاف اللّهجات** ، حيث تتعدّد أسماء الشّيء الواحد في اللّهجات المختلفة ، و تطلق كلّ قبيلة اسما مختلفا للشّيء الواحد ، ثمّ يؤدّي احتكاك اللّهجات بعضها ببعض و نشأة اللّغة العربيّة المشتركة إلى تمسّك

هذه اللّغة المشتركة بعدد من تلك الألفاظ المترادفة [1] ، و من أمثلة ذلك ما ذكره **الجاحظ** تسمية أهل مكّة "القِدْر" " بُرمة " ، في حين أنّ أهل البصرة يسمّونه " قِدْرا " ، كما يسمّون " البيت "إذا كان فوق البيت "عُلِيَّة "، بينما يُطلق عليها عند أهل البصرة " غُرْفة " .... [2] ، و من مثل ذلك في اللّهجات العربيّة الحديثة ، "البطّيخ " مثلا في مصر ، هو "الرَّقِيّ "في العراق ، و "الدِّلاّح " في ليبيا ، و "الحَبْحبُ " في السّعوديّة ، وما إلى ذلك . [3]

و يتبيّن من خلال ذكر هذا السّبب أنّه يعدّ دليلا على وجود التّرادف عند مثبتيّ التّرادف ، إذ عدّوا كلّ تعدّد لأسماء الشّيء الواحد ترادفا ، بينما يمكن إسقاط هذا السّبب من أسباب التّرادف و ذلك عند منكريّ التّرادف ، وذلك لاشتراطهم أن يكون في لغة واحدة ، يقول **ابن دُرُسْتَوَيْه** : « و لا يكون " **فَعَلَ**" و " **أَفْعَلَ** " بمعنى واحد ، كما لم يكونا على بناء واحد ، إلاّ أن يجيء ذلك في لغتين مختلفتين ، فأمّا من لغة واحدة ، فمحال أن يختلف اللّفظان ، و المعنى واحد ، كما يظنّ كثير من النّحويين و اللّغويين ، و إنّما سمعوا العرب تتكلّم بذلك على طباعها ....و لم يعرف السّامعون تلك العلّة فيه و الفروق ، فظنّوا أنّهما بمعنى واحد ... و ليس يجيء شيء من هذا الباب إلاّ على لغتين متباينتين ، كما بيّنّا ، أو يكون على معنيين مختلفين ، أو

---

1) – رمضان عبد التّوّاب ، فصول في فقه العربيّة، ص 316 ، علي عبد الواحد وافي ، فقه اللّغة ، ص 166 .

2) – ينظر: الجاحظ ، البيان و التّبيين ، ج 1 ، ص 18-19 .

3) – رمضان عبد التّوّاب ، فصول في فقه العربيّة ، ص 316 .

تشبيه شيءٍ بشيءٍ ...» (1) ، في حين يرى بعض المحدثين أيضا أنّ الاتّحاد في البيئة اللّغويّة الواحدة شرطا من شروط التّرادف . (2) ، و على هذا الأساس يمكنهم إخراج اختلاف اللّهجات من بين أسباب التّرادف .

* **تعدّد صفات الشّيء الواحد:** حيث يكون للشّيء اسم واحد ، ثم يوصف بصفات مختلفة ، ثمّ تستخدم هذه الصّفات استخدام الاسم نفسه ، و ينسى ما فيها من وصف ، وذلك ، مثل : الأسد الذي له صفات الكاسر ، السّاحق ، اللّيث ... إلخ ، و كذلك السّيف و صفاته : الصّارم ، الصّقيل ، الباتر...إلخ ، [3] ، و قد تنبّه إلى هذا الأمر **أبو علي الفارسي** ، فقد رُويَ عنه أنّه قال : كنت بمجلس سيف الدّولة بحلب و بالحضرة جماعة من أهل اللّغة ، و فيهم ابن خالويه ، فقال ابن خالويه : أحفظ للسّيف خمسين اسما ، فتبسّم أبو علي ، و قال : ما أحفظ له إلاّ اسما واحدا ، و هو السّيف ، قال ابن خالويه : فأين المهنَّد والصَّارِمُ ، وكذا و كذا؟ ، فقال أبو علي : هذه صفات . » [4]

و يتبيّن لنا من خلال هذا النّصّ أنّ الاسم في أصل وضعه يفيد دلالة واحدة و هي السّيف ، أمّا بقيّة المترادفات الأخرى ، مثل الحسام و المهنّد و غيرها ، فهي صفات وُصف بها .

---

1) – ابن دُرُسْتَوَيْه ، تصحيح الفصيح و شرحه ، ص 70 ، و ينظر: السّيوطي ، المزهر في علوم اللّغة و أنواعها ، ج1 ، ص 386 .

2) – ينظر: إبراهيم أنيس ، في اللّهجات العربيّة ، ص 178، محمّد نور الدّين المنجّد ،التّرادف في القرآن الكريم بين النّظريّة و التّطبيق ، دار الفكر المعاصر، بيروت ، لبنان دار الفكر، دمشق ، سوريّة ، ط 1 ، 1417هـ 1997م ، ص 79-80 .

3) – ينظر: رمضان عبد التّوّاب ، فصول في فقه العربيّة ، ص 318-319 .

4) – ينظر السّيوطي ، المزهر في علوم اللّغة و أنواعها ، ج 1 ، ص 405 ، إبراهيم أنيس ، في اللّهجات العربيّة ، ص 176 .

و الحكم نفسه على هذا السّبب ، فقد يعدّ سببا رئيسا عند مثبتيّ التّرادف ، الذين لا يرون حرجا في جعل الاسم و صفاته من المترادفات ، بينما يمكن إسقاطه من الأسباب عند منكريّ التّرادف الذين يؤكّدون أنّ الاسم يفيد دلالة واحدة ، و أمّا مرادفاته فهي من باب الصّفة لا التّرادف ، أو من باب تقويّة المعنى ، فلا يمكن لعدّة ألفاظ أن تحمل المعنى نفسه ، فهناك فروق دلاليّة لا محال ، وكذا الأمر عند المحدثين الذين لا يعتدّون بالتّرادف التّامّ ، بل يؤمنون بالتّرادف غير التّامّ أو شبه التّرادف .

***التّوسّع في الكلام** : حيث يعدّ التّوسّع في اللّغة العربيّة خاصيّة تتميّز بها العربيّة على غرار اللّغات الأخرى ، و هو سبب يؤدّي إلى وجود ظاهرة التّرادف ، و في الوقت نفسه فإنّ التّرادف وسيلة من وسائل توسّع العربيّة ، يقول **قطرب** : « ....و الوجه الثّاني : اختلاف اللّفظين و المعنى متّفق واحد ، وذلك مثل : عَيْر وحمار ، وذئب و سِيْد ، و سَمْسَم و ثعلب ، و أتى وجاء ، وجلس و قعد ، اللّفظان مختلفان و المعنى واحد ، و كأنّهم إنّما أرادوا باختلاف اللّفظين – و إن كان واحدا مجزيا –أن يوسّعوا في كلامهم و ألفاظهم ، كما زاحفوا [1] في أشعارهم ليتوسّعوا في أبنيتها و لا يلزموا أمرا واحدا . » [2]

*** استعارة كلمات من لهجة من اللّهجات أو لغة من اللّغات بسبب الغزو أو الهجرات أو الاحتكاك بين القبائل** ، : فيصبح للمعنى الواحد أكثر من كلمة واحدة ، و من بين الكلمات المستعارة من الفارسيّة

---

1) – زاحفوا : الزّحاف في الشّعر ، أن يسقط بين الحرفين حرف فيزحف أحدهما إلى الآخر و الشّعر مزاحف ، ينظر : ابن جنّي ، الخصائص ،ج 1 ، الهامش ، ص 400

2) – قطرب ، أبو علي محمّد بن المستنير (ت 206هـ) ، كتاب الأضداد ، ص 69 ، و ينظر أيضا : السّيوطي ، المزهر في علوم اللّغة و أنواعها ، ج 1 ، ص 401/400 .

و غيرها و قد عدّت مترادفة ، الدِّمَقَس و الاسْتِبرَقُ في مقابل الحرير ، و الزَّرجون و الإسْفِنطُ و البَاذقُ و الدِّرْياقَةُ للخمر ، و البَهْرجُ للباطل ،و الدّست للصّحراء ، و اليَمُّ للبحر و غير ذلك .[1]

***التّطوّر اللّغويّ** : يشمل التّطوّر اللّغويّ مجالات لغويّة مختلفة تتمثّل في التّطوّر الصّوتيّ و الصّرفيّ و النّحويّ و الدّلاليّ ، و قد يكون التّطوّر اللّغويّ سببا من أسباب التّرادف ، و أهمّ مجالاته التي عدّت سببا في وقوع التّرادف التّطوّر الصّوتيّ و التّطوّر الدّلاليّ .

أ- **التّطوّر الصّوتي** ، حيث تنشأ صور أخرى للكلمات ، و بذلك تعدّ مترادفات لها ، و يكون ذلك عن طريق القلب و الإبدال اللّغويّ ، فالقلب هو اختلاف ترتيب الحروف في اللّفظ ، مثل : جذب و جبذ ، (2) ، و بَكَلَ ولبَكَ .[3]

و الإبدال اللّغوي هو إقامة حرف مكان حرف مع الإبقاء على سائر أحرف الكلمة ، و بذلك قد تشترك الكلمتان أو الصّورتان بحرفين أو أكثر ، و يُبدل حرف منها بحرف آخر يتقاربان مخرجا أو في المخرج و الصّفة معا ، و لا بدّ من شرط التّقارب في المخرج بينهما . (4) ، ومن أمثلة ذلك : الحَذْرَمة و الفَذْرَمة بمعنى

---

1) – ينظر: إبراهيم أنيس ، في اللّهجات العربيّة ، ص 182 ، رمضان عبد التّوّاب ، فصول في فقه العربيّة ، ص 321 .

2) – ينظر: الفيّومي ، المصباح المنير في غريب الشّرح الكبير للرّافعي ، ابن فارس ، الصّاحبي ، ص 329 .

3) – ينظر: ابن فارس ، الصّاحبي ، ص 329 .

4) – ينظر: أبو الطّيّب اللّغويّ ، عبد الواحد بن علي (ت 351هـ) ، كتاب الإبدال ، حقّقه و شرحه و نشر حواشيه الأصليّة و أكمل نواقصه عزّ الدّين التّنوخيّ ، مطبوعات مجمع اللّغة العربيّة بدمشق ، 1380هـ - 1961م ، المقدّمة ، ص 9 ، و ينظر أيضا : ص 5-8- 37 .

كثرة الكلام ، و دَحَرَ و دفَرَ بمعنى الدّفع عن النّفس ، و يحْرِفُ و يَقْرِفُ بمعنى يكسب (1) ، و الجَدَثُ و الجَدَفُ بمعنى القبر. (2)

و يتبيّن من خلال هذا السّبب أيضا أنّه وكما عدّ سببا من أسباب التّرادف عند مثبتيّ التّرادف ، فقد أخرج من دائرة أسباب التّرادف عند بعض الدّارسين المحدثين ، إذ اشترطوا لوقوع التّرادف ألاّ يكون أحد اللّفظين نتيجة تطوّر صوتيّ للّفظ الآخر ، و عدّوا أمثال هذه الكلمات مترادفات وهميّة . (3)

ب- **تطوّر المعنى:** و معنى ذلك أن تتطوّر دلالة كلمة ما فتصير عامّة بعد أن كانت خاصّة أو تصير خاصّة بعد ذلك، فمثلا "هلك" في العبريّة للذّهاب بكلِّ أنواعه، ثم خصّصت في العربيّة للموت فقط. ومن مثل ذلك كلمة " هلك " في العبريّة للذّهاب بكلِّ أنواعه ، في حين أنّ معناها في العربيّة قد تحدّد أو خصّص و أصبح مقصورا على نوع واحد من الذّهاب و هو الهلاك ، و قد أدّى مثل هذا التّطوّر إلى التّرادف بين الموت و الهلاك . (4)

و قد عدَّ التّرادف أيضا صورة بارزة من صور التّطوّر اللّغوي ، إذ لا يعقل أن يكون لفظ واحد قد طابق عدّة ألفاظ في المعنى مطابقة تامة ، بل على العكس من ذلك فقد تكون تلك المترادفات نتيجة تطوّر في المعنى .

---

1) – ينظر: أبو الطّيّب اللّغويّ ، كتاب الإبدال ، ج1 ، ص 303-304 .

2) – ينظر: الفيّومي ، المصباح المنير في غريب الشّرح الكبير للرّافعي ، ج 1 ، ص 92 .

3) – ينظر: إبراهيم أنيس ، في اللّهجات العربيّة ، ص 179 ، رمضان عبد التّوّاب ، فصول في فقه العربيّة ، ص 323 ، محمّد نور الدّين المنجّد ،التّرادف في القرآن الكريم بين النّظريّة و التّطبيق ، ص 81 ، حاكم مالك الزّيادي ، التّرادف في اللّغة ، ص 282 .

4) – ينظر: إبراهيم أنيس ، في اللّهجات العربيّة ، ص 183 ،

***المجازات المنسية :** أي التي نُسي مجازها ، و أصبحت في الاستعمال حقيقة عرفيّة بطول زمان استعمالها ، حتى رادفت كلمات مستعملة بمعناها الأصليّ ، حيث تصبح تستعمل جنبا إلى جنب مع تلك التي أخذت معانيها عن طريق المجاز ، مثل : كلمة **" الرّحمة "** التي تستعمل مرادفة لكلمة "**الرّأفة "**، حيث إنّ الرّحمة في الأصل هي عمليّة النّسل من الأرحام ، ثمّ استعملت في قديم الزّمان عن طريق المجاز في الصّلة بين الذين يولدون من رحم واحد ، و قد تقادمت العهود على هذا المعنى المجازيّ حتّى أصبح حقيقة ، و بهذا نشأ التّرادف بينها و بين كلمة الرّأفة .(1)

* – **هناك صفات تفقد عنصر الوصفيّة مع مرور الزّمن وتصبح أسماء،** لا يلحظ الكاتب أو الشّاعر ما كانت عليه فيؤدّي هذا إلى التّرادف، فالسّيف مثلا كان يمانيّا و كان هنديّا ، و كان لكلّ من النّوعين سمات خاصّة تميّز كلّ منهما ، و لكن مع مرور الزّمن تنوسيت هذه السّمات ، و أصبح الشّاعر أو الكاتب يستعمل اليمانيّ و المهنّد ، و هو لا يعني بهما سوى المعنى العام المفهوم من كلمة السّيف .[2]

*عدم تحديد دلالات الألفاظ بدقّة و تجاهل الفروق بينها .

و نخلص من خلال هذه الوقفة مع أسباب التّرادف ، أنّه و رغم إسقاط بعضها من قبل بعض الدّارسين المحدثين ، لأنّها تتنافى و شروط تحقّق التّرادف الفعليّ في اللّغة ، إلاّ أنّ هذا لا يعني إغفال بعضها ، بل ينبغي دراسة هذه الأسباب بشكل منطقيّ ، فالاعتراف بالتّرادف في اللّغة العربيّة أمرّ لا مفرّ منه ، والاعتراف به في اللّغات الأخرى أيضا أمر لا جدال فيه ، ولكن ينبغي أن يكون الاعتراف به في حدود معقولة .

---

1) – ينظر: إبراهيم أنيس ، في اللّهجات العربيّة ، ص 183 -184 .

2) – ينظر: إبراهيم أنيس ، المرجع نفسه ، ص 183 .

المحاضرة السّادسة عشرة : علاقة التّضادّ

المحاضرة السّادسة عشرة : علاقة التّضادّ

المحاضرة السّادسة عشرة : علاقة التّضادّ

توطئة :

عدّت ظاهرة التّضادّ أيضا من الظّواهر اللّغويّة البارزة في معظم اللّغات، إذ لم تكن هذه الظّاهرة مقصورة على العربيّة وحدها دون سائر اللّغات ، بل إنّ كلّ لغة تشتمل على بعض تلك الكلمات المتضادّة ، و اللّغة العربيّة من اللّغات التي برزت فيها هذه الظّاهرة بشكل لافت، بل إنّها صارت سمة لها لا تفارقها، و قد تنبّه إلى هذا الأمر علماء اللّغة القدماء و المحدثون ، فأفردوا لها مصنّفات تعالج هذه الظّاهرة في شقّيها النّظريّ و التّطبيقيّ ، وسيتمّ التّعرّض في هذه المحاضرة إلى مجموعة من النّقاط، أهمّها: مفهوم التّضادّ، ، أمثلة توضيحيّة عن التّضادّ ، موقف علماء اللّغة من التّضاد ، أسباب وقوع التّضادّ، أنواع التّضادّ .

أوّلا : مفهوم التّضاد :

أ-لغة :

التّضادّ مصدر قياسيّ مشتقّ من الفعل غير الثّلاثيّ " تضادّ " ومادّته المعجميّة **" ضدد "**، يقول **الفيّوميّ** : « الضِّدُّ : هو النَّضِيرُ و الكُفْءُ و الجَمْعُ أضدادٌ (1) ، و يقول **ابن منظور** : « الضِّدُّ كلُّ شَيءٍ ضَادَّ شيئًا ليَغْلِبَه، والسَّوادُ ضِدُّ البَيَاضِ، والموتُ ضِدُّ الحياةِ ، واللَّيل ضِدُّ النَّهارِ، إذا جاءَ هذا ذهبَ ذلك ، ابن سيده : ضِدُّ الشَّيءِ و ضَديدُهُ و ضَدِيدَتُه : خِلافُهُ، و ضِدُّهُ أيضا مِثْلُهُ...، و الجَمْعُ أضْدادٌ ، و قد ضَادَّهُ ، و هما مُتضَادّان ، و قد يكون الضِّدُّ جَمَاعةً ، و القَوْمُ على ضِدٍّ واحدٍ ، إذا اجتمعوا عليه في الخُصومَةِ... » [2]

---

1) – الفيّومي ، المصباح المنير في غريب الشّرح الكبير ، ص 136 ، مادّة (ضدد) .

2) – ابن منظور ، لسان العرب ، م 4 ، ج 28 ، ص 2564 ، مادّة (ضدد) .

المحاضرة السّادسة عشرة : علاقة التّضادّ

ومن خلالِ ما سبق ذكره ، يتبيّن أنَّ للضّدّ معاني متقاربة من ناحية ، ومتباينة من ناحية أخرى، فهو المثيلُ والنّظير والشّبيه، وهو المخالفُ ما يعني أنَّ كلمةَ "ضدّ " نفسها تحمل في ثناياها نوعا من التّضادّ. ب- **اصطلاحا:**

التّضادّ في الاصطلاح أخذ مفهومين ، **أحدهما** أنّ اللّفظ الواحد يستعمل في معنيَيْن متضادَّيْن ، نحو لفظ الجَون الذي يستعمل في معنى الأبيض و الأسود، و لفظ الجلل الذي يطلق على الحقير و العظيم (1) ، و **ثانيهما** وجود لفظين يختلفانِ لفظًا ويتضادَّان معنًى ، نحو البياض و السّواد ، السّخاء و البخل و الشّجاعة و الجُبن .(2) ، و يرى **أحمد مختار عمر** أنّ المفهوم الأوّل للتّضادّ هو مفهوم قديم ، بينما المفهوم الثّاني هو مفهوم حديث . [3] ،

و يبدو أنّ مفهوم التّضادّ بهذا الشّكل قد استنتج من خلال الاستعمال الفعليّ له ، فالقدماء كثيرا ما استعملوا التّضادّ في مفهوم دلالة اللّفظ الواحد على معنيين متضادّين ، على الرّغم من استعمالهم أيضا المفهوم الأوّل ، و هو ضدّ الشّيء أيضا ، و المحدثون كثيرا ما استعمل مفهوم التّضادّ في أذهانهم في معنى ضدّ الشّيء ، على الرّغم من اعترافهم أيضا بمفهوم القدماء ، و هو دلالة اللّفظ على معنيين متضادّين .

---

1) – ينظر: قطرب ، كتاب الأضداد ، ص 70 ، الأنباري ، كتاب الأضداد ، ص 7 ، أبو الطّيّب عبد الواحد بن علي اللّغويّ الحلبي (ت 351ه) ، كتاب الأضداد في كلام العرب ، عني بتحقيقه عزّة حسن ، المجمع العلمي العربي ، دمشق ، ط 1 ، 1963م ، دار طلاس للدّراسات و التّرجمة و النّشر ، ط2 ، 1996م ، ص 18 ،ابن فارس ، الصّاحبي ، ص 328 ، محمّد الأنطاكي ، دراسات في فقه اللّغة ، ص 317.

2) – ينظر: أبو الطّيّب اللّغويّ ، كتاب الأضداد في كلام العرب ، ص 33 .

3) – ينظر: ينظر: أحمد مختار عمر ، علم الدّلالة ، ص 191 .

ثانيا : أمثلة عن التّضادّ:

1-الصَّريم : اللّيل ، النّهار.

2- الصّارخ : المُغيثُ ، المُستغيثُ.

3- السُّدْفَة : الظّلمةُ ، الضّوءُ.

4-الجَلَلُ : اليسير ، العظيمُ .

5-الظّنُّ : الشَّكُّ ، العِلمُ . (1)

و من أمثلته في القرآن الكريم :

1-عَسْعَس : أقبل ، أدبر ، و ذلك في قوله تعالى : : ﴿ وَاليْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾ [التّكوير : 17]

2-قُرْءٌ : وقت الطُّهر ، وقت الحيض ، و ذلك في قوله تعالى : ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾ [البقرة : 226] (2)

ثالثا : آراء علماء اللّغة في التّضادّ :

اختلف علماء العربيّة حول وقوع التّضادّ في اللّغة ، فمنهم من أثبته ، مثل **قطرب** الذي جمع في كتابه حوالي مائتي و عشرين (220) لفظة من الألفاظ المتضادّة مستشهدا بآيات من القرآن الكريم و الأبيات الشّعريّة (3) ، **يقول :** « ... ومن هذا اللّفظ الواحد الذي يجيء على معنيين فصاعدا ما يكون متضادّا في الشّيء

---

1) – بنظر : الأنباري ، كتاب الأضداد ، ص 8-9 .

2) – بنظر : أحمد مختار عمر ، الاشتراك و التّضادّ في القرآن الكريم -دراسة إحصائيّة -، ص 139-140 .

3) – بنظر : قطرب ، كتاب الأضداد ، ص 60 .

و ضدّه ، و سنأتي عليه كلّه ،و إنّما خصّصناه بالإخبار عنه لقلّته في كلامهم و لطرافته. » (1)، و **الأصمعي (ت217هـ) و ابن السِّكّيت (ت 244هـ)** و **السّجستاني (ت 275هـ) و الأنباري (ت328هـ)** و **الصّغاني (ت 650هـ)** في كتبهم الموسومة باسم واحد ، و هو " **الأضداد** " ، كما أنكر فريق من علماء اللّغة التّضادّ ، و منهم **ابن درستويه** الذي أنكر التّرادف و المشترك اللّفظيّ ، و صنّف كتابا في إبطال الأضداد (2) ، و كذلك **ابن دريد** في كتابه " **الجمهرة** " و **الأزدي أبو الفتح محمّد بن الحسين (ت 369هـ)** في كتابه " **التّرقيص**" و غيرهم . (3)

رابعا : أسباب وقوع التّضّادّ:

لوقوع التّضادّ في اللّغة العربيّة أسباب كثيرة، يمكن إيجازها على هذا النّحو:

-**الاتّساع :** و هي سمة تتميّز بها اللّغة العربيّة ، يقول **الأنباري** : « و قال آخرون إذا وقع الحرف على معنيين متضادّين ، فالأصل لمعنى واحد ، ثمّ تداخل الاثنان على جهة الاتّساع ، فمن ذلك : الصَّريمُ ، يقال للّيل صريم و للنّهار صريم ...» (4)

- **عموم المعنى الأصليّ** ، و هو تحوّل دلالة اللّفظ من العام إلى الخاصّ، و يطلق اللّفظ بعد تطوّره على العام و الخاصّ، و من أمثلته كلمة " **الطّرب** " التي تطلق على الفرح و الحزن، و أصل معنى الطّرب هو خفّة تصيب الرّجل لشدّة حزنه أو سروره، لكنّه خصّص بمعنى السّرور.(5)

---

1) – ينظر: قطرب ، كتاب الأضداد ، ص 70 .

2) – ينظر: قطرب ، المصدر نفسه ، ص 59، السّيوطي ، المزهر في علوم اللّغة ج 1 ، ص 396 .

3) – بنظر : السّيوطي ، المزهر في علوم اللّغة و أنواعها ج1 ، ص 396-397 .

4) – بنظر: الأنباري ، كتاب الأضداد ، ص 8 .

5) – ينظر: الفيّومي ، المصباح المنير في غريب الشّرح الكبير ، ج 2 ، ص 370 ، مادّة (طرب) .

المحاضرة السّادسة عشرة : علاقة التّضادّ

- **اختلاف اللّهجات :** حيث تختلف القبائل في استعمال دلالة لفظ ما، فقبيلة تستعمله بمعنى و أخرى تستعمله بمعنى متضادّ له ، و من أمثلة ذلك : كلمة " السُّدْفَة " التي تعني في لغة قيس الضّوء ، و بعضهم يجعل السُّدْفَةَ اختلاط الضّوء و الظّلمة معا كوقت ما بين صلاة الفجر إلى الإسفار و " لَقْتُه بمعنى كتبته في لغة بني عقيل ، و بمعنى محوته عند سائر قيس .(1) ، و القَرْءُ عند أهل الحجاز الطّهر ، و عند العراق الحَيْضُ . (2)

- **تداعي المعاني المتضادّة ، و التّلازم الذّهني** : فالضّدّية نوع من العلاقة بين المعاني ، بل ربّما كانت أقرب إلى الذّهن من أيّ علاقة أخرى ، فبمجرّد ذكر معنى من المعاني يتداعى ضدّ هذا المعنى إلى الذّهن تلقائيّا (3)، و من أمثلة ذلك : السُّدْفة التي تعني الظّلمة ، و تعني أيضا الضّوء (4)؛ لأنّ المعنى الأوّل يستدعي ضدّه مباشرة المعنى الثّاني .

- **زيادة القوّة التّعبيريّة :** إذا أراد المتحدّث المبالغة في التّعبير عن شيء عبّر عنه بضدّ معناه ، ومن مثل ذلك أنّ أحد الخلفاء العرب في الأندلس سمّى إحدى جواريه بالقبيحة لشدّة حسنها و جمالها (5)

---

1) – ينظر: السّيوطي ، المزهر في علوم اللّغة و أنواعها ، ج1 ، ص 396.

2) – ينظر: ابن السِّكّيت ، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق (ت 244هـ)، كتاب الأضداد ، ص 163 ، ضمن ثلاثة كتب " الأضداد " للأصمعي و للسِّجستاني و لابن السِّكِّيت ، نشرها أوغت هَفْنِر ،المطبعة الكاثوليكيّة للآباء اليسوعيين ، بيروت ، 1912م ،

3) – ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدّلالة ، ص 208-209 ، إبراهيم أنيس ، في اللّهجات العربيّة ، ص 207 .

4) – ينظر: الأنباري ، كتاب الأضداد ، ص 8 .

5) – ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدّلالة ، ص 209 .

- **المجاز و الاستعارة :** و أوضح مثال لهذا العامل هو إطلاق كلمة " الأمّة " على الجماعة و على الفرد ، فقد يكون إطلاقها على الجماعة إطلاقا حقيقيّا ، و إطلاقها على الفرد مجازيّا ، إذ يقال للعالِم كان أمّة واحدة ، يعني أنّه كان في رجحان عقله و حدّة ذكائه جماعة بأسرها ، فاستعير له كلمة " أمّة " التي تطلق في العادة على الجماعة . (1)

-**احتمال الصّيغ الصّرفيّة للمعنيين** ، ممّا أدّى إلى نشوء التّضادّ في معاني هذه الصّيغ ، و من أمثلة ذلك :

أ- استعمال صيغة " **فاعِل**" بمعنى " **مفعول** " ، أو صيغة " **مفعول** " بمعنى " **فاعِل**" ، يقول **ابن مالك (ت 672هـ)** : « و رُبَّمَا خَلَفَ فَاعِلٌ مَفْعُولاً ، و مَفْعُولٌ فَاعِلاً » [2] ، و من أمثلة دلالة صيغة " **فاعِل**" على " **مفْعُول** " ، قوله تعالى : ﴿ **فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ** ﴾**[الحاقّة : 20]** ، حيث احتملت صيغة " **راضيّة** " دلالة اسم الفاعل ، بمعنى راضية ، أي « في حالة من العيش ، راضية يرضاها ، بأن لقي الثّواب و أمن العقاب » (3) ؛ أي : أنّ العيشة قد رضيت عن نفسها عندما صادفت من استحقّها من أهلها ، فالمقام كلّه

---

1) – ينظر: رمضان عبد التّوّاب ، فصول في فقه العربيّة ، ص 352 .

2)– ابن مالك جمال الدّين أبو عبد الله محمّد بن عبد الله (ت 672هـ) ، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ، تحقيق محمّد كامل بركات ، المكتبة العربيّة القاهرة ، مصر ، 1387 هـ – 1967 م . ص 136 .

3)- ينظر: الطّبرسي : أبو علي الفضل بن الحَسن (ت 548هـ) ، مجمعُ البيانِ في تفسير القرآن ، دار المرتضى ، بيروت ، لبنان ، ط 1 1427 هـ ، 2006 م ، ج 10 ، ص 83 .

رضا ، هي راضية عن أهلها ، و هم راضون بما نالوه منها . (1) ، و احتملت في الوقت نفسه دلالة اسم المفعول ، أي في عيشة مرضيّة ، وقد ذهب هذا المذهب كثير من اللّغويين و المفسّرين .[2]

ومن أمثلة دلالة صيغة " **مفعول**" على " **فَاعِل**" ، قوله تعالى : ﴿ **فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُوراً** ﴾ **[الإسراء : 101]** ، حيث احتملت صيغة **"مسحورا "** دلالة اسم المفعول ، و هو مذهب ذهب إلى تأكيده مجموعة من العلماء [3] ، يقول **ابن قيّم الجوزيّة (ت 751 هـ)** مؤكّدا هذه الدّلالة : « أنّ

---

[1]- ينظر: طه محمّد الجندي : التّناوب الدّلالي بين صيغ الوصف العامل ، دار الكتب المصريّة ، ص 67 .

[2]– ينظر: الفرّاء ، أبو زكريا يحي بن زياد بن عبد الله (ت 207 هـ) ، معاني القرآن ، قدّم له وعلّق عليه ووضع حواشيه و فهارسه ، إبراهيم شمس الدّين منشورات ، محمّد علي بيضون ، دار الكتب العلميّة بيروت ، لبنان ط1 1423هـ ، 2002 م، م 3 ، ص 80 ، الطّبري ، محمّد بن جرير، (ت 310 هـ) ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، هذّبه و حقّقه و ضبط نصّه و علّق عليه بشّار عوّاد معروف ، عصام فارس الحرثاني ، مؤسّسة الرّسالة ، بيروت ، لبنان ، ط 1 1415 هـ ، 1994 م ، م 7 ،ص 362 ، العُكْبُرِي ، أبو البقاء عبد الله بن الحُسَيْن (ت 616 هـ) ، التِّبيانُ في إعرابِ القرآنِ ، تحقيق علي محمّد البجاوي ، مطبعة عيسى البابي وشركاؤه ، القسم الثّاني ، ص 1237 ، السّمين الحلبي ، أحمد بن يوسف ، (ت 756 هـ) ، الدُّرُّ المَصُونُ في علوم الكتابِ المكنونِ ، تحقيق أحمد محمّد الخَرّاط ، دار القلم دمشق .ج 10 ،ص 334 .

[3]– ينظر: الزّجّاج : الزّجّاج ، أبو إسحاق إبراهيم بن السَّرِي ، (ت 311) ، معاني القرآن و إعرابُه ، شرح و تحقيق عبد الجليل عبده شلبي ، عالم الكتب بيروت لبنان ، ط 1 ، 1408 هـ - 1988 م ، ج 3 ، ص 263 ، الزّمخشري ، أبو القاسم ، جار الله محمود بن عمر (ت 538)، الكشّاف عن حقائق التّنزيل وعيون التّأويل في وجوه التّأويل ، و بهامشه الانتصاف للإمام أحمد بن المنير ، علّق على مشكله و شرح أبياته و معضله الشّربيني شريدة ، دار الحديث ، القاهرة ، 1433هـ-2012 م. ، م 2 ، ص 663 ، البيضاوي، ناصر الدّين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمّد الشّيرازي (ت 791 هـ) ، أنوار التّنزيل و أسرار التّأويل المسمّى تفسير البيضاوي ، حققه و علّق عليه وخرّج أحاديثه و ضبط نصّه محمّد صبحي بن حسن حلاّق ، محمود أحمد الأطرش ، دار الرّشيد ، دمشق بيروت ، مؤسّسة

المسحور على بابه ، وهو مَنْ سُحِرَ حتى جُنّ ، فقالوا : مسحورٌ ، مثل مجنون زائل العقل لا يَعْقِلُ ما يقول ، فإنّ المسحور الذي لا يُتَّبعُ : هو الذي قد فسد عقلُه بحيث لا يدري ما يقول فهو كالمجنون » (1) ، و يرجع سبب هذا الوصف بالذّات إلى أنّ فرعون يرى موسى مسحورا بسبب كلامه الغريب عن نهج فرعون في قومه ، فكأنّه قال له " سُحرت فاختلّ عقلك " ، و لذلك اختلّ كلامك و ادّعيتَ ما ادّعيّتَ (2) .

و احتملت في الوقت نفسه دلالة اسم الفاعل **" ساحر "** ، و قد ذهب إلى هذا المذهب مجموعة من العلماء (3) ، يقول **الطّبري (ت 310 ه)** : « و قد يجوز أن يكون المراد ، إنّي لأظنّك يا موسى ساحرا ، فوضع مفعول موضعَ فاعلٍ ، كما قيل إنّك مشؤومٌ علينا وميمونٌ ، وإنّما هو شائمٌ ، و يامنٌ و قد تأوّل بعضهم حجابا

الإيمان ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1421 ه ، 2000 م ، م 2 ج 15 ،ص 322 ، ابن قَيِّم الجَوزية ، أبو عبد الله محمّد بن أبي بكر بن أيّوب (ت 751 ه) ، بدائع الفوائد ، تحقيق علي بن محمّد العمران ، إشراف بكر بن عبد الله أبوزيد دار عالم للفوائد للنّشر و التّوزيع ، جدّة ، السّعوديّة ، م 2 ، ص 744 ، أبو حيّان الأندلسي ، أثير الدّين أبو عبد الله محمّد بن يوسف(ت 754 ه) ، البحر المحيط ، دراسة و تحقيق و تعليق عادل أحمد عبد الموجود ، علي محمد معوّض وآخرين ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، لبنان ط1 ، 1413 ه – 1993 م ، ج 6 ، ص 83 ، السّمين الحلبي ، أحمد بن يوسف ، (ت 756 ه) ، الدرُّ المَصُونُ في علوم الكتابِ المكنونِ ، تحقيق أحمد محمّد الخَرّاط ، دار القلم ، دمشق ،، ج 7 ، ص 422 ، الشَّوْكَانِي ، محمّد بن علي بن محمّد (ت 1250 ه) ، فَتْحُ القَدِيرِ الجَامِعِ بين فنّي الرِّوايةِ و الدِّرايةِ من علم التّفسير ، اعتنى به وراجع أصوله يوسف الغُوش ، دار المعرفة بيروت ، لبنان ، ط 4 ، 1428 ه ، 2007 م ، ج 15 / ص 845 .

[1]- ابن قيّم الجَوزية : المصدر السّابق ، م 2 / ص 744 .

[2]- الألوسي : المصدر السّابق ، 8 / ج 15 / ص 251 .

[3]– ينظر: الطّبري : المصدر السّابق ، م 5 / ص 72 ، أبو حيّان الأندلسي : المصدر السّابق ، ج 6 / ص 83 السّمين الحلبي : المصدر السّابق ، ج 7 / ص 422 ، الشَّوْكَانِي ، المصدر السّابق ، ج 15 ،ص 845 ، الألوسي ، المصدر السّابق ، م 8 ،ج 15 / ص 251 .

مستورا بمعنى حجابا ساترا ، والعرب قد تخرج فاعلاً بلفظِ مفعولٍ كثيرا » (1) ، و يرجع سبب وصف فرعون موسى عليه السّلام بأنّه ساحر لما رآه منه من قلب العصا ونحوِه .(2) (3)

ب-استعمال صيغة " **فَعُول** " في العربيّة بمعنى " **فاعِل** " ، مثل : شكور ، غفور ، كفور ، كما تستعمل أحيانا بمعنى " **مَفْعُول** " ، مثل : " **رسول** " بمعنى " **مُرْسَل**" ، و ناقة " **سَلُوب**" بمعنى " **مسلوبة** " .

ج- استعمال صيغة " **فعيل**" بمعنى " **فاعِل** " ، مثل : سميع ، عليم ، قدير ، كما تستعمل بمعنى " **مفعول**" **، مثل : رهين ، مرهون ، كحيل ، مكحول ، جريح ، مجروح و غيرها** .(4)

د- استعمال صيغة " **مفتَعَل**" للدّلالة على اسميّ الفاعل و المفعول ، نحو: مُخْتَار ، مُبْتَاعٌ ، مُرْتَدٌّ ، مُجْتَاحٌ ، مُغْتَابٌ ، على الرّغم من اختلاف أصليهما.(5)

-الاقتراض من لغة أجنبيّة: حيث تتأثر اللّغات أيضا ببعضها بفعل عامل الاحتكاك و الهجرة و من أمثلة ذلك كلمة " جلل" التي قيل بأنّ العربيّة أخذتها من العبريّة ، وهي فيها بمعنى دحرج ، و الشّيء المدحرج يكون ثقيلا أحيانا ،وخفيفا أحيانا أخرى ، فقد اعتمدت العربيّة على هذين الإيحائين المتضادّين للكلمة الواحدة ، و أعطتها معنيين متضادّين هما: عظيم وحقير .(6)

---

[1]) – الطّبري : المصدر السّابق ، م 5 / ص 72 .

[2]) – ينظر: السّمين الحلبي : المصدر السّابق ، ج 7 / ص 422 ، الألوسي : المصدر السّابق ، 8 / ج 15 / ص 251.

[3]) – ملاحظة : أخذت هذه الأمثلة مع تحليلاتها من رسالة الدّكتوراه ، الموسومة : التّوسّع الدّلاليّ للصّيغ الصّرفيّة الاسميّة في القرآن الكريم -دراسة صرفيّة دلاليّة - للباحثة نفسها ، إشراف محي الدّين سالم ، قسم الآداب و اللّغة العربيّة ، جامعة الإخوة منتوري قسنطينة 1، 2017-2018م ، ينظر الباب الثّاني ، الفصل الأوّل ، التّوسّع الدّلاليّ لصيغ اسم الفاعل و اسم المفعول .

4) – ينظر: رمضان عبد التّوّاب ، فصول في فقه العربيّة ، ص 353 ...355 .

5) – ينظر: رمضان عبد التّوّاب ، المرجع نفسه ، ص 354-355 .

6) – ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدّلالة ، ص 204-205 .

المحاضرة السّادسة عشرة : علاقة التّضادّ

-**التّفاؤل :** للحالة النّفسية أثر كبير في دلالة الألفاظ ، فالتّفاؤل و التّشاؤم من غرائز الإنسان التي تسيطر على عاداته في التّعبير إلى حدّ كبير، فإذا شاء المرء التّعبير عن معنى سيّئ ، تشاءم من ذكر الكلمة الخاصّة به و عدل عنها إلى غيرها ، فجميع الكلمات التي تعبّر عن الموت و الأمراض و المصائب و الكوارث يفرّ منها الإنسان ، و يكنّى عنها بكلمات حسنة المعنى قريبة إلى الخير، و هذه الظّاهرة هي ما يطلق عليها اسم اللاّمساس أو الحظر [1] ، ومن أمثلة ذلك أنّ الشّجاع يطلق في العربيّة على القويّ و على الضّعيف ، أمّا إطلاقه على الضّعيف فهو على التّفاؤل بشجاعته [2]، و يطلق أيضا على العطشان " ناهل و ريّان " على سبيل التّفاؤل أيضا . ،كما يطلق على اللّديغ سليم ، و إطلاقه على السّليم فهو على التّفاؤل بسلامته و برئه من علّته . [3]

-**التّهكّم :** ومن أمثلته إطلاق كلمة " عاقل " على " المجنون " ، و " فصيح" على المتعثّر في نطقه . (4)

-**التّأدّب :** و من أمثلته : إطلاق اسم " البصير" على الأعمى ، و إطلاق " مولى " الذي هو بمعنى السّيّد على العبد .(5)

---

1) – ينظر: إبراهيم أنيس ، في اللّهجات العربيّة ، 208 – 209 ، رمضان عبد التّوّاب ، فصول في فقه العربيّة ، ص345- 347-348 .

2) – ينظر: قطرب ، كتاب الأضداد ، 118ص ، رمضان عبد التّوّاب ، فصول في فقه العربيّة ، ص 347-348.

3) – ينظر: الأنباري ، كتاب الأضداد ، ص 105-106-116، رمضان عبد التّوّاب ، فصول في فقه العربيّة ، ص 347-348.

4) – ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدّلالة ، ص 206 ، رمضان عبد التّوّاب ، فصول في فقه العربيّة ، ص 349.

5) – ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدّلالة ، ص 206.

-**الخوف من الحسد** : ومن أمثلته إطلاق وصف " الشّوهاء " على المهرة الجميلة ،وهو في الأصل وصف للمهرة القبيحة . (1)

خامسا : أنواع التّضادّ :

يوجز الدّرس اللّغويّ الحديث التّضادّ في أنواع ، هي :

1-التّضادّ الحادّ ، غير المتدرّج : نحو : حي ، ميّت / ذكر أنثى / وهذه المتضادّات تقسّم عالم الكلام بحسم دون الاعتراف بدرجات أقلّ أو أكثر، و تميّزه بنفي أحد طرفيّ التّقابل الذي يساوي الثّاني كاملا . نحو : غير متزوّج ، أعزب ، ليس ذكرا ، أنثى .

2-**التّضاد المتدرّج:** نحو: ساخن، بارد ، في قولنا : الحساء ليس ساخنا ، فليس بالضّرورة أنّه بارد ، و قد يكون فاترا ، فهو تضاد نسبي .

3- **تضادّ العكس :** و هو علاقة بين ثنائيّات من الكلمات ، نحو : باع عكس اشترى ، محمّد باع لعلي منزلا ، علي اشترى من محمّد منزلا .

4- التّضادّ الاتّجاهي : يرتبط بكلمات خاصّة ، وهي ألفاظ الجهات ، نحو: أعلى ، أسفل ، أمام ، خلف تحت ، فوق . (2)

وخلاصة القول، فإنّ التّضادّ في العربيّة سمة بارزة فيها و خاصيّة تتميّز بها، و قد قصد به في التّراث العربيّ و في الدّرس اللّغويّ الحديث دلالة اللّفظ الواحد على معنيين متضادّين، و في الوقت نفسه دلّ أيضا على الشّيء و نقيضه ، و قد عدّ التّضادّ ضربا من الاشتراك اللّفظيّ، وقد تعدّدت أسباب وقوعه ما بين أسباب

---

1) – ينظر : رمضان عبد التّوّاب ، فصول في فقه العربيّة ، ص 350 .

2) – ينظر : أحمد مختار عمر ، علم الدّلالة ، ص 102...106.

داخليّة ، و أخرى خارجيّة ، و قد تفرّع عن كلّ قسم تفريعات عدّة كلّها أسهمت في توضيح أسباب وقوعه و طرائقه.

الخاتمـــــــة

الخاتمة :

بعد هذه الجولة الممتعة في رحاب البحث في التّطوّر اللّغويّ بصورة عامّة و التّطوّر الدّلاليّ بصورة خاصّة ، و التي أعتقد أنّها جولة مازالت تحتاج إلى قراءات أخرى ، إمّا موسّعة لما تحتويه مظانّها ، و إمّا مختلفة الرّؤى عمّا بدا لنا من طروحات ، يمكننا ذكر بعض النّتائج :

- تطوُّر اللّغة بوجه عام شبيهٌ بتطوُّر المجتمعات البشريَّة ، فكما تتطوّر هذه المجتمعات في حضارتها و ثقافتها و فكرها ، تتطوّر اللّغة أيضا .

- تطوّر اللّغة ما هو إلاّ انعكاس لتطوّر المجتمع ، فالمجتمع في تطوّر مستمرّ و يعقب هذا التّطوّر تغيّر في أنظمتها ، فتغيّر اللّغة نتيجة حتميّة لتغيّر المجتمع و العكس .

- قسّمت آراء اللّغويين و الدّارسين المحدثين و المعاصرين حول مفهوم التّطوّر اللّغويّ في ضوء قراءتنا للموضوع إلى ثلاثة اتّجاهات ؛ اتّجاه أوّل يستعمل التّطوّر اللّغويّ بمعنى يخالف معنى التّغيّر اللّغويّ ، و اتّجاه ثان يستعمل التّطوّر اللّغويّ بمعنى التّغيّر اللّغويّ دون التّفريق بينهما ،

و اتّجاه ثالث يستعمل التّطوّر اللّغويّ بمعنى الأطوار التّاريخيّة التي تمرّ بها اللّغة بغضّ النّظر عن تقييمها ، و أكثر الاتّجاهات ذيوعا هو الاتّجاه الثّاني ، حيث استخدم لفظ التّطوّر في غالبيته عند اللّغويين المحدثين و المعاصرين بمعنى مطلق التّغيّر سواء أكان هذا التّغيّر سلبيّا أم إيجابيّا ، فليس الهدف هو الحكم على هذا التّطوّر و تقييمه ، و إنّما تتبّع هذا التّطوّر و رصد كلّ التّحوّلات و التّغيّرات التي تحصل للّغة في مختلف مستوياتها .

-هناك فرق بين التّطوّر الذي يحصل في مختلف مستويات اللّغة ، فهناك مستويات تكون أكثر عرضة للتّطوّر ومستويات تكون أقلّ عرضة ، فالمفردات هي أكثر المستويات عرضة للتّطوّر على خلاف المستويات الأخرى الصّوتية و الصّرفيّة و النّحويّة ، و يلي المستوى الدّلاليّ مستوى الأصوات الذي يكون تطوّره أكثر وضوحا من المستويين الصّرفيّ و النّحويّ .

- التّطوّر اللّغويّ لا يقع اعتباطا دون ضوابط ، بل يحدث وفقا لقوانين صوتيّة وقوانين خاصّة بالمعنى ، ممثّلة في مظاهره و أشكاله .

- اتّخذ مفهوم التّطوّر اللّغويّ في الفكرين التّراثي العربيّ و الفكر اللّساني المعاصر اتّجاهين مختلفين ؛ فما عُدّ لحنا و خروجا عمّا هو مألوف في كلام العرب الأوائل في نظر علماء العربيّة القدماء ، عدّ من وجهة نظر علم اللّغة الحديث في أحد توجّهاته تطوّرا يحصل للّغة في مختلف أنظمتها لا يمكن تجاهله. - يصعب الإلمام بجميع جوانب التّطوّر الدّلالي و أسبابه و عوامله ، كما يصعب أيضا حصرها بصورة دقيقة ، و مردّ ذلك إلى تشعّبها من جهة ، و إلى تداخلها من جهة أخرى ، فالسّبب الواحد يمكن أن يكون ذا وجهين أو أكثر ، ممّا جعل الباحثين على اختلاف في طريقة تقسيم هذه الأسباب ، فلكلّ منهم رؤيته الخاصّة في تقسيمها ، فهناك من قسّمها إلى أسباب و عوامل داخليّة تخصّ اللّغة و أسباب و عوامل خارجيّة تخصّ العوامل و الأسباب الاجتماعيّة و التّاريخية و النّفسيّة و غيرها ، و هناك من لم يفصل بين هذه الأسباب و العوامل ، بل أدرجها مجملة دون فصل ،و لم يتوقّف اختلافهم عند حدود طريقة تقسيم هذه الأسباب ، بل تعدّى ذلك إلى الاختلاف أيضا في استعمال المصطلحات و في توضيح هذه الأسباب عن طريق التّمثيل لها بالأمثلة و الشّواهد ، فقد تجد بعض الأمثلة مدرجة عند باحث ما ضمن عامل الاستعمال ، و تجد الأمثلة نفسها مدرجة عند باحث آخر ضمن الأسباب و العوامل الاجتماعيّة أو التّاريخيّة أو النّفسيّة .

-يقسّم التّطوّر الدّلاليّ إلى أقسام ، وهي التّطوّر الصّوتيّ ، والتّطوّر الصّرفيّ ، و التّطوّر النّحويّ ، و التّطوّر الأسلوبيّ ، و تطوّر المعنى ، وقد كان التّطوّر الصّوتيّ و تطوّر المعنى أكثر وضوحا و بروزا مقارنة مع بقيّة الأقسام الأخرى ، إذ و على الرّغم من تحديد بعض المظاهر التي يبرز فيها التّطوّر في تلك الأقسام ، إلاّ أنّه يبقى محدودا فيها .

-تتجلى مظاهر التّطور الدّلالي حسب ما ذهب إليه علماء اللّغة المحدثين والقدامى في ثلاثة مظاهر تعميم الدّلالة أو توسيعها ، وتخصيصها أو تضييقها ، و تغيّر مجال استعمالها أو انتقالها .

-يعدّ التّطور الدّلاليّ أحد جوانب التّطور اللّغويّ، ميدانه الكلمات ومعانيها، ومعاني الكلمات لا تستقر على حال، بلّ هي في تغيّر مستمر لا تتوقف ما دامت الحياة قائمة بين بني البشر .

-العلاقة بين الدّال والمدلول ليست ضروريّة دائما ، بل هي اصطلاحيّة أيضا ، فقد تكون هناك مطابقة بين الألفاظ و مدلولاتها في كثير من الأحيان ، لكنّ الإسراف في القول بالعلاقة الضّروريّة ، حيث تحدّد المناسبة بين كلّ الألفاظ و مدلولاتها أمر يدخلنا في باب التّعسّف ، ففي هذا الأمر تشكيك في قابليّة اللّغة للتّطوّر اللّغويّ ، و دعوة صريحة لجمودها و ثباتها ، و في الوقت نفسه فإنّ نفي هذه العلاقة إلغاء للعلاقة الواضحة بين كثير من الألفاظ و مدلولاتها ، و إلغاء لطبيعة اللّغة في حدّ ذاتها .

-للعلاقات الدّلاليّة (التّرادف ، الاشتراك اللّفظيّ ، التّضادّ) علاقة تلازميّة بالتّطوّر الدّلاليّ ، فهي أسباب رئيسة في حدوث التّطوّر الدّلاليّ ، و في الوقت نفسه فإنّ التّطوّر الدّلاليّ هو الآخر سبب رئيس في حدوث هذه الثّروة اللّغويّة ، فكلاهما يمثّل للآخر سببا و نتيجة من نتائجه .

- العلاقات الدّلاليّة (التّرادف ، الاشتراك اللّفظيّ ، التّضادّ) فضيلة للعربيّة تفخر بها على غيرها ودليل على سعتها و غناها وثراء مفرداتها ومعانيها في الإبانة و التّعبير .

و صفوة القول إنّنا لا ندّعي أنّنا قد أحطنا بكلّ قضايا هذا المقياس ، بل إنّ قضاياه مازالت تحتاج إلى مناقشات و طروحات أخرى أكثر توسيعا ، فإن سمحت لنا الفرصة مرّة أخرى للكتابة في مثل هذه القضايا ، فحتما ستكون هناك إضافات أخرى تضاف لها ، بل قد يعاد طرح بعض قضاياها بشكل مغاير لما تمّ طرحه ؛ لأنّ المكان و الزّمان كانا عاملين رئيسين في طرح و توجيه هذه القضايا على نحو خاصّ ، ففي بعض الأحيان طرحت بشكل مختصر ، و في بعضها الآخر بشكل مطوّل ، و في أحايين أخرى دون مناقشة بعض القضايا التي تستدعي في حقيقة الأمر الاستفاضة في مناقشتها و إبداء الرّأي فيها .

و لذلك ، فإنّ هذه المحاضرات ، ماهي إلاّ إرهاصات أولى فقط لمحاضرات أخرى ، وهي في حاجة ماسّة إلى دراسات أكاديميّة أخرى متخصّصة في مجال علم الدّلالة ، و بالضّبط في مجال التّطوّر اللّغويّ بصورة عامّة و التّطوّر الدّلاليّ بصورة خاصّة بغية الوصول إلى كنهها الحقيقيّة .

و آخر دعوانا أنّ الحمد للّه ربّ العالمين .

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر و المراجع :

-القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

أوّلا : الكتب باللّغة العربيّة :

-إبراهيم أنيس ، من أسرار اللّغة ، مكتبة الأنجلو المصريّة ، القاهرة ، ط3 ، 1966م .

، من أسرار اللّغة ، مكتبة الأنجلو المصريّة ، ط6 ، 1978 م .

، دلالة الألفاظ ، النّاشر ، مكتبة الأنجلو المصريّة ، ط3 ، 1976م .

، في اللّهجات العربيّة ، مكتبة الأنجلو المصريّة ، القاهرة ، ط 8 ، 1992 م.

- إبراهيم السّامرائي ، التّطوّر اللّغويّ التّاريخيّ ، دار الأندلس ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1401هـ - 1981م .

، النّحو العربي في مواجهة العصر ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1415هـ - 1995م .

- أحمد محمّد قدّور ، مصنّفات اللّحن و التّثقيف اللّغوي حتّى أواخر القرن العاشر الهجري ، منشورات وزارة الثّقافة في الجمهوريّة العربيّة السّورية ، دمشق 1996 م .

- أحمد مختار عمر، البحث اللّغويّ عند الهنود و أثره على اللّغويين العرب، دار الثّقافة ، بيروت ،1972م .

- ، علم الدّلالة، عالم الكتب ، القاهرة ، ط 1 ، 1985 م ، ط 2، 1988م ، ط 3 ، 1991م ، ط4 ، 1993 م ، ط 5 ، 1998م .

، الاشتراك و التّضاد في القرآن الكريم دراسة إحصائيّة، عالم الكتب، القاهرة، ط1 ، 1432هـ -2003م .

-أحمد مختار عمر بمساعدة فريق عمل ، معجم الصّواب اللّغويّ ، دليلُ المثقَّفُ العربيّ ، النّاشر ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط 1 ، 1429هـ- 2008م

،معجم اللّغة العربيّة المعاصرة ، عالم الكتب ، القاهرة ، مصر ، ط 1 ، 1429 هـ- 2008 م .

-الأزهري : أبو منصور محمّد بن أحمد بن الأزهري (ت 370هـ) ، تهذيب اللّغة ، إشراف محمّد عوض مرعب ، تعليق عَمر سَلامي ، عبد الكريم حامد ، تقديم فاطمة محمّد أصلان ، دار إحياء التّراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ،1421 هـ - 2001م.

-إسماعيل أحمد عمايرة ، المستشرقون و المناهج اللّغويّة ، دار حنين ، عمان ، الأردن ، ط 2 ، 1992 م .

-الأصمعي ، عبد الملك بن قريب (ت 217هـ) ، ما اختلفت ألفاظه و اتّفقت معانيه ، تحقيق و شرح و تعليق ماجد حسن الذّهبي ، دار الفكر للطّباعة و التّوزيع و النّشر ، دمشق ، سوريّة ، ط1 ، 1406 هـ 1986م .

-الأصمعي و السِّجستاني و ابن السِّكِّيت ، ثلاثة كتب " الأضداد " نشرها أوغت هَفْنِر ،المطبعة الكاثوليكيّة للآباء اليسوعيين ، بيروت ، 1912م .

-ابن الإمام التّونُسيِّ ،الجُمانة في إزالة الرَّطانة ، بحث في لغة التّخاطب في الأندلس و تونس ، مهّد له و حقّقه و علّق عليه حسن حسني عبد الوهّاب ، دار المقتبس ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1435هـ - 2014م .

الأنباري ، محمّد بن القاسم (ت 328هـ) ، كتاب الأضداد ، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصريّة ، صيدا ، بيروت ، 1407هـ - 1987 م .

-الأندلسي ، أبو حيّان ، أثير الدّين أبو عبد الله محمّد بن يوسف(ت 754 ه) ، البحر المحيط ، دراسة و تحقيق و تعليق عادل أحمد عبد الموجود ، علي محمد معوّض وآخرين ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، لبنان ط1 ، 1413 ه – 1993 م.

-برجشتراسر ، التّطوّر النّحوي للّغة العربيّة ، أخرجه و صحّحه و علّق عليه رمضان عبد التّوّاب ، النّاشر مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط 2 ، 1414ه - 1994م.

-البيضاوي، ناصر الدّين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمّد الشّيرازي (ت 791 ه) ، أنوار التّنزيل و أسرار التّأويل المسمّى تفسير البيضاوي ، حققه و علّق عليه وخرّج أحاديثه و ضبط نصّه محمّد صبحي بن حسن حلاّق ، محمود أحمد الأطرش دار الرّشيد ، دمشق بيروت ، مؤسّسة الإيمان ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1421 ه ، 2000 م .

-تمّام حسّان ، اللّغة العربيّة معناها و مبناها ، دار الثّقافة ، الدّار البيضاء ، المغرب ، ط 1994م

- ، اللّغة بين المعياريّة و الوصفيّة ، عالم الكتب ، القاهرة ، 2000م .

-الجرجاني ، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرّحمن بن محمّد (ت 471ه أو 474ه) ، أسرار البلاغة في علم البيان ، تصحيح محمّد عبده ، تعليق محمّد رشيد رضا ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1409 ه – 1988 م .

، دلائل الإعجاز ، قرأه و علّق عليه أبو فهر محمود محمّد شاكر ، مكتبة الخانجي ، مطبعة المدني.

جُرجي زيدان ، اللّغة العربيّة كائن حيّ ، مؤسّسة هنداوي للتّعليم و الثّقافة ، القاهرة ، مصر .

- ابن جنّي ، أبو الفتح عثمان بن جنّي (ت 392ه) ، الخصائص ، تحقيق محمّد علي النّجّار ، دار الكتب المصريّة ، المكتبة العلميّة .

، سرُّ صناعة الإعرابِ ، دراسة و تحقيق حسن هنداوي.

-جوزيف فندريس ، اللّغة ، تعريب عبد الحميد الدّواخلي ، محمد القصّاص ، الناشر ، مكتبة الأنجلو المصرية ، مطبعة لجنة البيان العربي.

-الحافظ أبو عبد الله محمّد بن يزيد القزويني (ت 275هـ) ، سُنَنُ ابن ماجة ،حقّق نصوصه و رقّم كتبه و أبوابه و أحاديثه و علّق عليه محمّد فؤاد عبد الباقي ، مطبعة دار إحياء الكتب العربيّة .

-حاكم مالك لعيبي الزّيادي ، التّرادف في اللّغة ، دار الحرّيّة ، بغداد ، 1400هـ - 1980م.

-حسن ظاظا : اللّسان والإنسان- مدخل إلى معرفة اللّغة ، دار القلم ، دمشق ، الدّار الشّامية، بيروت ط2 ، 1410 هـ - 1990م .

-حسين مجيب المصري ، المعجم الفارسي العربي الجامع ، المكتبة الإنجلو المصريّة ، القاهرة ، 1984م .

--حلمي خليل ، المولّد في العربيّة ، دراسة في نموّ اللّغة العربيّة و تطوّرها بعد الإسلام ، دار النّهضة العربيّة للطّباعة و النّشر ، بيروت ، لبنان ، ط 2 ، 1405 هـ – 1985 م.

-خديجة الحديثي ، أبنية الصّرف في كتاب سيبويه ، منشورات مكتبة النّهضة ، بغداد ، ط1 ، 1385هـ - 1965م .

خالد بن سعود بن فارس العصيمي ، القرارات النّحويّة و التّصريفيّة لمجمع اللّغة العربيّة جمعا و دراسة و تقويما إلى نهاية الدّورة الحادية و السّتّين عام 1415هـ - 1995م .

- الخطّابي ، أبو سليمان ، حمد بن محمّد بن إبراهيم الخطّابي البُستي (388هـ) ، غريب الحديث ، تحقيق عبد الكريم إبراهيم العزباوي ، دار الفكر ، دمشق ، 1402هـ – 1982م.

-الخطيب الإسكافي ، أبو عبد الله محمّد بن عبد الله (ت 421 هـ) ، مبادئ اللّغة مع شرح أبياته ، دراسة و تحقيق عبد المجيد دياب ، دار الفضيلة ، القاهرة ، مصر .

-الخطيب القزويني ، جلال الدّين محمّد بن عبد الرّحمن بن عمر بن أحمد بن محمّد (ت 739هـ) ، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني و البيان و البديع ، تحقيق إبراهيم شمس الدّين ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1424هـ - 2003م.

- الخفَاجي ، شهاب الدّين أحمد بن محمّد بن عمر (ت 1069هـ) ، شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدّخيل ، قدّم له و صحّحه و وثّق نصوصه و شرح غريبه محمّد كشّاش ، منشورات محمّد علي بيضون ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1418هـ- 1998

-ابن دُرُسْتَوَيْه ، أبو محمد عبد الله بن جعفر (ت 330هـ) ، تصحيح الفصيح و شرحه ، تحقيق محمّد بدوي المختون ، مراجعة رمضان عبد التّوّاب ، وزارة الأوقاف ، المجلس الأعلى للشّؤون الإسلاميّة ، القاهرة .

-ابن دريد ، محمّد بن الحسن ، بن دريد الأزدي البصري (ت 321هـ) ، جمهرة اللّغة ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية الكائنة ببلدة حيدر آباد الدّكن ، 1345هـ

-الرّازي ، أبو حاتم أحمد بن حمدان (ت 322هـ) ، كتاب الزّينة في الكلمات الإسلاميّة العربيّة ، عارضه بأصوله و علّق عليه حسين بن فيض الله الهمداني اليعبري الحرازي ، مركز الدّراسات و البحوث اليمني ، صنعاء ، ط 1 ، 1415هـ -1994م.

-الرّاغب الأصفهاني ، أبو القاسم الحسين بن محمّد ، المفردات في غريب القرآن ، تمّ التّحقيق و الإعداد بمركز الدراسات و البحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز ، مكتبة نزار مصطفى الباز.

-الرُّمَّاني ، أبو الحسن علي بن عيسى (ت 384هـ) ، الألفاظ المترادفة المتقاربة المعنى ، جقّقها ، و قدّم لها ، و علّق عليها فتح الله صالح علي المصري ، دار الوفاء للطّباعة و النّشر والتّوزيع ، المنصورة ، ط1 ، 1407هـ - 1987م.

-رمضان عبد التّوّاب ، المدخل إلى علم اللّغة و مناهج البحث اللّغويّ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ط2 ، 1405هـ -1985م

، التّطوّر اللّغوي ، مظاهره و علله و قوانينه ، النّاشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط 3 -1417هـ ، 1997م .

- ، فصول في فقه العربيّة ، مكتبة الخانجي للطّباعة و النّشر و التّوزيع ، القاهرة ، ط 6، 1420هـ - 1999م .

- ، لحن العامّة و التّطوّر اللّغويّ ، النّاشر مكتبة زهراء الشّرق ، ط2 ، 2000م ، القاهرة .

-الزّبيدي ، أبو بكر محمّد بن حسن بن منْجِج (ت 379هـ)، لحن العوام ، تحقيق رمضان عبد التّوّاب ، نقد عبد العزيز مطر ، القاهرة ، م 1964.

الزّبيدي ، لحن العوام ، تحقيق رمضان عبد التّوّاب ، النّاشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط 2 ، 1420هـ - 2000م .

-الزّبيدي ، السّيّد محمّد مرتضى الحسيني (ت 1205هـ) ، تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق عبد السّلام محمّد هارون ، راجعته لجنة فنّية من وزارة الإرشاد و الأنباء ، مطبعة حكومة الكوّيت ، 1415هـ – 1994م

-الزّجّاج ، أبو إسحاق إبراهيم بن السَّرِي ، (ت 311) ، معاني القرآن و إعرابُه ، شرح و تحقيق عبد الجليل عبده شلبي ، عالم الكتب بيروت لبنان ، ط 1 ، 1408 هـ - 1988م .

-الزّمخشري ، أبو القاسم ، جار الله محمود بن عمر (ت 538)، الكشّاف عن حقائق التّنزيل وعيون التّأويل في وجوه التّأويل ، و بهامشه الانتصاف للإمام أحمد بن المنير ، علّق على مشكله و شرح أبياته و معضله الشّربيني شريدة ، دار الحديث ، القاهرة ، 1433هـ-2012 م.

-ستيفن أولمان : دور الكلمة في اللّغة ، ترجمه و قدّم له و علّق عليه كمال بشر ، مكتبة الشّباب

-السّمين الحلبي ، أحمد بن يوسف ، (ت 756 هـ) ، الدرُّ المَصُونُ في علوم الكتابِ المكنونِ ، تحقيق أحمد محمّد الخَرّاط ، دار القلم ، دمشق .

- سيبويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت180هـ) ، الكتاب ، تحقيق و شرح عبد السّلام محمّد هارون ، النّاشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط3 ، 1408هـ - 1988م .

- ابن السيّد البطليوسي ، أبو محمّد عبد اللّه بن محمّد (ت 521هـ) الاقتضاب في شرح أدب الكاتب ، تحقيق مصطفى السّقا ، حامد عبد المجيد ، مطبعة دار الكتب المصريّة ، القاهرة ، 1996م

- ابن سيده ، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت 458 هـ) ، المحكم و المحيط الأعظم ، تحقيق عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، لبنان .

-السيّوطي جلال الدّين عبد الرّحمن (ت 911هت) ، المزهر في علوم اللّغة و أنواعها شرحه و ضبطه و صحّحه و عنون موضوعاته و علّق حواشيه محمّد أحمد جاد المولى بك ، محمّد أبو الفضل إبراهيم ، علي محمّد البجاوي ، مكتبة دار التّراث ، القاهرة ، ط 3 .

- الشّريف الجرجاني ، علي بن محمّد السّيّد (ت 816هـ) ، معجم التّعريفات ، قاموس لمصطلحات و تعريفات علم الفقه و اللّغة و الفلسفة و المنطِق و التّصوّف و النّحو و الصّرف و العروض و البلاغة ، تحقيق و دراسة محمّد صدّيق المنشاوي ، دار الفضيلة ، القاهرة .

-الشَّوْكَانِي ، محمّد بن علي بن محمّد (ت 1250 هـ) ، فَتْحُ القَدِيرِ الجَامِعِ بين فنّي الرِّوايةِ و الدِّرايةِ من علم التّفسير ، اعتنى به وراجع أصوله يوسف الغُوش ، دار المعرفة بيروت ، لبنان ، ط 4 ، 1428 هـ ، 2007 م .

-صبحي الصّالح ، دراسات في فقه اللّغة ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، 2009م .

الصّفدي ، صلاح الدّين خليل بن أيبك (ت 764هـ) ، تصحيح التّصحيف و تحرير التّحريف ، حقّقه و علّق عليه و وضع فهارسه السيّد الشّرقاوي ، راجعه رمضان عبد التّوّاب ، النّاشر مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط1 ، 1407هـ - 1987م .

-الصّنعاني ، أبو بكر عبد الرّزّاق بن همّام (ت 211هـ) المصنّف ، تحقيق : حبيب الرّحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي . بيروت ، لبنان ، ط1– 1392هـ ، 1972م .

-الطّبرسي : أبو علي الفضل بن الحَسن (ت 548هـ) ، مجمعُ البيانِ في تفسير القرآن ، دار المرتضى ، بيروت ، لبنان ، ط 1 1427 هـ ، 2006 م .

-الطّبري ، محمّد بن جرير، (ت 310 هـ) ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، هذّبه و حقّقه و ضبط نصّه و علّق عليه بشّار عوّاد معروف ، عصام فارس الحرثاني ، مؤسّسة الرّسالة ، بيروت ، لبنان ، ط 1 1415 هـ ، 1994 م.

-أبو الطّيّب اللّغويّ ، عبد الواحد بن علي (ت 351هـ) ، كتاب الإبدال ، حقّقه و شرحه و نشر حواشيه الأصليّة و أكمل نواقصه عزّ الدّين التّنوخيّ ، مطبوعات مجمع اللّغة العربيّة بدمشق ، 1380هـ - 1961م.

- ، كتاب الأضداد في كلام العرب ، عني بتحقيقه عزّة حسن ، المجمع العلمي العربي ، دمشق ، ط 1 ، 1963م ، دار طلاس للدّراسات و التّرجمة و النّشر ، ط2 ، 1996م.

- طه محمّد الجندي : التّناوب الدّلالي بين صيغ الوصف العامل ، دار الكتب المصريّة.

-ابن عاشور ، محمّد الطّاهر ، تفسير التّحرير و التّنوير ، الدّار التّونيسيّة للنّشر ، 1984م.

- عبّاس حسن ، النّحو الوافي ، دار المعارف مصر ، ط3.

-عبد السّلام المسدّي ، اللّسانيات و أسسها المعرفيّة ، الدّار التّونيسيّة للنّشر ، تونس ، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب ، الجزائر ، 1986 م .

- عبد الصّبور شاهين ، في التّطوّر اللّغويّ ، مؤسّسة الرّسالة ، ط2 ، 1405هـ -1985م-

-عبد العزيز مطر ، لحن العامّة في ضوء الدّراسات اللّغويّة الحديثة ، الدّار القوميّة للطّباعة و النّشر ، القاهرة ، 1386هـ -1966م .

-عبد الغفّار حامد هلال ، علم اللّغة بين القديم و الحديث ، ط 2 ، 1406هـ – 1986 م .

-عبد القادر الفاسي الفهري ، معجم المصطلحات اللّسانيّة ، إنجليزي ، فرنسي ، عربي ، بمشاركة نادية العمري ، دار الكتاب الجديدة المتّحدة ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 2009م .

-عبد الكريم محمّد حسن جبل في علم الدّلالة دراسة تطبيقيّة في شرح الأنباري للمفضّليّات ، دار المعرفة الجامعيّة ، الإسكندريّة ، 1997م.

- عبده الرّاجحي ، فقه اللّغة في الكتب العربيّة ، دار النّهضة العربيّة ، بيروت ، 1392هـ -1972م.

- أبو عبيد القاسم بن سلاّم الهروي (ت 224هـ) ، غريب الحديث ، تحقيق حسين محمّد محمّد شرف ، مراجعة محمّد عبد الغني حسن ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميريّة ، القاهرة ، 1404هـ - 1984م
.

- ، الغريب المصنّف ، تحقيق محمّد المختار العبيدي ، دار مصر للطّباعة ، القاهرة ، ط3 ، 1416هـ - 1996م ،

- عقيد خالد حمّودي العزّاوي ، عماد بن خليفة الدّايني البعقوبي ، الدلّالة و المعنى ، دراسة تطبيقيّة ، دار الماجد ، دار العصماء ، دمشق ، سورية ، ط1 ، 1435هـ- 2014م.

-العُكْبُرِي ، أبو البقاء عبد الله بن الحُسَيْن (ت 616 هـ) ، التِّبيانُ في إعرابِ القرآنِ ، تحقيق علي محمّد البجاوي ، مطبعة عيسى البابي وشركاؤه.

- علي عبد الواحد وافي ، اللّغة و المجتمع ، شركة مكتبات عكاظ للنّشر و التّوزيع ، ط 1 ، ط4 ، 1403هـ - 1983م.

، علم اللّغة، نهضة مصر للطّباعة و النّشر و التّوزيع، القاهرة، ط 9، 2004م.

، فقه اللّغة ، نهضة مصر للطّباعة و النّشر و التّوزيع ، ط3 ، 2004م.

-عُودة ، خليل أبو عُودة ، التّطوّر الدّلاليّ بين لغة الشّعر الجاهلي و لغة القرآن الكريم ، دراسة دلاليّة مقارنة ، مكتبة المنار ، الأردن ، ط 1/ 1405هـ -1985.

-أبو العَمَيْثل الأعرابيّ (ت 240هـ) ، كتاب المأثور من اللّغة ، ما اتّفق لفظه و اختلف معناه ، تحقيق محمّد عبد القادر أحمد ، مكتبة النّهضة العربيّة ، القاهرة ، ط1 ، 1408هـ - 1988م ،

- ابن فارس ، أبو الحسين أحمد بن فارس ، بن زكريا (ت 395هـ) ، الصّاحبي ، تحقيق أحمد صقر ، مطبعة عيسى البابي الحلبي و شركاه ، القاهرة.

-فايز الدّاية ، علم الدّلالة العربي ، النّظرية و التّطبيق ، دراسة تاريخية ، تأصيليّة ، نقديّة ، دار الفكر ، دمشق ، سوريّة ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، لبنان ، ط 2 ، 1417هـ - 1996 .

-فاضل صالح السّامرّائي ، معاني الأبنية في العربيّة ، دار عمار ، عمان ، الأردن ، ط 2 ، 1428هـ -2007م .

-الفرّاء ، أبو زكريا يحي بن زياد بن عبد الله (ت 207 هـ) ، معاني القرآن ، قدّم له وعلّق عليه ووضع حواشيه و فهارسه ، إبراهيم شمس الدّين منشورات ، محمّد علي بيضون ، دار الكتب العلميّة بيروت ، لبنان ط1 1423هـ ، 2002 م

- فرديناند دي سوسير ، محاضرات في علم اللّسان العام ، ترجمة عبد القادر منّيني ، الدّار البيضاء ، مطابع أفريقيا الشّرق ، 1987م.

-ف ، ر ، بالمر ، علم الدّلالة إطار جديد ، ترجمة صبري إبراهيم السّيّد ، دار المعرفة الجامعيّة ، الإسكندريّة ، 1995 م.

- الفيروز آبادي ، مجد الدّين بن يعقوب محمّد يعقوب ، (ت 817هـ) ، القاموس المحيط ، تحقيق مكتب تحقيق التّراث في مؤسّسة الرسالة بإشراف محمّد نعيم العرقسوسي ، مؤسّسة الرّسالة ، بيروت ، لبنان ، بيروت ، لبنان ، ط8 ، 1426هـ 2005م .

-الفيّومي ، أحمد بن محمّد بن علي المُقري (ت 770هـ) ، المصباح المنير في غريب الشّرح الكبير للرّافعي ، تحقيق عبد العظيم الشّنّاوي ، دار المعارف .

-ابن قتيبة ، أبو محمّد عبد اللّه بن مسلم (ت 276هـ) ، تأويل مشكل القرآن ، شرحه و نشره السّيّد أحمد صقر ، المكتبة العلميّة ، 1393هـ - 1973م.

-قطرب ، أبو علي محمّد بن المستنير (ت 206هـ) ، كتاب الأضداد ، عنى بتحقيقه و التّقديم له حنَّا حدّاد ، النّاشر ، دار العلوم للطّباعة و النّشر ، الرّياض ، المملكة العربيّة السّعوديّة ، ط 1 ، 1405هـ - 1984م .

-ابن قَيِّم الجَوزية ، أبو عبد الله محمّد بن أبي بكر بن أيّوب (ت 751 هـ) ، بدائع الفوائد ، تحقيق علي بن محمّد العمران ، إشراف بكر بن عبد الله أبوزيد دار عالم للفوائد للنّشر و التّوزيع ، جدّة ، السّعوديّة .

- ابن كثير ، الإمام الحافظ عماد الدّين ، أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدّمشقي . (ت 774هـ) ، تفسير القرآن العظيم ، قدّم له يوسف عبد الرّحمن المرعشلي ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، 1412هـ - 1992م

-الكسائي ، أبو الحسن علي بن حمزة (ت 189هـ) ، ما تلحن فيه العامّة ، حققها و قدم لها و وضع فهارسها رمضان عبد التّوّاب ، النّاشر ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، دار الرّفاعي بالرّياض ، ط 1 ، 1403هـ - 1982 م. .

-كمال بشر : دراسات في علم اللّغة ، دار غريب للطّباعة و النّشر ، القاهرة ، مصر ، 1998م .

-ماريو باي ، أسس علم اللّغة ، ترجمة و تعليق أحمد مختار عمر ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط 8 ، 1419هـ - 1998م .

-ابن مالك جمال الدّين أبو عبد الله محمّد بن عبد الله (ت 672هـ) ، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ، تحقيق محمّد كامل بركات ، المكتبة العربيّة القاهرة ، مصر ، 1387 هـ – 1967م.

-المبرّد ، أبو العبّاس محمّد بن يزيد (ت 285هـ) ، ما اتّفق لفظه و اختلف معناه من القرآن المجيد ، عناية عبد العزيز الميمني الرّاجكوتي الأثريّ ، المطبعة السّلفيّة ومكتبتها ، القاهرة ، 1350هـ .

-مجمع اللّغة العربيّة ، المعجم الوجيز ، 1989م.

، القرارات المجمعيّة في الألفاظ و الأساليب من 1934م إلى 1987م ، أعدّها و راجعها محمّد شوقي أمين ، إبراهيم التّرزي ، الهيئة العامّة لشؤون المطابع الأميريّة ، القاهرة ، 1989م ،

المعجم الوسيط، النّاشر ، مكتبة الشّروق الدّوليّة ، ط 4 ، 1429هـ-2008م.

-محمّد أحمد قاسم ، محي الدّين ديب ، علوم البلاغة (البديع و البيان و المعاني) ، المؤسّسة الحديثة للكتاب ، طرابلس ، لبنان ، ط1 ، 2003 م .

-محمّد العدناني ، معجم الأخطاء الشّائعة ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، ط 2 ، 2008م.

-محمّد المبارك ، فقه اللّغة و خصائص العربيّة –دراسة تحليليّة مقارنة للكلمة العربيّة و عرض لمنهج العربيّة الأصيل في التّجديد و التّوليد ، دار الفكر للطّباعة و النّشر و التّوزيع .

- محمّد الأنطاكي ، دراسات في فقه اللّغة ، دار الشّرق العربي ، بيروت ، ط 4 .

- محمد حسن جبل : الاستدراك على المعاجم العربيَّة في ضوء مئتين من المستدركات الجديدة على لسان العرب وتاج العروس ، دار الفكر العربي، القاهرة ، مصر.

- محمّد حسين علي الصّغير ، تطوّر البحث الدّلاليّ، دراسة تطبيقيّة في القرآن الكريم ، دار المؤرّخ العربي ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1420هـ - 1999م .

-محمّد محمّد داود ، العربيّة و علم اللّغة الحديث ، دار غريب للطّباعة و النّشر و التّوزيع ، القاهرة ، 2001م .

محمّد نور الدّين المنجّد ،التّرادف في القرآن الكريم بين النّظريّة و التّطبيق ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، لبنان دار الفكر ، دمشق ، سوريّة ، ط 1 ، 1417هـ 1997م .

- محمود السّعران ، علم اللّغة مقدّمة للقارئ العربي ، دار النّهضة العربيّة للطّباعة و النّشر ، بيروت ، لبنان .

- محمود فهمي حجازي ، مدخل إلى علم اللّغة ، دار قباء للطّباعة و النّشر و التّوزيع ، القاهرة .

- ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدّين بن مكرم (ت 711هـ) ، لسان العرب ، دار المعارف .

- أبو هلال العسكري ، الحسن بن عبد اللّه بن سهل بن سعيد ، الفروق في اللّغة ، تحقيق جمال الدّين عبد الغني مدغمش ، النّاشر ، الرّسالة ، بيروت ، لبنان ،ط 1 ، 1422هـ - 1422هـ - 2002 م ، ص 183-184 .

ثانيا : الكتب باللّغة الأجنبيّة :

- Arséne darmesteter: La vie des mots,paris librairie delagrave,1950 .

– Michel bréal. Essai de sémantique,science des significations, paris ,1879 .

-Ferdinand de saussure, Cours de linguistique Générale, publié pare: Charle Bally et Albert sechehaye avec la collaboration de Albert riedlinger, payot , paris, 1971.

ثالثا : الرّسائل الجامعيّة :

-رفيقة بن ميسيّة ، التّوسّع الدّلاليّ للصّيغ الصّرفيّة الاسميّة في القرآن الكريم –دراسة صرفيّة دلاليّة – إشراف محيي الدّين سالم ، قسم الآداب و اللّغة العربيّة ، جامعة الإخوة منتوري قسنطينة 1 ، الجزائر ، 2017م-2018م (أطروحة دكتوراه) .

رابعا : الدّوريات

-حامد صدق ، طيبة سيفي ، قضيّة التّرادف بين الإثبات و الإنكار، مجلّة اللّغة العربيّة و آدابها ، السّنة الأولى ، العدد الثّالث ، 2006م .

خامسا : النّدوات و المؤتمرات :

-محمّد محمود أحمد محجوب ، التّطوّر في لغتنا ، حتميته وانعكاساته ، مقال ضمن ندوة بعنوان: "اللّغة العربيّة في بيئات ومجالات مختلفة " احتفالا باليوم العالمي للّغة العربية، الدّوحة 27/26 /12/ 2015م .

سادسا : المواقع الالكترونيّة :

- عبد الحميد النّوري عبد الواحد ، تطوُّر اللّغة ، شبكة الألوكة ، https://www.alukah.net/literature_language/0/129523 ، تاريخ الاطّلاع عليه : يوم الأحد 28-6-2020 ، السّاعة الثّانية مساء.

-عبد الرّحمن بودرع ، بين التّطوّر اللّغويّ و التّغيّر اللّغويّ و الانفتاح اللّغويّ ، مقال نشر في موقع ، مجمع اللّغة العربيّة على الشّبكة العالميّة https://www.m-a-arabia.com/site/8683.html، تاريخ الاطّلاع عليه : الأحد 28 - 06-2020 م ، في السّاعة العاشرة صباحا

-